

مع هـذا العدد من « الآداب الأجنبية » نودّعُ عاماً ثانياً ، ونستشرف عاماً ثالثاً جديداً • وهكذا تمرُّ الأيام ، وهكذا يظل الشيء الأساسي أن تكون مرّتْ علينا بالجمال والجدوى •

ولا بأس من استطلاع لغةالأرقام ، من العودة الى الاحصاء ، واستقرائه • أليس أنّ العلم قد أصبح يتدخل في كل شيء ، أو أنّ كل شيء أصبح ينتمي الى العلم ، أو أنّ العلم أخيراً أصبح القاسم المشترك في كل إبداع إنساني • أنا مع كل هذا جملةً وتفصيلاً •

لقد حملت أعداد المجلة الثمانية آداب من سنذكر من الامم ، موزعة ــ تكاد تكون موزعة ــ على هـذا الشكل ، وبحسب المـواد : فرنسا ــ ١٢ مادة أدبية ، انكلترا ــ ١٠ ، الولايات المتحدة ٩ ، الاتحاد السوفياتي ٩ ، المانيا ــ ٧ ، بلغاريا ــ ٧ ، اليابان ــ ٢ ، السويد ــ ٢ ، تشيلي ــ ٢ ومادة أدبية واحدة لكل من : نيوزيلندا ، وجنوب أفريقيا ، ورومانيا ، وتركيـا ، وغويانا وبولونيا وكنـدا والبرازيل وهنغاريا وبلجيكا وايرلندا وفيتنام • وكان عددُ القصص التي قدمناها ــ ٢٩ ، والدراسـات ــ ٢٧ ، والأعمال الشعرية ــ ٢٠ ، والمسرحيات ــ ٣ • وتراوحت هذه المواد طولاً وقصراً ، وكان بعضها أعمالاً متكاملة حقاً بلغت مئة صفحة أو

زادت وأعطت فكرة تكاد تكون ، بدورها ، متكاملة عن أدب من الآداب ، أو اتجاه من الاتجاهات في هذه الآداب •

وقدمت المجلة أدباء وشعراء ، ربما لأول مرة في اللغة العربية ، بشكل يرضى عنه التقديم •

إننا ، في خط المجلة الواضح ، الهادف ، نحاول أن نقترب ، أكثر فأكثر من ايقاع العصر الأدبي ، ونحاول أن نمدّ حقلنا المغناطيسي لنجتذب ألوانا جديدة من العطاءات العالمية ، لنعرّف آدابا جديدة لم يسبق أن قدمناها ، لأننا ، من خلال إحصائياتنا ومن خلال غيرها بالطبع ، تتبيّن أنّ عالم الأدب ، ما زال رحباً أمامنا ، على مدى ما يرمي البصرُ والبصيرة • وسيظلُّ ، حتماً ، كذلك ، ولا نطمح أبداً في عكس ذلك • وإنما ، هو بالذات ، علّةُ رسالتنا وطموحنا في هذا المجال •

ولقد مرَّ بنا أعمى المعرّة الذي يهدي المبصرين ، فترك لنا في عيدنا هاتين الشمعتين ـ النجمتين :

رُدّي كلامكِ ما أمللتِ مستمعاً
وهل يُمَلُّ من الأنفاس ترديدُ

•

فلا نزلت عليّ ولا بأرضي
سحائب ليس تنتظم البلادا



مختـــارات

من الشعر اليوغسلافي المعاصر

ترجمة : د . أحمد سليمان الأحمد

ديسانكا ماكسيموفيتش (١٨٩٨)

DESANKA MAKSIMOVITCH

تتميز ديسانكا ، بين شعراء جيلها ، بلغتها وحساسيتها الأنثويتين . تلامس النفس غنائيتها العذبة ، العاطفية ، وبساطتها وعفويتها الشاعرية .

في العاصفة

طوال السهرة ، على التلة المقفرة

ينتصب خيـــال ،

دعيني أنظر ، يا أم ،

أهو رجل أم صنوبرة .

دعيـنـي أتأمـل

من يرنو طوال السهـرة
الى بيتنا المتواضع الأبيض •

دعيني ، يا أم ، فالسير
لا يتعبنـي قط :
التلة قريبة ، قريبة من منزلنا •
أوه ، أشعر أنه قريب مني ، قريب ،
هذا الرجل أو هذه الصنوبرة
الذي يتحدى ، طوال السهرة ، الصاعقة
وينتصب ، ويرنو الى بيتنـا •

أنظري هذه الغيمة الداكنـة ،
سفينة ضخمة مشؤومة
تبحـر في اتجـاهه
حاملـة المـوت •
اوه يا أم ، ناديـه ،
وليحتم بسقفنـا ،
هذا الرجل او هذه الصنوبـرة
الذي ينتصب طوال السهرة ويرنـو
الى بيتنا المتواضع الأبيض •

وحيد هو على التلة المقفرة

مثل طفل يطوي الذراعين
على ألمــه الأول ،
فدعي أناملي اللدنــة
تكون هدف الرياح الشريرة .

دعيني ، يا أمي الطيبــة ،
فكم هــي مخاتلــة
وشريرة هذه الغيمــة
التي تدوّم فوقــه .

تين أويفيتش (١٨٩١ ـ ١٩٥٥)

TINE OUYEVITCH

يمثل شعر تين اويفيتش مرحلة من أهم المراحل في الشعر اليوغسلافي . ولقد بقيت أجيال مـن الشعراء ضمن الحقل المغناطيسي لصوره الرائعـة ولسحره الموسيقي . تذكرنا حياته البوهيمية ، وعذوبة أشعاره المنتقاة بالشاعر الفرنسي بول فرلين . متأثر بشعراء « البرناس » وشعراء « الرمزية » كما اننا نلمح ، ولو مـن بعيد ، آثار الفلسفة الهندية ، في شعره .

نشيد الى جسدي

أنا لا أغني مدائحــي ،

لا أبكي على قبحـــي .
دون خجل أو زهو على رملـــة رائقـــة
أتأمل شكلي العاري ، ويهبط الصفاء على فكري .

كنت هشاً في طفولتي ، ولكني أمسكت دموعي
وتخليت عن الألـــم ،
أخذت الفصول أجمل أفراحـــي
وتركت لغيرها الآلام والدموع .

مجيدة حياة هـــذه الدودة ،
فقد عرفت كيف تتصدّى لضعفها الشديد .
كان اليأس والزهو نقيصتها الأولـــى ،
وكان طعم الثمار اللذيذة فضيلتها الأخيرة .

أيها الجسد ! فيك اكتشفت الثالوث الأصليّ :
مجموع مقاييسك الثلاثـــة ،
الروح والفكر ، كنهي وذاتي ،
وفي أعماقك القلق واصطخابه .

الذي يربط بين هذه المقاييس الثلاثة يسمى « الزمن » ،
المقياس الرابع حيث الحياة تدور ،
حقيقة الابداع الضحلة : البذرة الانسانيـــة

التي يتكاثر فيهـا اللحم والوجـود ٠

يا جسدي ! يا جزيئة كونيـة ،
ما أنت الا صقالـة عظمية عجيبـة ،
ليس مدحاً ما أزجيه وانمـا فيك ألقى الكواكب والسماء ،
الغبار والشمس ، كل الحياة ، الغنية البسيطة ٠

كل هذا العمل في اليد ، كل هذه الفراسخ في الساق ،
هذه الآمال في العيون ، وبركان الاشتهاء بين الصلب والترائب ،
هذه الوجبات الشهية في الأنف ، هذه القامة التي تحسدها الآلهة ،
هذه الملحمة المنطوية على الظمأ والنزوات ٠٠ كل الظمأ والنزوات ٠

وهذا النهم في الدمـاغ النشيط
حيث الدمى الفاتنـة توشوش كمـا في حـلم
حيث انامل المثال تعجن الشمع ،
مدينة المعرفة هذه ، عاصمة ودسكرة ٠

ثم هذه الأعصاب التي يتلاعب بها الكون ،
هذه الرئات التي تتنفس فيها الألوهة ،
الذي كان ، الذي سيكون يتكوّر في صـدري ،
ما أنا الا غبار وحياة ، وكل الضياء ٠

هكذا أنا ، الـه الأسحار والخليب ، خاطىء كبير ،

انسان يحوّل الأحلام الى ملذّات حقيقية ،
بي نهـم الى جميع النظرات ، الى جميع المداعبات ،
رغبتي اللامتناهية أن أحيا في عالم العشق ،

أن أكون مساوياً لكل شيء كي أندمـج
عندما تحين الساعة ، في هذا الكل الذي يأوي اليّ ،
كي تصبح جثتي الجامدة ، الخرسـاء
عدماً ، وشيئاً مجيـداً مع ذلـك •

أنا لا أمجّد الجمال ولا العواطف المتقدة
لا ولا ميـاه الينابيع الفـائرة
ولكني ، وأنا الشيخ ذو الشعر الأبيض ، أمجد الآلام
التي يحتلّ خريفهـا فكري الناضج •

كانت مهمتك ان تنتصر على الآلام ،
على جميع الخيانات في كل عام جديد ،
أنت يا ضحية العالم ، ايها المصلوب الوحيـد ،
ثم أن تنتصب بعد ذلـك في الافـق •

لقد حول الآلهة الصلصال الى فولاذ ،
هذا الجسد هو انعكاس الشكل الالهـي ،
زائلا وراعشاً ، ولكن جميلا في خطرته ،

منارة ذكاء ، معبد ارادة ، قلعة فكـــر .

أغني صبرك ، قوتك ، احتدامك ،
احتمالك الألم كما يحتمله عملاق ،
يا جسدي الجبّار حتى على عتبة القبر ،
أي شيء أنت ما لم تكن وجداناً وروحاً حية ؟

أي شيء أنت ما لم تكن معرفة يقظى ،
منبثقة أخيراً من كل الدياجير ،
من كل الحضور المفقود ، الا وحدته
على الطريق التي تجتازها الذرة في الفضاء ؟

يا جسدي ! كم من الأفراح خبت فيك ،
كم من الحماسة ، ومن المواهب المهـدورة ،
انت لم تخلق للندم أو للتبتّل ،
انت مضطرم بالحياة ، سليم ، معافى ، قوي ،

عات على العتـاة ، شهيد مصلوب ،
نكرة وحقيقي ، مجد فتي في الموت ،
صيف في البـرد ، مقاتل شرس ،
وأنا أغنـي نشاطك الخالـد .

ما هو ثمن القطرة الكريمة من الدم الأحمر
التي يسكبها الانسان دون حساب ،
ما ثمن رعشة اللحم والفكـر ،
ان لم يكن الحياة والخلود بأسره ؟

جسدي ، دعابة القدر ، نزوة الكون ،
تعبير عن الخواء وعن المجانيـة
ما يبقى منـك بعد المحرقـة
يدلّ على تلك المعركة الكبيرة .

ليس لديك من امنيات الا أن تكون ينبوع الخمر ،
عنقود النشوة في جنـى الأرواح ،
قدحاً على الصخرة التي يأتي اليهـا الموت
ليشرب بين الآلهـة الجفـاة ،
أصحاب القطاف الشرعيين .

دوشـــان ماتيتش (١٨٩٨)

DOUCHAN MATITCH

احـد مؤسسي المدرسة السريالية فيما قبـل الحرب • عرف كيف يطبق تجاربه السريالية الثمينة على شعر متقف ذي لغة مترفة •

البحـــر

تنام ، يا جمـــالا صيفياً كثيفـــاً
تنضج في قلب آب
مثل انني ادركت ان الحب هو كل شيء ،
رماد ولكنه لا ينفـــد ،
شعلة تؤججها النفخة الاولى ،
تطفئها النفخة الثانيـــة
ولكن الثالثة تؤججها من جديـــد
وهكـــذا دواليـــك ،
أطفال ولدوا ، وأطفـــال يولـــدون ،
أبداً لا تكترث الموجة الغائضـــة •

تنام ، يا جمـــالا صيفياً كثيفـــاً
أنت يا سعة باهـــرة

يا ثريّا على ثريا ، يا ثريا في ثريا ،
يا هوة على هوة ، يا هوة في هوة ،
صيحات جميع الغرقى متماثلة فيك
وهاكهم جامدين في انسجامك الماسي المتغطرس ،

نم ، أنت أيضاً ، أمام هذا اللامحدود
أمام هذه الروعة الأروع من الروعة
نم على وسادة الذكريات الهائجة
الذكريات التي فتحت اللحظات الضائعة ثغرة فيها .

نم ، تملأ بالنسيان
نم على شاطىء السحر الذي لم تعرف كيف ترنو اليه
على ساحل المعرفة الجديد
على ضفة العمى واللذة المفقودة
وحيث تلتقي العواصف
وحيث ينقسم الشفق
وحيث لا توجد أنت البتة
لا في الصيحات ولا في خضرة الديمومة .

نم
ولكن ماذا تريد اذن
مزامير العقل الفضولية هذه

وتلك الأيدي الدائبه على العمل الذي تجهله
تبتل الجلود هذا لا أريده ، لا مقابل الاجهاضات
ولا مقابل أسحار الأطفال الذين سيولدون من نساء مغتصبات
عندما يمر على الارض الفاتحون الطيبون للسراب الباطل
ما هم الا قمم جرداء
تنام فيها الأمساء ، والأغاني المحطمة
للعشاق الأنانيين ملاء البطون •

على أول سرير تنشر خارطة العالم
تسجل جميع الاحداثيات وتفتح جميع البركار
من هنا حتى افريقيا
دوماً نفس الدوران ، نفس هبات الرياح ، نفس نداءات الصحراء
نفس الأيدي الحزينة الواقعة في شرك اللحم كما في قلب اول عابر •

نم ، فهذا أفضل
لا تضحك اذا أحببت ما لم تعتقد انك تحبه
شد رأسك بين يديك
فهل يمكن تحطيم هذه الدائرة الحديدية ؟

الشتائم والقلب لن ينفجرا قبل
أن تضع شفتيك على الشفتين المرتين

اللتين تفصلان العالم الخائف من الفرحة ، والخائف من الألم .

يا وردة الرعب الناعم ، يا وردة العباب المهشمه ،
يا نصف وردة الرعب
يا وردة الدم الوحشية
نهار ، ولا نهار
ليل ، ولا ليل
الكواكب والدم مطفأة .

نم ، فهذا أفضل
هرة تتمطى على الجدار الظليل
والعنب ينضج على الكرمة
وهدوء البحر مستلق على الكون .

نم
فراشتان متأخرتان تسرعان نحو الشمس الخادعة
وعند هبوط الليل تتواريان
ومعهما جمالان .

نم ، ما دام شيء آخر لم يبق لك
نم ، فالحب ينتظرك ، أنت والغد والأجنحة المسحوره
للفضاء الذي تأتلق فيه ألوان الخلود
حتى ولو كانت الظلمات في جذور بصرك وفي صدرك المعذب

حتى ولو جذبتك عابه دمك العدراء
حقيقتـــك الفانيـــة .

نـــم
فالخلود هو هذه الثريـــا ، هذا اللامحدود
هذا الانسجام المتغطرس فوق زغب الغرقـــى
وحلمك عبر كل العدالات والمظالـــم
والخلود هو هذه الموجة التي تمور بلا كلل
علـــى أعقابـــك الفانيـــة
هذه الموجة العاصفة الجبارة التي تعرف كيف تحطـــم
وتغدو كلباً صغيراً وديعـــاً
عند أقـــدام الأحباب المغفين بلا شفقة .

ميلان ديديناتز (١٩٠٢)

MILAN DEDINATZ

لغة ميلان ديديناتز نقية ، لا فضول فيها ، ولا تبحث عن اية زينة ما لم تكن هذه الموسيقى الفريدة التي تنبعث منها . كتب قصيدته التي نترجمها هنا اثناء الحرب ، في احد معسكرات الاعتقـــال وهي مقتطفة مـــن دفتر مذكرات شعرية سجلها الشاعر .

فجاة انبثق الجوع

فجأة انبثق الجوع ذو العينين الواسعتين الرصاصيتين !
ـ ولكن كيف تمكن من المرور عبر الأسلاك الشائكة و لحرس ؟ ـ

ثم قدّم مآدب لأحلام ليالينا الخاوية
وترك لنا الأيام مقروضة ، قاسية .

اجتاز المعسكر ، مهروت الشدق
وها هو يلتهم ، بدلا عنّا ، جميع الوجبات ،
ولا يترك وراءه الّا العظام والرعب
كي يهتدي الموت الينا ولا يتيه .

لدى اقترابه ، كانوا قد تركوا الباب مفتوحا على مصراعيه
وبلمحة عين كنس المكان بأسره .
والآن ، بين السماوات العمى والرمل المقفر
لا شيء الّا هياكلنا الجوفاء .

لقد جاب الجوع المعسكر
ناقبا كل القصاع
لم يعد ثمة من حساء ساخن :
لم يعد ثمة الّا الجوع !

سنبلتاي اللتان ربيتهما ، طوال شهور ، في الأرض القاحلة
سنبلتان تحت الأسلاك المتشرة
هذه الليلة أيضاً التهمهما الشره !
من كان سيفعل ذلك غيره ؟ فالسماء دون عصافير !

دخل الجوع المعسكر
وبمحرزه الحاد يعيث تخريباً في أجسادنا .
خطانا تغدو أبطأ فأبطأ
ولكنها تقودنا إلى الموت أسرع فأسرع .

لقد جاب الجوع المعسكر منقباً عن كل شيء :
لم نستطع أن نخفي عنه كسرة خبز واحدة !

ذلك لأن الجوع ذو عينين واسعتين ترصدان وتسهران .
وللجوع اذنان دقيقتان ، تسترقان السمع
وللجوع وجه شاحب وشعر قاتم
وللجوع فم مهروت وجسد من نار .

الطرق التي يختارها متماثلة دوماً :
يمضي مع الحروب ، والمعسكرات ، والصيف الجديب .
ويداه نظيفتان .
وفارغتان .

تزيني فيبوتنيك (١٩١٤)

TZENE VIPOTNIK

فنان مرهف ، كتب في مواضيع مثيرة ، مقلقة يعيشها عصريا ، ولكنه استطاع أن يعبّر عن عاطفة الوحدة بأقوى ما يكون من الزخم .

الساقية الجوفية

الشمس المعذبة تخرج من مأواها الليلي ،
ويمتــد السحر علــى العالم الحجري ،
وأدخل في الليل الذي تدعوني اليه الأرض .

الساعة المحاتــة ربطتني بالأرض ،
وموكب الاهانات لأسود قوّض
السحر الأول للأحــلام الشــاردة .

في الحفرة العميقه يواصل ماء قــذر
مسيرته المشؤومة الى طبقته الأخيرة ،
وينفطــر قلبــي ، وأسقط في الظــلام .

الشمــس الربيعية تبعد عن فمــي
أشعتها التي تشربها براعم الــورده ،
وفي نعشي أستلقي خرســاء .

السماء والغرين ، في تغيراتهما ،
وجداني وسط العاصفة الخالدة :
الظلمات تحيط بي أسوارها المغلقة .

وعندما ، على توالي الفصول ، غدا الظلّ جاهزاً
لاستقبال روحي ، المتجمدة على شكل نوازل ،
دخل النهار سجني معيّداً .

تغادر الشمس مأواها الليلي ،
ويمتدّ السحر على العالم الحجري ،
وأدخل في الليل الذي تدعوني اليه الأرض .

يوري كاشتيلان (١٩١٩)

YOURE KACHTELANE

قصائده دعوة حارة ، مواظبة ، الى التآخي بين الناس ، والى عالم إنساني العواطف . تذكرنا قصائده الموسيقية ، البسيطة ، بالشاعر الاسباني لوركا وبالشعراء الذاتيين الايطاليين .

لقاءات

الأموات يحيون فينا . يكبرون . دوماً يكبرون .
رفاقي الفتيان الذين ينشدون .

الأموات فينــا يحيــون •
وفي الأكواخ ، في الورشات ، في السحــر ،
وفي ضحــوة النهــار
غالباً ما يجيئون ، واحداً واحداً • ويعبــرون •

ودون أن نتبادل التحية ، دون أن نتصافح ،
مستغرقين في الحيــاة ،
نمشي الواحــد الى جانب الآخــر •
الأموات والأحياء • الواحد الى جانب الآخــر •

ڤيسنا بارون (١٩٢٢)

VESNA PAROUN

ساهمت ڤيسنا بارون بتجديد الشعر الحديث • تدل لوحاتها المثيرة ، المفعمة بالقلق والغموض ، والشباب المسجون في إطار الحرب الرهيبة ، على خيال خلاق وقوة إبداعية نادرة • هذا الحب ، فيما بعد • نشيد انشادها ، وعبّرت عنه بكل الغنائية البسيطة ، الهادئة •••

أنت يا ذات اليدين

الأنقى من يدي

أنت يا ذات اليدين الأنقى من يــديّ ،
أنت يا وديعــة كاللامبــالاة ،

يا أمهر مني ، اذ تقرأين على جبينــه
الوحدة التي تثقل عليــه ،

يا أقدر مني على ابعاد ظــل
التردد عــن وجهــه ،

مثل أنفاس الربيــع
التي تبدد الغيوم المحومة على الجبــال .

اذا كانت ذراعــاك تشجعانــه ،
اذا كان حضنــك يهدهد آلامــه ،

اذا كان اسمك يغدو ملجــأ
لأفكــاره ، وعنقــك
ينطوي أغصانــاً على مضجعــه ،

اذا كان ليــل صوتــك
ستاناً تهابــه العــواصف ،
فظلــي قربــه
وكوني أكثــر اخلاصــاً
من جميع من أحببنــه قبلك ،

انتبهــي للأصــداء
التي تقترب من أسرة العشاق العفيفــة .

اسهري علـــى اغفاءتـــه
تحت الجبـــل اللازوردي
على شاطىء البحر المزبـــد .

جوبي شاطئـــه ، صـــادقي
الـــدلافين التعيســـة ،
انسي نفسك في غاباته . فالجراذين الأنيســـة
لـــن تصيبـــك بأذى .

حتى الأفاعي المنهومة التي روضتها
ستخرّ أمامك ســـاجدة .

فلتنشدك ، في الليالي الصقيعية ،
العصافير التي أهديتها ملجأ دافئاً ،
وليحـــن عليـــك بحـــب

الفتى الـــذي حميتـــه
من قطاع الطرق على الدروب المقفرة
ولتغمرك بعطرهـــا الزهـــور
التـــي سقتهـــا دموعـــي .

الحظ حرمني من أجمل لحظات رجولته .
وفات نهـــديّ أن يكونـــا

مستودع خصبه ،
نهدي ، اللذين اجتاحتهما
نظرات رعاة البقر الغرباء
واللصوص الخلعاء .

أبداً لن أقود بيدي
أطفاله . والحكايات التي كنت أعدها لهم
لربما قصصتها باكية
على الدبة الصغيرة التعيسة
الضائعة في الغابة .

أنت يا ذات اليدين الأنقى من يديّ
اسهري على رقاده
الذي ظل طهوراً ،
ولكن فلتسمحي لي أن اشاهد وجهه
على امتداد السنوات التي تتكدّس فوقه
قصّي عليّ أحياناً بعض شؤونه
كي توفري علي . ان أسأل الغرباء
المشدوهين ، والجيران
المشفقين على استمراري في حبه .

أنت يا ذات اليدين الأنقى من يــدي
ظلّي عنــد سريره
واسهري برفــق على احلامــه •

داني زايتز (١٩٢٩)

DANE ZAYTZ

احـد ابرز ممثلي الشعر السلوفيني الموهوبـين • متحرر من قيود التقليدية ولكنه يرفض مزاجيات الحداثـة التي انسبق فيها بعض اقرانه • يعبر في شعره عن عزلة الفرد وعن الماساوي في حياة عصرنا •

أغنية الشبيبة

المــوت
من معــارفي القدامــى •
شجــرة أنــا
لن تحمل أزهــاراً •

منذ زمــن طويــل أوى الخــريف
الــى أغصــاني •

أحمــل في نفســي

عقـدة الحبـل الدامـي
في وتـد السنديـنـة .

أحتفظ في نفسـي
بالقبـور الصقيعيـة
والعظـام المقروضـة
والجمجمـة الملقـاة
علـى التـراب لـرطب .

تبدو وكأنها تقول : انظـر ، لقد كنت .

مأسـاة ، مهزلـة ،
ذلك لأن اذنيهـا وعينيهـا
مسـدودة بالتـراب ،
وفوقهـا تـدوّم
أغنيـة حزينـة
نسمـة
وسماء الخـريف القاتمـة .

فليتغلغـل عطـر الزهـور
هناك حيث لم يعـد ،
حيث لم يعـد هنـاك شيء .

جمجمـة ذات سمات لم تحقق هويتهـا .

الموت مـــن معارفي القـــدامى .
شجـــرة أنـــا
أوراقهـــا متناثـــرة على القبـــور .
في نفـــي أحمل مشنقة أحلامي .

وحتى النهاية سيرن في سمعي
النشيد القاتـــم الذي لا يرحـــم :
« هذا اليـــوم الممتلىء سعادة ! »

الذئب الأســير

يركض ، يركض ، يركض .
برجليه الرشيقتين الوحشيتين
وخطـــاه المخمليـــة .
يجري صامتاً مثل شـــبح رمـــادي .
يجـــري فـــي قفص .
علـــى أوراق مهترئـــة .

يجري الـــى الأمـــام ،
يجري الـــى الـــوراء ،
الشـــدق مهـــروت ،
اللســـان أحمـــر ،

يجري في قفص مثل ظــل أشهب
ظل للحقد ، أخرس ، أشهب
ظــل للكـــره أشهب
يجــري ، يجــري ، يجــري •
يعــوي ، يعــوي
شرســاً وحشـــياً ،

أين جماعات الذئــاب الحــرة ؟
أين قطعان الأطيــاف الرماديــة
السابحــة في حليب القمــر
مثل عصابة من الشياطين الرشيقــة ؟
أين هي أعنــق الخــراف الناعمــة ؟
أوه ، ما أعذب ازدراد دم النعاج اللــذيذ !
وبعد ذلــك العــواء ! العــواء !

لمــاذا تئن ايهــا الذئب
كمــا لــو تئــن الأرض
تحت ركــام الصخــور ؟

لماذا تئــنّ ايهــا الذئب
كما لو أنّ حرابــاً طويلة سوداء
تنغرز في عنقــك ؟

ستيفان راتشكوفيتش (١٩٢٨)

STEVAN RAITCHKOVITCH

شاعر غنائي عاطفي ، عفوي ، استطاع ان يرتمع بعالمه الاليفي ، المخلص ، المعمور بالعصافير والعشب والصخور ، الى افكار ، أشمل ، حتى الى الرمز .

نشيد العشب

للعشب فكرة ثقيلة كالحجـر
ذلك لأنه يقول لي : « باطل نشيدك .

قرّ فيّ . ضع رأسـك على يديك المتلاصقتين .
وحافظ على الصمت حتى نسيان اللغة .

تأمل ، طلق الوجه ، الجبل البعيد الأزرق
الصامت بعمق . عند ذاك ، ارفع عينيك ، بطيئاً ،
نحو الغيوم الصاخبة ، البيضاء ، التي تجوب السماء .

ومن هنا ، اخفض بصرك الى نفسك . ثم ، بلا حراك
وعيناك غائصتان في كيانك ، ظل مستلقياً تحت السحابة
عنـد سفح التـلّ .

ثم ، ممتزجاً بالليل الداخلي ، ارفع نظرك وافهم ببساطة
(ببساطة ، كما لو أن نسمة تلامسـك) :

فوق الجبل توارت الغيمه . والجبل يصمت ، وحيداً ،
وقد خلع عليه الغروب لون السمرة الحزينة ،
مستلقياً على العشب الداكن ، تتوالى أفكاري غائمه .

نمله على ركبتي ، مثل رجل على هضبــة .
قلقة ، نلبث بلا حراك . وأحافظ على الصمت . هكذا نشيدي .
ساهماً ، أظل مستلقيــاً علــى العشب .

والعشب يصخب ثقيلا مثل حجر .

ماتي ماتيفسكي (١٩٢٩)

MATEY MATEVSKI

شعر الرؤى والاحلام ، يواجه أعقد قضايا العبــرة الحديثة بثقة فنيــة تدعو للاعجاب . شــعره ذو موسيقا اخــاذة .

القلق

الخيول المنهكة خيول الفضاء المثقلة تقترب
هيدبى بعيدة للغــة المنسية نحسها
وحيدة تندفع بلا هوادة تحت النوافــذ المغلقــه
وتدق بحوافرها الحافية ، تدق أبــداً ...
أوه أيتها الأرض الراشحة عرقاً ، لغضاريــة ، الصبــور

انها تخب عليك في عراك كئيب
كيف النجاة من هذه الكوكبة
من هذا الأفق القطني دون حدود
من هذا الصمم القاتم للسماء والليل
من هذا الركام لكثيفه والعميق معاً
انهيارات ثلجية بالنسبة للبصر وتقصف جليدي بالنسبة للفضاء

أين أنت ماض أيها البحر اللامتناهي المرعد
أيها السطح المتسق الافقي المتعب
الملهوف لى فرحة صاحية ، عمودية ، معرضة للريح
أين تمضي ، أين اذن
عجينة كثيفة من مطر وتراب
حجراً بين الأيدي حمأة في العيون

الأغنية

من أين تأتين ، أنت المعروفة جيداً أين تمضين
ايتها الأغنية التي لا تنسى ، يا طفلة يائسة ساذجة
سهماً طرياً عصفوراً من حماً
درباً قاحلا لامتناهياً تحت المطر
درباً يتعرج أنعى فضية الجرس
أين تمضين بي •

أنت دوماً تحسّك في أعماق الميـاه والظلمات
عرفاً ناعمـاً عرفـاً خشـنا
متمـرداً تلقائيـاً

لحمـاً نيئـاً للأرض والليـل
عرفاً قاطعـاً حـداً معكراً للنظـر
كاسحاً درب الفضـاء الفضي
مؤتلقـاً ساطعـاً

فلتحمليني ، أقول لك احمليني ايتها الطفولة
احمليني قصيدة هرماً خالـداً لا ينسـى
وهماً أسمى دون توريـة
ملتقى مفتوحاً بخـرق ، عميقـاً بقسوة
على جميع ألـوان الخلـود .

احمليني درباً عبر هـذه العاصفة
وعودي معي هادئة الى مرفأ العبور هـذا
عش الأحـلام الناعـم

الجيـاد

الجياد المنهكة جيد الفضاء المثقلة **تقترب**
(أمطاراً باهتة صامتة لا تعبـر ،)

تحت مهود راحتيّ في مفترق الطرق
اوه أيها الغذاء ، أقول غذ نفسك ناضجاً من العرق
مرتعداً من الرطوبة الدافئة التي ترشح
من أعطـاف الليـل

انطلق يا عصفوراً منسيّ الجناحين
راقصة بأقدام الماعز ، فرساً منهكـة ،
لتقفز عبر هـذه المفترقـات
ثم من جديـد ، عبر النافـذة
بـلا انقطـاع ، أبـداً
في وضح الفضـاء الظليـل

ميو دراغ بافلوفيتش (١٩٢٨)

MIODRAG PAVLOVITCH

بعد رحلة في عـالم الخيالات ، ثم الشعر الثقـافي والاستدلالي عاد الشاعر الى الطبيعة حيث اكتشف الاساطير الجماعية القديمة . ويعتبر واحدا من ابرز شعراء جيله ، يتميز بعقته المبهمة بعنايـة ، والواضحة بتحد وصلف في الوقت نفسه .

صلاة للموتى

(الى شاعر مات تحت القصر)

الشاعر

لمن أقول : وداعاً
وأنا الذي عرفت أن ليس ثمة مسافات ؟
الشكل الوحيد والزمن الوحيد
الذي احتفظت منه بذكرى فوق الشجرة المقتلعة
هو الألم
لقد جعلني مرئياً
في حياتي
وادعاً في مماتي
ولكن لا يمكن أن تقول للألم وداعاً
أو أي شيء آخر

قلب النساء

قلب الأموات

وداعاً تحت القبة السوداء
اضغط جبينك على الوسادة الفولاذية
أعد لنا الأزهار التي ازدرتها
أرفق بدموعنا المتواصلة
وساعدنا على أن نبقى أحياء

وفر على نفسك الحلم بالنشــور
أنت الذي اختارك فك من بارود
أصغ ــ أنت الذي تعلمت سهولة التواري ــ
الى الأصوات المتحلقــة للطيور الجوفيــة
دون تفكير بأسباب انبثــاق اللحم

وداعــاً يا من تمضــي
شرايين مفتوحــة وفمــاً مفتوحــاً
بين الحجــارة التي تنتظــرك

يا من اختــاره الغضب المألوف
يواكبــك ولاء طــاريء
ثمار انحلالك الكابيــة

اعرض قناعــك الفولاذي
على حشود آكلــة اللحوم الســذج
الذين سيبهجونك بخدماتهم الصغيرة

حرر نفسك من فضول ما وراء القبــر
ليس ثمــة آفاق لا مجدية
في عمق الأحداق الصفراء هــذه

أعد لنـا الهدايـا التي لا تحتاجها
أعد لنـا الفضـة والشمع
اللذين حفظانـا منـك

ستزدرد، دون مشقة، اللقمة الكبيرة
لجسدك الذي يفقد مفهـوم ذاتـه
وقد غدا جزيرة استطلاعات سريـة

ارفق بالدموع الشقيـة
بقربان الخـدود الملتهبـة

انس هول الفولاذ الذي يـدور
أصغ الى صوت الأوتار الجوفيـة

ساعدنا على أن نأكل عندما نجـوع
وأن ننقـذ جلودنـا
تحت الضربات التي تصنع آلاف الكيلومترات

دون أن نفكر بمعنى التمديـد
أو بشروق الشمس وغروبهـا
اللذين يتكاثـران كالفطـر

الشـاعر

لمن سأقـول وداعـاً
عندما تتمزق آذان الهواء ؟
من سيتعرف عليَّ في الأهرام الخشبية
دون باب دخول الـى القبـر ؟
على المفترق الطارىء حيث يرتدُّ البصر حسيراً
مـا من نشيـد يشير
الـى اللقـاء الخائب ،
ماذا لدي من قول يديعه حلقي المسحوق
في هذا الوعـاء حيث استلقيت
عارياً من العادات ومن مجرَّد الذاكرة ؟
وفرّوا على الأرض مزيداً من الحراثة
دعوني أتنفس في العفـن
واذكروني عندما تكون الكواكب قد غيرت مسارهـا
وتكون الريح قد تحدثت بصوت يحمل العزاء

القلبان

وداعـاً تحت القبـة السوداء

يا من اخترك فـلكة البارود

اصعط جبينك على الوسادة الفولاذيـة

حرِّر نفسك من الايمان بالقيامـة

وأعد لنا الأزهار التي ازدريتهـا

أنت الذي تعلم سهولة التواري

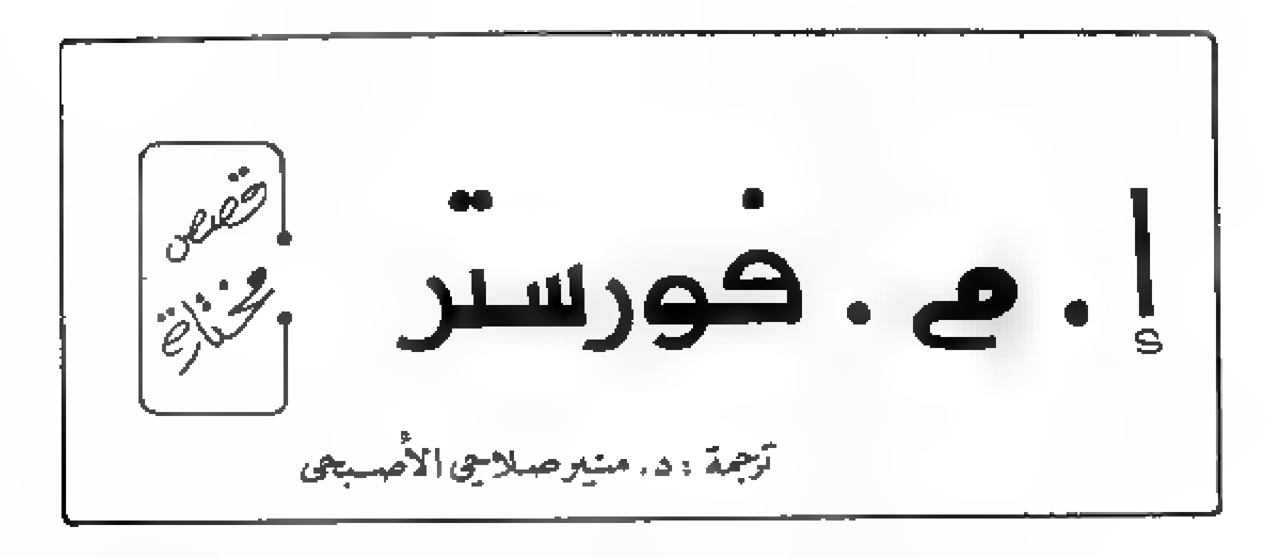
مصغيـاً الى دموعنـا المتواصلة

اسمع غناء العصافير الجوفيـة

وساعدنا على البقاء أحيـاء

دون تفكير بأسباب الولادات القديمـة





لا شك أن الكتيب الذي قدمته « الآداب الأجنبية » عن إ . م . فورستر وأعماله في عددها السابق يكفي كمقدمة للقصص التي نقدمها في هذا العدد . ولسنا بحاجة إلى أكثر من أن نذكر أن هذه القصص هي من مجموعتي القصص القصيرة الوحيدتين اللتين كتبهما فورستر وهما « الأمنيبس السماوي » **The Celestial Omnibus** و « اللحظة الخالدة » **The Eternal Moment** وقد طبعت المجموعتان فيما بعد في مجلد واحد تحت عنوان **Collected Short Stories** والقصص التي اخترناها ليست بالضرورة أفضل قصص المجموعتين ولكن طبيعة هذه القصص وطولها تجعلها أنسب قصص المجموعة في رأينا لهذه المجلة . والقصص الثلاث هي : **«The Other Side of the Hedge»** (جانب السياج الآخر) ـ مع ملاحظة أن كلمة **Hedge** تعني سياجاً من الشجيرات ـ و **«The Curate's Friend»** (صديق راعي الأبرشية) و **«Co-Ordination»** . ونحب أن ننوه هنا أننا كتبنا اسم الكاتب في العدد السابق « إ. م. فوستر » ولكننا وجدنا أن الأصح هو « فورستر » .

جانب السياج الآخر

عداد الخطى الذي كان معي بين لي أنني في الخامسة والعشرين ، وعلى الرغم من أن التوقف عن السير أمر فظيع ، فإنني كنت أشعر بتعب شديد جعلني أجلس على إحدى علامات الطريق لأستريح - أخذ الناس يسبقونني ، ويسخرون مني

اثناء ذلك ، لكنني كنت في حالة من اللامبالاة جعلتني لا أشعر بأي غضب ، بل حتى حين مرت بي الآنسة إلايزادسلبي ، المربية الكبيرة ، بسرعة خاطفة ، وهي تحضني على المثابرة ، اكتفيت بالابتسام وبرفع قبعتي •

في البداية اعتقدت أنني سأكون مثل أخي ، الذي اضطررت أن أتركه على جانب الطريق عند المنعطف قبل عام أو عامين • لقد بدد طاقته في الغناء وبدد قوته في مساعدة الآخرين • أما أنا فقد كنت في ترحالي أكثر حكمة ، ولم يكن ما جعلني أشعر بالاغتمام سوى رتابة الطريق ـ الغبار تحت قدمي والحواجز البنية التي تحدث حفيفا منذ أبعد وقت تعود بي الذاكرة إليه •

وقد أسقطت حتى الآن أشياء عديدة ـ حقاً ، لقد كان الطريق ورائي مغطى بالأشياء التي سقطت منا جميعاً ، وكان الغبار الأبيض يستقر فوقها ، بحيث انها لم تكن في مظهرها أفضل من الحجارة • كانت عضلاتي منهكة إلى حد أنه لم تعد باستطاعتي حتى أن أتحمل ثقل تلك الأشياء التي لازلت أحملها • انزلقت من على علامة الطريق وسقطت فوق الطريق ، مستلقياً على ظهري ، ووجهي نحو السياج الكبير الملفوح بالشمس ، وأنا أدعو أن تتنفذ قدرتي على الاحتمال •

أنعشتني هبة من الهواء • وقد جاءت على ما يبدو من السياج ، وحين فتحت عيني كان هناك وميض من النور عبر تشابك الفروع والأوراق الميتة • لا بد ان السياج لم يكن كثيفاً كما هو في العادة • وفي حالتي الضعيفة المرضية شعرت بتوق لاقتحامه ورؤية ما يوجد في الطرف الآخر • لم يكن هناك من شخص على مدى بصري ، وإلا لما جرؤت على المحاولة • إذ أننا ـ جماعة الطريق لم نكن نعترف في أحاديثنا بوجود طرف آخر على الاطلاق •

استسلمت للاغراء ، وأنا أقول لنفسي أنني سأعود خلال دقيقة • خدشت الأشواك وجهي ، واضطررت لاستعمال ذراعي كدرع وقاية ، معتمداً على قدمي وحدهما في التقدم إلى الأمام • كنت أود العودة من منتصف الطريق ، إذ أن جميع الأشياء التي أحملها سقطت أثناء مروري ، وتمزقت ملابسي • لكنني كنت قد انحشرت بشكل جعل العودة مستحيلة ، واضطررت أن أشق طريقي إلى الأمام

متلوياً على نحو عشوائي ، وأنا أتوقع في كل لحظة أن تخونني قواي وأن ألقى حتفي بين الشجيرات .

فجأة غمر الماء البارد رأسي ، وبدا لي أنني أغوص إلى الأسفل غوصاً أبدياً . لقد سقطت من السياج إلى بركة عميقة . أخيراً طفوت إلى السطح ، وأنا أصيح طلباً للنجدة ، وسمعت شخصاً على الضفة المقابلة يضحك ويقول : « واحد آخر ! » ثم انتُشِلت ومُدِّدت فوق الأرض اليابسة وأنا ألهث .

حتى حين لم يعد الماء يملأ عيني استمر شعوري بالدوار ، إذ لم أكن قبل الآن قط في مكان بمثل هذا الاتساع ، ولا رأيت عشباً مثل هذا أو أشعة شمس كهذه . فالسماء الزرقاء لم تعد مجرد شريط ، والأرض تحتها ارتفعت بأبهة مشكلة هضاباً ـ أعمدة نظيفة عارية تضم أشجار زان بين ثناياها وتمتد مروج وبرك صافية عند أقدامها . لكن الهضاب لم تكن عالية وكان هناك في المشهد الممتد أمامي ما يشعر بوجود الانسان ـ بحيث كان من الممكن للمرء أن يسميه متنزهاً أو حديقة لولا أن هاتين الكلمتين توحيان بشيء من التفاهة والتقييد .

في نفس اللحظة التي التقطت فيها أنفاسي التفتُّ إلى منقذي وقلت :

« إلى أين يقود هذا المكان ؟ »

« لا يقود إلى أي شيء والحمد لله ! » قال ، وضحك . كان رجلاً في الخمسين أو الستين ـ بالضبط في تلك السن التي كانت توحي إلينا ، جماعة الطريق ، بعدم الثقة ـ لكن لم يكن هناك اضطراب في تصرفاته ، وكان صوته صوت صبي في الثامنة عشرة .

صحت : « ولكن لا بد أن يقود إلى مكان ما ! » وقد غلبتني الدهشة لدى سماع جوابه حتى أنها أنستني أن أشكره على إنقاذه حياتي .

« يريد أن يعرف إلى أين يقود المكان ! » قال ذلك صائحاً موجهاً كلامه لضمة رجال على طرف الهضبة ، فأجابوه بالضحك وبالتلويح بقبعاتهم .

عندئذ لاحظت أن البركة التي سقطت فيها كانت في الواقع خندقاً مائياً

يتعرج إلى اليمين وإلى اليسار ، وأن السياج كان يتبعه باستمرار · كـان هـذا الطرف من السياج أخضر ـ وبدت جذوره في امام الصاقي ، والأسماك تسبح بينها ـ وكانت "مُتَوّجَهْ" أزهار من أنواع مختلفة · لكنه كان حاجزاً ، وفي لحظة فقدت كل شعور بالسرور لرؤية لمشب و لسمم والأشجار والرمال والنسام السمدام ، وأدركت أن المكان رغم كل جماله وامتداده لم يكن سوى سجن ·

ابتعدنا عن الحاجز ، ثم بـدأنا بالسير على ممر مواز له تقريبـاً يمر عبر المروج · وقد وجدت صعوبة في المسير ، ذلك انني كنت طيلة الوقت أحـاول أن أسبق رفيقي ، ولكن لم يكن ثمة جـدوى في ذلـك إذا كـان الطريق لا يقود لأي مكان · ولم أكن قد مشيت بنفس السرعة مع أي شخص قط منذ تركت أخي ·

وكان من المسلي له انني توقفت فجأة وقلت بوجوم ، « هذا مربع تماماً لا يمكن للمرء أن يسـير إلى الأمـام ، لا يمكن له أن يتقـدم · بينما نحن جمـاعة الطريق ··· »

« نعم · أعرف · »

« كنت على وشك أن أقول أننا نتقدم باستمرار · »

« أعرف · »

« نـا دائماً في حالة تعلم ، توسع ، تطور ، في الواقـع حتى خـلال حياتي القصيرة اتيحت لي رؤية قـدر كبير من التقدم ـ حرب بلاد « ما وراء لفال » ، المسألة المالية ، العلم اسبيحي ، الراديوم · هـ هنا على سبيل المثال ··· »

أخرجت مقياس المشي ، ولكنه لا يزال يشير إلى خمس وعشرين ، دون أن يزيد حتى درجة واحدة ·

« أوه لقد توقف · كنت أود أن أريك · كان المفروض أن يسجل جميع الوقت الذي سرت فيه معك · لكنه يجعل عمري خمساً وعشرين فقط · »

قال : « أشياء كثيرة لا تعمل هنا · في أحد الأيام أحضر رجل آلة ولكنها لم تعمل · »

« ان قوانين الطبيعة تطبق بشكل شامل • لا بد أن الماء في الخندق هو الذي عطّل الآلات • في الظروف الطبيعية كل شيء يعمل • اعلم والرغبة في التفوق ـ هاتان هما القوتان اللتان جعلتا منا ما نحن عليه • »

اضطررت الى قطع كلامي للاستجابة إلى التحيات اللطيفة الصادرة عن الناس الذين كنا نمر بهم • كان بعضهم يغني ، والبعض يتحدث ، والبعض الآخر ينهمك في أعمال الحدائق أو صنع التبن أو في صناعات أولية أخرى • كانت تبدو عليهم السعادة جميعاً ، وكان من الممكن أن أشعر أنا أيضاً بالسعادة ، لو استطعت أن أنسى أن المنطقة لا تقود إلى أي مكان •

بوغِتُ لرؤية شاب يعدو بسرعة عبر ممرنا ، ويقفز بطريقة رائعة فوق سياج صغير ، ويجتاز حقلاً مفلوحاً إلى أن رمى بنفسه في بحيرة وأخذ يسبح عبرها • كانت هذه حيوية حقيقية ، وصحت : « سباق ضواحٍ ! أين الآخرون ؟ »

« ليس هناك آخرون ، » أجاب مرافقي ؛ وفيما بعد ، حين مررنا بحشائش عالية كان يصدر عنها صوت فتاة تغني لنفسها برقة شديدة قال مرة أخرى • « ليس هناك آخرون » • وشعرت بالحيرة لهذا التبديد للانتاج ، وتمتمت أخاطب نفسي • « ما هو معنى هذا كله ؟ »

قال : « انه لا يعني أكثر من ذاته » ــ وكرر الكلمات ببطء كأنني طفل •

قلت بهدوء : « انني فاهم ولكنني لا أوافق • انه لا قيمة هناك في أي انجاز إذا لم يكن حلقة في سلسلة التطور • وعليّ ألا أستغل لطفك أكثر مما فعلت • فلا بد لي أن أعود بطريقة ما إلى الطريق ، وأن أصلح مقياس امشي الخاص بي • »

اجابني « يجب أولا أن نرى البوابات ، اذ لدينا بوابات وان كنا لا نستعملها أبداً • »

وافقت بأدب ، وقبل مضي زمن طويل وصلنا الى الخندق المائي مرة أخرى عند نقطة امتد فيها جسر فوقه • كانت هناك فوق الجسر بوابة ضخمة ، لونها

ابيض كالملح ، أقيمت في فتحة في السياج الفاصل • كانت البوابة تنفتح نحو الخارج ، وتفحصتها بدهشة ، اذ أنها كانت بداية لطريق ــ يماثل تماما الطريق الذي غادرته ــ يغطيه الغبار عند موطئه ، وعلى جانبيه سياجان لهما حفيف ممتدان على مدى البصر •

صحت : « هذا طريقي ! »

أغلق البوابة وقال . « لكن هذا ليس جزء الطريق الخاص بك • ان هذه هي البوابة التي خرجت منها الانسانية قبل عصور لا عد لها ، حين تملكتها رغبة السير لأول مرة • »

أنكرت ذلك ، مشيراً الى أن جزء الطريق الذي غادرته أنا نفسي لم يكن يبعد أكثر من ميلين • ولكنه كرر بعناد من هم في سنه : « انه نفس الطريق • هذه هي البداية ، ورغم أن اتجاهه من هنا يبدو مستقيماً فانه ينعطف انعطافات كثيرة جداً بحيث أنه لا يبعد أبداً عن حدودنا وأحياناً يحاذيها • » وانحنى فوق الخندق المائي ورسم على حافته المبللة شكلا يشبه متاهة • وبينما كنا نسير عائدين عبر المروج حاولت أن أقنعه بأنه مخطىء •

« الطريق ينعطف أحيانا بالتأكيد ،ولكن ذلك جزء من نظامنا • من يستطيع الشك بأن اتجاهه العام هو الى الأمام ؟ لانعرف الى أي هدف ــ قد يكون الهدف جبلاً يوصلنا الى السماء ، قد يكون عبر هاويات الى البحر • ولكن من يستطيع الشك بانه يتجه الى الأمام ؟ ان التفكير بذلك هو الذي يجعلنا نسعى الى التفوق ، كل بطريقته الخاصة ، ويعطينا حافزا تفتقرون أنتم اليه • فالرجل الذي مر بنا مثلا من الصحيح أنه أحسن الجري وأحسن القفز وأحسن السباحة ، لكن لدينا رجال يستطيعون الجري بشكل أفضل • لقد أعطى التخصص نتائج ستدهشك • وكذلك تلك الفتاة ••• »

هنا قاطعت نفسي وصحت • « ياللعجب ! أكاد أقسم أنها الآنسة إلايزا دمبلبي الواقفة هناك ، وقدماها في البحرة ! »

كانت هي بذاتها في اعتقاده •

« مستحيل ! لقد تركتها على الطريق ، والمفروض أنها ستلقي محاضرة هذا

المساء عند ترنبردج ولز ٠ وقطارها سينادر شارع كائن بعد ٠٠٠ سبما توقفت ساعتي مثل كل شيء آخر ٠ انها آخر شخص يفترض أن يوجد هنا ٠ »

« يتدهش الناس دائماً للقاء بعضهم البعض ٠ جميع الأنواع تأتي عبر السياح ، وتأتي في أي وقت ــ حين يكونون على وشك احتلال المرتبة الأولى في السباق ، حين يكونون متعثرين في الخلف ، حين يتركهم الآخرون على اعتقاد أنهم ماتوا ٠ غالباً ما أقف عند الحد الفاصل وأصغي الى أصوات الطريق ــ انك تعرف ما هي هذه الأصوات ــ وأتساءل ما اذا كان أحد ما سينتحي الجانب ٠ ان سعادتي الكبرى هي في مساعدة شخص ما على الخروج من الخندق ، مثلما ساعدتك ٠ فبلادنا تمتلىء ببطء ، رغم أنها وجدت من أجل الجنس البشري بأكمله ٠ »

« الجنس البشري له أهداف أخرى ، » قلت بلطف ، اذ انني استخلصت أنه حسن النية ، « ولا بد لي من الالتحاق بهم ٠ » تمنيت له مساء سعيداً ، اذ كانت الشمس في طريق الغروب ، وعبرت عن رغبتي في أن أكون على الطريق لدى حلول الليل ٠ ولكنه أمسك بي ــ مما أزعجني ــ وصاح : « لم يحن وقت ذهابك بعد ! » حاولت التخلص منه ، اذ لم تكن تجمعنا أية مصالح مشتركة وقد بدأت أضيق ذرعاً بتأدبه ٠ ولكن رغم كل جهودي لم يفلتني ذلك العجوز المزعج ، وبما أن المصارعة ليست من اختصاصي فقد اضطررت لأن أتبعه ٠

من الصحيح أنه لم يكن بامكاني على الاطلاق أن أجد بنفسي المكان الذي دخلت منه ، وكان أملي هو أن يعود بي اليه حين أنتهي من رؤية المشاهد التي كانت تشغل تفكيره ٠ لكنني صممت ألا أنام في ذلك المكان ، لأنه لم تكن لدي ثقة به ، ولا بشعبه ، رغم كل مودتهم ٠ وعلى الرغم من جوعي لم أقبل أن أشاركهم وجباتهم المسائية المؤلفة من الحليب والفواكه ، وحين أعطوني أزهاراً ألقيت بها بعيداً حالما كان بامكاني فعل ذلك دون استرعاء انتباه أحد ٠ كانوا قد بدأوا منذ الآن بالاستلقاء كالماشية استعداداً لقدوم الليل ــ بعضهم في العراء على سفح الهضبة العاري وبعضهم في جماعات تحت أشجار الزان ٠ وفي ضوء الغروب البرتقالي هرعت في سيري مع دليلي الثقيل ، وقد أنهكني التعب وأضناني الجوع ، لكنني كنت أتمتم

بعريمة صعبة : « هبني الحياة ، بكل كفاحها وانتصاراتها ، بكل خيباتها وكراهياتها، بمغزاها الأخلاقي العميق وهدفها المجهول ! »

أخيراً وصلنا الى نقطة امتد فيها جسر آخر فوق الخندق المحيط بالمكـــان وقامت بوابة أخرى في السياج الفاصل الممتد • كانت تختلف عن البوابة الأولى ، اذ كانت شافة مثل مادة قرنية وتنفتح نحو الداخل • لكنني رأيت مرة أخرى من خلالها ، في النور الشاحب طريقاً تماماً مثل الطريق الذي غادرته : رتيباً ، مغبراً ، على جانبيه سياجان بنيان لهما حفيف ، ممتداً على مدى البصر •

سبب المشهد لي قلقاً غريباً ، بدا وكأنه لا يترك في أية قدرة على ضبط نفسي • كان هناك رجل يمر بنا ، عائداً مع قدوم الليل الى اهصاب ، يحمل على كتفه منجلا وفي يده علبة فيها سائل ما • نسيت مصير جنسنا • نسيت الطريق الـــذي كان يقع تحت بصري ، وقفزت نحوه وانتزعت العلبة من يده وأخذت اشرب •

لم يكن السائل أقوى من البيرة على الاطلاق ، ولكنه تمكن مني في لحظة بسبب حالتي المنهكة • وكما لو أنني في حلم رأيت العجوز يغلق البوابة وسمعته يقول : « هذا هو مكان انتهــاء طريقك ، وعبر هــذه البوابة ستأتي الانسانية ــ كل ما تبقى منهـا إلينا • »

رغم أن حواسي كانت تنحدر الى اللاوعي ، فقد بدا أنها تتوسع حين وصولها اليه • إذ أدركت أغنية العنادل السحرية ، ورائحـة التبن غـير المرئي ، والنجوم الثاقبة في السماء المضمحلة • مددني الرجل الذي سرقت بيرته لأنام تحت تأثيرها، وحين فعل ذلك رأيت أنه أخي •

صديق راعي الأبرشية

ليس معروفاً بشكل مؤكد كيف حدث أن وُجِد اله المروج* في وِلتشَر • من

★ إله المروج Faun هو واحد من عدد من الآلهة الرومانية الريفية الثانوية ، ويرسم عادة بشكل كائن له جسم انسان وقرنا وأذنا ورجلا جدي •

(المترجم)

المحتمل أنه قدم مع جنود الفيلق الروماني ليعيش مع أصدقائه في المعسكر، يحدثهم عن لوكيرتليس ، أو عن غارغنتس على سفوح إتنا ؛ وفي فرحتهم حين ستدعمائهم للعودة نسوا أن يأخذوه معهم ، وبكي في المنفى . لكنه أخيراً وجد أن هضابنا أيضاً تفهم أحزانه ، وتفرح لسعادته • أو ربما كان سبب وجوده هناك أنه كان دائماً هناك • وليس من شيء كلاسيكي بشكل خاص فيما يتعلق بإله المروج : كل ما في الأمر هو أن اليونانيين والرومان كانوا دائماً ذوي عيون ثاقبة • إنك تجده في « العاصفة » وفي « الدعوات » ؛ وكل بلد فيه آجام من شجر الزان وعشب منحدر وجداول شديدة الصفاء يمكن تماماً أن ينتجه •

أما كيف تمت لي رؤيته فهذه مسألة أكثر صعوبة • اذ تتطلب رؤيته صفة معينة ، واستعمال كلمة الصدق هو تسمية لها باردة أكثر مما ينبغي والمزاج الحيواني تسمية جلفة أكثر مما يجب ، وهو وحده يعرف كيف حدث ان وُجِدَت هذه الصفة لدي • لا يحق لأي شخص أن يصف نفسه بأنه أحمق ، لكن يمكنني القول أنني كنت اشبه شخصاً أحمق شبهاً كاملا • كنت مروحاً دون روح نكتة وجاداً دون اقناع • كنت كل يوم أحد أحدث أبناء ابرشيتي الريفيين عن العالم الاخر بلهجة شخص كان وراء الكواليس ، أو اشرح لهم أخطاء البيلاجيسيين** ، أو أحذرهم من الركض المواتي وراء الملذات كل يوم ثلاثاء ، كنت أقوم بما أسميته « أحاديث صريحة مع أبنائي » ـ أحاديث تجاوزت كل ما هو محرج • وكل يوم خميس ، كنت أتحدث الى « اتحاد الأمهات » عن واجبات الزوجات أو الأرامل ، وأعطيهن أفكاراً عملية عن ادارة شؤون عائلة مؤلفة من عشرة أشخاص •

لقد خدعت نفسي ، ولفترة من الزمن خدعت إميلي بالتأكيد • لم اعرف قط أية فتاة تصغي بهذا الاهتمام لمواعظي ، أو تضحك من القلب بهذا الشكل على نكتي • لا عجب إذن أنني خطبتها • لقد برهنت أنها زوجة ممتازة ، تصحح بحرية سخافات زوجها ، دون أن تسمح لأي شخص آخر أن يتفوه بكلمة واحدة عن هذه السخافات ؛ تستطيع التحدث عن العقل الباطن في غرف الاستقبال ،

** اتباع بيلاجيوس Pelagius ، وهو راهب بريطاني عاش في القرن الرابع عشر وانكر مبدأ الخطيئة الأولى وقال بأن الانسان يتمتع بحرية إرادة مطلقة •

(المترجم)

ولكن أذنهـا تصغي للأطفال وهم يبكون في غرفتهم أو للصحون وهي تتكسـر في حجرة الأطبـاق • زوجة ممتازة ـ أفضـل مما تخيلت في أي وقت • لكنهـا لم تتزوجني •

لو أننا بقينا في البيت عصر ذلك اليوم لما حدث شيء • وكانت أم إميلي ، التي أصـرت على أن نتناول الشاي في الخلاء ، هي سبب كل مـا حدث • قبالة القرية ، عبر الجدول ، يوجد تل حوّاري صغير ، تتوّجه غيضة من أشجار الزان وبعض المتاريس الرومانية • (لقد حاضرت بحيوية بالغة حول هذه المتاريس ، ثم تبين فيما بعد أنها ساكسونية) • إلى هذا المكان جررت سلة فيها معدات الشاي وبساطاً ثقيلاً من أجل أم إميلي ، بينمـا مشت إميلي وصـديق صغير الحجم في المقدمة • كان الصديق الصغير الحجم ـ الذي لعب خلال الحادث بأكمله دوراً أقل أهمية بكثير مما يعتقد ـ شاباً لطيفاً ، ممتلئاً بالذكاء وبالشعر ، خاصة ما يدعوه شعر الأرض • كان تواقاً لأن ينتزع من الأرض سرها ، ولقد رأيته يضغط وجهه بحماس عاطفي على العشب ، حتى حين كان يظن أنه وحده • وكانت إميلي في ذلك الوقت ملأى بالتطلعات المبهمة ، ورغم أنه كان عليّ أن أفضـل أن تدور هـذه التطلعات كلها حولي ، فقد بـدا من غير المنطقي أن أنكر عليهـا الفرص الأخرى لتثقيف الذات التي كانت تتوفر في المنطقة •

كانت عـادتي في ذلك الوقت حين الوصول الى قمة أي مرتفـع أن أصيح مازحـاً : « ومن سيقف عـلى كلا الطرفين ويشكل جسراً معي ؟ » وفي نفس الوقت أحرك ذراعي بعنف أو أهجم بيقظة تامة على خصم وهمي • وقد تلقت إميلي وصديقها نكتتي كالمعتاد ، ولم ألحظ أي تصنع في مرحهما • لكنني كنت على قناعة أن شخصاً كان موجوداً لم يجدني مضحكاً ، ولا بد أن أي خطيب بين الناس سيقدر توتري المتزايد •

وقد سرّت أم إميلي عني قليلاً ، إذ انتفخت قائلـة : « ما الطف هـاري ، الذي حمل جميع الأشياء ! ماذا سنفعل بدونك ، حتى في هذا الوقت ! آه ، ياالجمال المشهد ! هل تستطيعون رؤية الكاتدرائية العزيزة ؟ كلا ! الضباب شديد • الآن سأجلس انا فـوق البسـاط • » وابتسمت بغموض • « الانحطاط في ايلـول ، كما تعلـم • »

أبديا اعجاباً لا حماس فيه بالمشهد ، الذي كان حقاً جميلاً فقط لأولئك الذين يعجبون بالأرض ، وبالنسبة لهؤلاء فانه قد يكون أجمل مشهد في انكلترا . إذ هنا يقع جسم العنكبوت الحوّاري الكبير الذي يمد أطرافه فوق جريرتنا ـ والذي أرجله هي المرتفعات الجنوبية والمرتفعات الشمالية وهضاب تشلترن ، والذي تطهر رؤوس أصابعه في كرومرودوفر - وهو مخلوق نظيف ، ينبت أقل ما يمكنه من الأشجار ، وهذه الأشجار القليلة تنبت في آجام منسقة وهو يحب أن تدغدغه الجداول السريعة الجريان . وتنتشر فوق جميع أنحاء جسمه بثور من المتاريس ، إذ منذ بداية التاريخ يتقاتل الناس للاستئثار بحق الوقوف فوقه ، وأقدم معابدنا مبنية فوق ظهره .

لكنني في تلك الأيام كنت أحب لبلادي أن تكون مريحة دافئة وجميله ، ملأى بمنازل السادة والأكواخ الظليلة والناس الذين يلمسون قماتهم . كانت الامتدادات الشاسعة الكئيبة التي يمكن للمرء أن يمشي أميالاً عدة عليها تقريباً دون أن يغير أيّاً من ملائم الطريق أو أن يقابل أي شخص مهذب لا تزال بالنسبة لي لا تطاق . لذا استدرت حالما أعطتني الناقة فرصة لذلك وقلت . « وهل لي الآن أن أعد الكأس الذي يعش ؟ »

أجابت أم إميلي : « يا لك من رجل لطيف ، إذ تساعدني . انني دائماً اقول أن انشاي في الخلاء يستحق الجهد الاضافي . كم أتمنى لو أن حياتنا أكثر بساطة . » ووافقناها على قولها . أخرجت الطعام . « ألن يثبت الابريق ؟ آه . إجعله يثبت . » فعلت ذلك . صدرت صيحة ، خفتة ولكن واضحة ، كما لو كان شيء ما يتألم .

« ما أشد السكون في كل شيء هنا ! » قالت إميلي .

سقط مني عود كبريت مشتعل على العشب ، ومرة أخرى سمعت الصيحة الخائفة .

سألت : « ما هذا ؟ »

قالت إميلي « لقد قلت فقط أن كل شيء ساكن جدا » .

« ساكن بالتأكيد ، » ردد صديقها الصغير الحجم ·

ساكن ! لقد كان المكان ممتلئاً بالأصوات · لو أن عود الكبريت سقط في غرفة استقبال لما كان الأمر أسوأ ، وأعلى الأصوات صدر من جانب إميلي نفسها · لقد كان إحساسي تماماً كاحساس المرء حين يذهب الى حفلة ، وينتظر أن يعلن اسمه في قاعة الأصدقاء ، حيث بإمكانه أن يسمع أصوات الضيوف ولكن ليس بمقدوره بعد أن يرى وجوههم · انها لحظة عصبية لرجل خجول ، خاصة إذا كانت جميع الأصوات غريبة بالنسبة له وإذا لم يكن قد قابل مضيفه قط ·

« عزيزي هاري ! » قالت السيدة الأكبر سناً ، « لا تشغل نفسك بعود الثقاب ذاك · انه سينطفيء ولن يؤدي أي انسان · الشاي ـ ي ـ ي ! انني دائماً أقول ـ وستجد أن إميلي على نفس الوتيرة ـ أنه حين تقترب الساعة الخامسة السحرية ، ومهما كان هدام المرء دسماً ، فانه يبدأ بالشعور بشيء من ··· »

إن إله المروج هو من النوع الذي يمرح عابثاً في النقوش النافرة من المدرسة الأثينية الحديثة ، وإذا لم تلاحظ أذنيه أو ترى ذيله ، فانك ستظن أنه رجل وستشعر بالرهبة ·

صحت متهيجاً : « سماحة ! صبيان قريتنا يقومون بمثل هذا العمل ، لكنني أوافق تماماً ··· اشرف أكبر ··· انني ألوم نفسي · اذهب من هنا ، أيها الولد الشقي ، إذهب من هنا ! » ·

« ما الذي سيخطر له بعد هذا ! » قالت إميلي ، بينما نهض الكائن الموجود إلى جانبها واومأ إليّ · مشيت نحوه بجهد كبير وبخطوات صغيرة وأنا أقوم بإيماءات وأصيح صيحات مروّعة ، محاولاً طرد الشبح بتحريك قبعتي ـ لم أمش بشكل مختلف في اليوم السابق حين أرتني بنات أخت إميلي خنزيرهم الهندي · ولم يكن الضحك القلبي الذي أثرته الآن أقل · وإلى أن أطلقت الأصابع العربية عليّ ، كنت لا أزال أظن أن هذا كان أحد أعضاء أبرشيتي ولم أتوقف عن الصياح : « دعني أيها الولد المشاكس ، دعني ! » وأجابت أم إميلي ، معتقدة أنها

فهمت النكتة . « في الواقع عليّ أن أقر أنهم أولاد مشاكسون ويلحقون بالمرء حتى على البساط : انحطاط أيلول ، كما قلت من قبل . »

عندها لمحت الذيل ، وأصدرت صرخة جامحة وهربت الى أجمة الزان التي كانت خلفي .

« لقد وُلد هاري ليكون مثلاً » ، قالت أم إميلي وأنا أبتعد عنهم .

ادركت أن أزمة كبيرة في حياتي كانت على وشك الوقوع ، وأنني إذا فشلت فيها فانني قد أفقد احترامي لنفسي فقداناً دائماً . كان حشد من الأصوات قد بدأ يجعلني أشعر بالقلق ـ أصوات الهضبة تحت قدميّ ، والأشجار فوق رأسي ، بل والحشرات وهي داخل جذوع الأشجار . بل انني استطعت سماع الجدول وهو يلتهم قطعاً صغيرة من المروج والمروج وهي تحتج احتجاجاً حالماً . وفوق الضجيج ـ الذي لم يكن أعلى من أزيز أجنحة نحلة ـ ارتفع صوت إله المروج يقول : « أيها القسيس العزيز ، تمالك نفسك ، تمالك نفسك . ما الذي يخيفك ؟ »

قلت . « لست خائفاً » ـ وبالتأكيد لم يداهمني الخوف . « لكنني حزين : لقد ألحقت بي العار على مرأى من سيدتين . »

« لم يرني أي شخص آخر » ، قال وهو يبتسم بكسل . « السيدتان ترتديان جزمتين ضيقتين والرجل ذو شعر طويل . هذه الأنواع لا ترى أبداً . منذ سنوات وأنا لا أتكلم إلا مع الأطفال ، وهم يتوقفون عن رؤيتي حالما يبلغون الرشد . أما أنت فلن تستطيع التوقف عن رؤيتي ، وإلى أن تموت ستظل صديقي . الآن أبدأ باسعادك استلق على ظهرك ، أو تسلق الأشجار ، أو هل أحضر لك بعض التوت ، أو الجريس ، أو الزوجات ... »

بصوت رهيب قلت له : « قف خلفي ! » ووقف خلفي . « للمرة الأولى والأخيرة ، » أضفت ، « دعني أقول لك أنه من العبث محاولة اغواء شخص تكمن سعادته من إعطاء السعادة للآخرين . »

« إنني لا أستطيع فهمك ، » قال بلهجة أسف . « ما هو الاغواء ؟ »

قلت وانا التفت « يالكائن الغابات المسكين ! كيف يمكن لك أن تفهم ؟ لا جدوى هناك في قيامي بتأنيبك • ليس من طبيعتك الضئيلة أن تفهم حياة مبنية على انكار الذات • آه ! لو كان بامكاني أن أنفذ إليك ! »

« لقد نفذت إليه » ، قالت الهضبة •

« لو كان بامكاني أن ألمسك !

« لقد لمسته » ، قالت الهضبة •

وانفجر إله المروج يقول : « لكنني لن أتركك أبداً • إنني سأقوم بكنس معبدك ، وسأرافقك إلى اجتماع السيدات • وسأغنيك في الأسواق • »

هززت رأسي • « إنه لا اهتمام لدي بهذه الأشياء على الاطلاق • وفي الواقع ملت في البداية إلى رفض عرضك لخدماتك كلياً • لكنني كنت مخطئاً في ذلك • انك ستساعدني ••• ستساعدني على جعل الآخرين أكثر سعادة • »

« أيها القسيس العزيز ، يالها من حياة عجيبة ! اشخاص لم أرهم من قبل قط ، أشخاص لا يستطيعون رؤيتي ، لِمَ عليّ أن اسعدهم ؟ »

« أيها الصبي المسكين ـ ربما مع مرور الزمن ستعرف السبب • اذهب الآن • باشر • على هذه الهضبة بالذات تجلس فتاة أكن لها احتراماً كبيراً • أبدأ بها • هاك! ان الخيبة ترتسم على وجهك • هذا ما ظننته • انك لا تستطيع فعل أي شيء • وهذه خاتمة المسألة بأكملها ! »

أجاب : « يمكنني جعلها سعيدة اذا أمرتني ، وحين أنتهي من القيام بذلك فانك قد لا تثق بي بعدها • »

كانت أم إميلي قد بدأت في التوجه الى البيت ، لكن إميلي والصديق الصغير الحجم جلسا بجانب معدات الشاي ـ هي في ثوبها الأبيض المضلع وقبعتها السمراء وهو في بذلته الصيفية الخشنة والتي هي مع ذلك جيدة الخياطة • وارتفع رأس إله المروج بقوامه الوثني الضخم وراءها بوقاحة •

كان الصديق يقول : « وهل شعرت قط بالوحدة المرعبة وأنت بين حشد من الناس ؟ »

أجابت إميلي « لقد شعرت بذلك كله ، وأكثر بكثير جداً ... »

ثم وضع إله المروج يديه فوقهما . وهما ، اللذان لم يقصدا أكثر من عبث حضاري بسيط ، قاوماه أطول فترة ممكنة ، ولكن كلاً منهما دُفع بالتدريج الى ذراعي الآخر ، وتعانقا بعاطفة شديدة .

صحت متفجراً من الأجمة : « أيها الشرير ! لقد خنتني . »

« أعرف ذلك : ولا يهمني ، » صاح الصديق الصغير . « لقد جانياً . انك في حضرة شيء لا تفهمه . في العزلة الكبرى وجدنا نفسينا أخيراً . »

« ارفع يديك اللعينتين ! » صحت مخاطباً إله المروج .

انصاع لأمري ولكن الصديق الصغير تابع كلامه بهدوء أكبر . « لا طائل وراء التقريع . ما الذي تعرفه أيها الكائن لكهوتي لمسكين عن سر الحب بين الرجل الأزلي والمرأة الأزلية ، عن بناء الروح لذاتها ؟ »

« هذ صحيح ، » قالت إميلي بغضب . « لم يكن من الممكن لك أبداً يا هاري أن تجعلني سعيدة . انني سأعاملك كصديق ، ولكن كيف استطيع أن أعطي نفسي لرجل يقوم بمثل هذه النكات السخيفة ؟ حين مثلت دور لمهرج ساعة تناول الشاي ، تقرر مصيرك ، يجب أن أعامَل على نحو جديّ : يجب أن أرى اللاتناهيات تتسع حولي حين أنهض . قد لا توافق أنت على ذلك ، ولكن هكذا أنا . في العزلة الكبرى ، وجدت نفسي أخيراً . »

صحت . « يا للفتاة التعيسة ! العزلة الكبرى ! يا للزوج من الدمى العاجزة ... »

بدأ الصديق الصغير يبتعد باميلي ، لكنني سمعتها تهمس قائلة . « انه لا يمكن لنا ياعزيزي أن نترك السلة لهاري بعد هذا الذي حدث ، وبساط أمي ، هل لديك مانع أن تحمله في اليد الأخرى ؟ »

وهكذا غادرا المكن ورميت أنا نفسي على الأرض بكل مظاهر اليأس •
« أهو يبكي ؟ » قال إله المروج •
« إنه لا يبكي ، » أجابت الهضبة « عيناه جافتان كالحصى • »
جعلني معذبي أنظر اليه • « إنني أرى السعادة في أعماق قلبك ، » قال •

قلت بعناد : « لا بد أن لدي ينابيعي السرية • » ثم أعددت حطب شجب انتقادي ، ولكن من بين كل الكلمات التي كان من الممكن أن أستعملها ، لم أقـل سوى واحدة تبدأ بحرف « ل » • *

بدت عنه صيحة مبتهجة : « آه ، الآن أنت تنتمي الينا حقاً • حتى نهاية حياتك ستصب اللعنات حين تغضب وستضحك حين تكون سعيداً • الآن اضحك ! »

خيم صمت كبير • الطبيعة بأسرها وقعت تنتظر بينما كان راعي أبرشية يحاول أن يخيم أفكاره ليس على الطبيعة فقط بـل على نفسه أيضـا • فكرت بكبريائي الجريحة ، بلا أنانيتي المحتارة ، باميلي ، التي فقدتها لا لخطأ ارتكبته ، بالصديق الصغير الحجم ، الذي في تلك اللحظة تماماً تعثر تحت وطأة سلة الشاي الثقيلة ، وهذا ما جعلني أتخذ قراراً ، اذ ضحكت •

في ذلك المساء ، سمعت للمرة الأولى المرتفعات الحوارية تمتي لبعضها البعض عبر الوديان ، كما يحدث لي الآن غالباً حين تكون الريح هادئة وحين يكون يوم هذه المرتفعات مريحاً • مـن غرفة مكتبي استطعت رؤيـة اله المروج يغمره نور الشمس ، وهو يجلس أمام أجمة الزان كما يجلس الرجل أمام بيته • وحين أتي الليل عرفت معرفة أكيدة ليس فقط أنه نائم بل أن الهضاب والغابات نائمة أيضاً • الجدول بالطبع لم ينم قط ، تماماً مثلما أنه لم يتجمد قط • حقاً ، ان ساعـة الظلمة هي بالتأكيد ساعة المياه ، التي تكون الى حد ما قد حنقت طوال النهار على يد نبضات الأرض الكبيرة - هذا هو السبب في انك تستطيع أن تشعر بالمياه وأن تسمعها من مسافة أبعد في الليل ، وفي ان الاستحمام بعد الغروب رائع جداً •

(*) في الأصل حرف « D » اول حرف في كلمة «Damn» (اللعنة) وسبب امتناع راعي الأبرشية عن ذكر الكلمة بوضوح هو انها كلمة يفترض ان لا يتداولها الشخص المهذب •

لا تزال سعادة ذلك المساء الأول واضحة في ذاكرتي ، بالرغم من جميع السنوات السعيدة التي تلت . انني أذكرها حين أرتقي منبري – فالان هناك دخل خاص لكنيستي – وأنظر الى خيرة الناس يجلسون تحتي على مقعد خلف مقعد ، كرماء وقانعين ، والى أسوأ الناس ، المزدحمين في الأجنحة ، والى المغنين ذوي الأصوات العالية والسوالف الطويلة في الحوقة ، والى رجال الكنيسة والقيمين عليها المثقفين وأصابعهم تمسّ بمقتنياتهم ، والى التندلمت الشامخ الذي يمنع المتأخرين من الدخول . وأذكرها أيضاً حين أجلس في السكن المريح المخصص لي كقسيس أعزب ، بين الحفوف التي صنعتها لي الشابات الطيبات ، وحاملات المصابيح السنديانية التي حفرها لي الشباب الطيبون ، ومجموعتي من أباريق الشاي المهداة وشهادات التقدير المقدمة وجميع الهدايا الأخرى من الناس الذين يعتقدون أنني مددت لهم يد المساعدة ، والذين هم أنفسهم ساعدوني على الخروج من الوحل . ورغم أنني أحاول ان انقل تلك السعادة للآخرين – مثلما أحاول أن أنقل كل شيء يبدو جيداً – ورغم انني أنجح أحياناً ، لكنني لا أستطيع بالضبط ان أخبر أي شخص كيف حصلت على هذه السعادة إذ لو أنني تفوهت بكلمة واحدة عن ذلك ، فان حياتي الراهنة ، المُرضية والمجدية جداً ، سوف تنتهي ، وستتركني رعيتي ، وهكذا فانني بدلا من أن أكون مصدر نفع لأبرشيتي ، سأجد نفسي عبئاً على الأمة . لذا فانني أرغمت أن أستعمل بدلا من المعالجة الشاعرية والخطابية ، المناسبة جداً لهذا الموضوع ، والمنسجمة تماماً مع مهمتي – أن أستعمل الصيغة القصصية التافهة ، وأن أضللكم بالتصريح بأن هذه قصة قصيرة ، مناسبة للقراءة في القطار .

تنسيق

« لا تضربني ، » قالت الآنسة هادن . « وكل تعاقب للنغمات يجب أن يكون مثل عقد من اللآلىء . لكنه ليس كذلك ما السبب ؟

« إلين ، أيتها البهيمة ، لقد عزفت النغمة الخاصة بي . »

« لا ، لم أفعل . أنت التي عزفت نغمتي . »

« فادن نغمة من هذه ؟ »

نظرت الآنسة هادن بين ضميريتيهما ، ثم قررت • « انها نغمة ميلْدرِد • عودا الى الفواصل المزدوجة ، ولا تضربي • »

عادت الفتاتان ، ومرة أخرى تنازع خنصر يـد ملدرد اليمين على الـ G المتوسطة مع خنصر يد الن اليسرى •

قالتا : لا يمكن عزفها • ان الخطأ هو خطأ الرجل الذي ألفها • »

« يمكن عزفها بسهولة اذا لم تطبلي إلى هذا الحد يا الن ، » قالت الآنسة هادن •

دقت الساعـة الرابعة • خرجت ملدرد وإلن ، وتلتهما روز وإتـِد • عزفتا الثنائيه بشكل أسوأ مـن ملدرد ، ولكن ليس سيئاً مثل عـزف إلـن • في الرابعة والربع أتت مارغرت وجين • عزفتا بشكل أسوأ من روز وإند ، ولكن ليس سيئا مثل عزف إلن • في الرابعة والنصف أتت دولورِس وڤيولت • عزفتا بشكل أسوأ من إلن • في الخامسة الا ربع ذهبت الآنسة هادن لتناول الشاي مع المديرة ، التي شرحت سبب رغبتها في أن تتعلم التلميذات نفس الثنائية • كان ذلك جزءاً مـن نظامها التنسيقي الجديد • فالمدرسة تناولت موضوعاً واحداً للعام بأكمله ، واحداً فقط ــ نابليون ــ وتوجّب أن تكون كل الدراسات متعلقة بهذا الموضوع الواحد • وهكذا ــ اذا أغفلنا ذكر اللغة الفرنسية والتاريخ ــ كانت التلميذات في مـادة الاستظهار يتعلمن قصائد وردزورث السياسية ، وفي مادة الأدب يدرسن مقاطع من « الحرب والسلم » ، وفي مـادة الرسم يقلدن بعض أعمـال ديفِد ، وفي التطريز يصممن أثواباً امبراطورية ، أما في الموسيقى ــ فانهن بالطبع كن يتمرن عـلى سمفونية « البطولـة » لبتهوفن ، والتي بُدئت (ولكن لـم تكمل) على شـرف الامبراطور • كان هناك عدد من المعلمات الأخريات يتناولن الشاي ، وقد عبرن عن مدى حبهن للتنسيق ، وكيف أنه نظام رائع ، فهو يجعل عملهن وكذلك عمل الفتيات أكثر تشويقاً بكثير • لكن الآنسة هادن لم تتجاوب • اذ لم يكن هناك أي تنسيق في يومها ذاك ، ولم تستطع فهم السبب • كل ما عرفته هو ان الكبر بدأ يدب فيها وانها تعلم الموسيقى على نحو أسوأ فأسوأ ، وتساءلت كم من الوقت سيمضي قبل أن تكتشف المديرة هذا وتقيلها •

أثناء ذلك ، وفي مكان عال من السماء ، جلس بتهوفن ، وحوله من كـــل الأطراف جلس موظفوه ، مصطفين على غيوم أصغر حجماً • كان كل منهم يدون قيوداً في دفتر وكان لموظف الذي يحمل دفتره اسم « سمفونية البطولة : ورعها على أربعة عازمين كارل مولر » يدون هذه القيود . « ٣٫٤٥ . مددرد وإلس ، بقيادة الآنسة هادن • ٤٫٠٠ : روز وإنـد ، بقيادة الآنسة هــادن • ٤٫١٥ : مارغرت وجين ، بقيادة الآنسة هادن • ٤٫٣٠ ••• »

قاطعه بتهوفن يسأل . « من هي هذه الآنسة هادن ، الذي يتكرر اسمها مثل قرع الطبــل ؟ »

« انها تقوم بتفسير أعمالك منذ سنوات عديدة • »

« وجوقتهــا ؟ »

« انهن فتيات من الطبقة المتوسطة العليا . يعزفن (البطولة) باشرافها كل يوم طوال النهار • ان صوت السمفونية لا ينقطع أبداً • وهو ينساب خارجاً من النافذة مثل بخور لا ينفذ ، ويُسمع في طرفي الشارع • »

« هل يقمن بالعزف ببصيرة ؟ »

وبما أن بتهوفن أصم ، فقد تمكن الموظف من أن يجيب ، « ببصيرة عميقة جداً • لقد مر وقت كانت إلن فيه أكثر بعداً عن روحك من الأخريات ، ولكن لم تعد الحال كذلك منذ وصول دولورس وفيولت • »

« الهمتها الرفيقات الجدد • انني أفهم ذلك • »

سكت الموظف •

« انني أوافق ، » أضاف بتهوفن ، « وكدليل على موافقتي آمر أن تستمع الآنسة هــادن وجوقتهــا وكل من في بيتهن هذا المســاء بالذات الى عـزف مثالي لرباعيتــي الـ A minor »

بينما كان يجري تدوين الأمــر وهيئة الموظفين تتساءل عن كيفية تنفيذه ، جرى مشهد يفوق حتى هذا في الروعة في مكان آخر من السماء • هنا جلس نابليون ، يحيط به موظفوه ، الذين كان عددهم كبيراً الى حد أن العروش التي جلس عليها أكثرهم بعداً بدت لا تزيد حجماً عن سحاب النمر • وكانوا منهمكين في تدوين كل

ذكر لمستخدميهم يجري على الأرض ، وهي مهمة تعلمهم بنفسه من أجلها • وكان يسأل بين كل بضع دقائق : « وما هي آخر تطوراتنا ؟ »

أجاب الموظف الذي يحمل دفتره عنوان « قصائد وردزورث التقديرية » :

« ۰ ۰ ر٥ ملدرد وإلن وروز وإند ومارغرت وجين • جميعهن رددن قصيدة (ذات مرة كان الشرق الرائع في قبضتها) • وقد حاولت دولورس وفيولت ترديدها ، ولكنهما فشلتا • »

« في هذه القصيدة يمجد الشاعر عزوي لجمهورية البندقية ، » قال الامبراطور ، « وقد ارتج على دولورس وفيولت بسبب عظمة الموضوع •من الطبيعي أن تفشلا • والتطورات التالية ؟ »

قال موظف آخر : « ١٥ر٥ : ملدرد وإلن وروز وإند ومارغريت وجسين يرسمن الرجل الأمامية اليسرى لكنبة بولين بونابرت • بينما لا تـزال دولورس وفيولت تحفظان القصيدة • »

قال نابليون : « يبدو لي أنني سمعت هذه الأسماء الساحرة من قبل • »

« انها في دفتري ايضاً ، » قال موظف ثالث • « قد تتذكر يا سيدي أنهن قبل حوالي ساعة عزفن سمفونية (البطولة) لبتهوفن ••• »

« التي كتبت على شرفي ، » أكمل الامبراطور • « انني أوافق • »

قال موظف رابع : « ٣٠ر٥ : باستثناء دولورس وفيولت اللتين عهد اليهما بري الأقلام ، تغني المجموعة بأكملها نشيد المارسيليز • »

« هذا بالضبط ما كـان ينقصني ، » صاح نابليون وهـو يهمس واقفاً • « لدى هؤلاء الأوانس اندفاع نحو المجد * • انني آمر كمكافأة لهن وليتهن أن يشتركن صباح الغد في انتصار أوسترلتز • »

دون الأمر •

كان وقت التحضير المسائي في السابعة والنصف • أخذت الفتيات الى غرفتهن

(*) بالفرنسية في الأصل Ces demoiselles ont un vrai élan vers la gloire .
(المترجم)

والكآبة تسيطر عليهن ، فقد وصل بهن الضجر من النظام الجديد الى حد البكاء . ولكن شيئاً رائعاً حدث . اذ مرت فرقة من الفرسان من أمام المدرسة ، تسبقها جوقة موسيقية ممتازة . طار عقل الفتيات من السرور . نهضن من مقاعدهن وغنين ورقصن وقفزن وصنعن أبواقاً من الورق واستعملن اللوح كطبلة . وقد أتيح لهن القيام بذلك لأن الآنسة هادن ، التي كان ينبغي أن تشرف عليهن ، تركت الغرفة قبل ذلك للعثور على شجرة عائلة ماري لويز ، فقد شددت معلمة التاريخ عليها أن تحضرها الى غرفة التحضير كي يتاح للفتيات أن يتسلقنها ، لكنها كانت قد نسيت . « انني لا أصلح لشيء على الاطلاق . » فكرت الآنسة هادن ، بينما كانت تمد يدها لتناول الشجرة ، التي كانت موضوعة فوق أوراق أخرى تحت صدفة حصلت المديرة عليها من سينت هيليبا . « انني غبية وتعبة ومسنة . ؛ كم أتمنى لو كنت ميتة . » وبينما هي تفكر بهذا الشكل ، رفعت الصدفة الى أذنها؛كثيراً ما فعل والدها ـ الذي كان بحاراً ـ نفس الشيء معها حين كانت صغيرة ...

سمعت صوت البحر ؛ في البداية كان صوت المد يهمس على الاستواءات الطينية ، أو يثرثر وهو يرتطم بالحجارة ، أو صوت موجة تزمجر زمجرة طويلة ذات صدى وهي تصطدم بالصخور ، أو أصوات أواسط المحيط ، حيث تراكم المياه نفسها مشكلة جبالا أو تنحسر عن نفسها مشكلة ودياناً ؛ أو حين يهبط الضباب وترتفع الأعماق وتهبط بلطف ؛ أو حين يكون الهواء عليلا بشكل يجعل الأمواج الكبيرة والأمواج الصغيرة التي تعيش داخل الأمواج الكبيرة تغني جميعاً من الفرحة، وترسل واحدتها الى الأخرى قبلات من الزبد الأبيض . سمعت هذه الأصوات جميعها ، ولكن في النهاية سمعت البحر نفسه ، وعرفت أنها امتلكته الى الأبد .

« آنسة هادن ! » قالت المديرة . « آنسة هادن ما السبب في أنك لا تقومين بالاشراف على الفتيات ؟ »

أبعدت الآنسة هادن الصدفة عن أذنها ، وواجهت مستخدِمتها بعزم متزايد .

تابعت المديرة : « انني أستطيع سماع صوت إلى رغم أننا في الطرف الآخر من المبنى . كنت أظن أن هذا وقت حصة التدرب على الخطابة . من فضلك يا آنسة هادن ، ضعي مثقل الورق هذا في الحال وعودي الى واجباتك . »

تناولت الصدفة من يد معلمة الموسيقى ، بنية وضعها على الرف المناسب • ولكن قوة التأثر بمثال الآخرين جعلها ترفعها الى أذنها • وقد أصغت هي أيضاً •••

سمعت حفيف الأشجار في غابة • لم تكن أية غابة عرفتها قط من قبل ، لكن جميع الناس الذين تعرفهم كانوا يتجولون فيها على ظهور الجياد ، وينادي بعضهم البعض باستعمال أبواق ناعمة الصوت • كان الوقت مساء ، وهم منهمكون بالصيد• بين الفينة والأخرى تحركت حيوانات محدثة حفيفاً ، وفي احدى المرات سمعت صوت يقول « هالو و و ! » وتلت ذلك مطاردة ، ولكن على الغالب تجول أصدقاؤها على جيادهم بهدوء ، وكانت هي معهم ، يخترقون الغابة في جميع الاتجاهات والى الأبـــد •

وبينما كانت تستمع الى هذا باحدى أذنيها كانت الآنسة هادن تتكلم على هذا النحو مخاطبة الأذن الأخرى

« لن أعود الى واجباتي • لقد كنت أهملها باستمرار منذ قدومي الى هنا ، ولن يُحدث اهمـــال جديد أي فرق كبير • انني لا أمتلك موهبة موسيقية • وقـــد خدعت التلميذات والأولياء وخدعتك • ليست لدي موهبة موسيقية ، لكنني ادعيت ذلك للحصول على النقود • انني لا أعرف ما سيحدث لي الآن ، ولكنني لم أعـــد قادرة على الادعاء • انني أعطيك انذاراً • » *

دهشت المديرة حـين عرفت أن معلمة الموسيقى لديهـــا لا تمتلك موهبة موسيقية ، فأصوات البيانو كانت مستمرة منذ سنوات عديدة مما جعلها تفترض ان كل شيء يجري على ما يرام • وفي الظروف العادية كانت ستجيب بصرامـــة قاسية ، اذ أنها سيدة مكتملة ، لكن همهمة الغابة جعلتها تقول : « أوه يا آنســـة هادن ، في غير هذا الوقت • لنبحث الموضوع غداً • والآن اذا سمحت أريد منـــك أن تستلقي في غرفة جلوسي بينما أستلم أنا التحضير بدلا عنك ، اذ أن وجودي مع البنات يشعرني دائماً بالراحة • »

(*) المقصود بالطبع ان الآنسة هـادن هنا تعني انذاراً بأنهـا ستستقيل ، كما هو معروض فيمن ينوي ترك عمله • (المترجم)

وهكذا انطلقت الآنسة هادن ، وحين غلبها السبات عادت روح البحر اليها . وذهبت المديرة ، ورأسها ممتلىء بهمهمة الغابت ، الى غرفة التحضير ، وسعلت ثلاث مرات قبل أن تفتح الباب . كانت جميع الفتيات على مقاعدهن ما عدا دوبورس وفيولت ، وقد تظاهرت بأنها لم تنتبه إليهما . بعد فترة ذهبت لاحضار شجرة ماري لويز ، التي كانت قد نسيتها ، وأثناء غيابها مرت فرقة الفرسان من جديد ...

في الصباح قالت الآنسة هادن : « لا أزال أود الاستقالة ، ولكن اتمنى لو أنني انتظرت قبل أن أتحدث اليك . اذ لدي خبر غير عادي . قبل سنوات عديدة أنقذ والدي شخصاً من الغرق ، وقد توفي هذا الرجل قبل أيام ، وترك لي كوخاً على حافة البحر ، ومبلغاً من المال يساعدني على العيش فيه . لست بحاجة الى العمل بعد الآن ، ولذلك لو أنني انتظرت حتى اليوم لأمكنني أن أكون أكثر لباقة معك ، » وهنا احمر وجهها من الخجل بعض الشيء ، « ومع نفسي . »

لكن المديرة شدت على كلتا يديها وقبلتها قائلة ، « انني سعيدة أنك لم تنتظري . ان ما قلته أمس هو كلمة الحقيقة ، دعوة واضحة من داخل الدغل ، وأتمنى لو انني أنا أيضاً ... » وتوقفت . « لكن الخطوة التالية هي اعطاء المدرسة عطلة يوم كامل . »

وهكذا استدعيت الفتيات ، وألقت المديرة خطاباً والانسة هادن خطاباً آخر ، أعطت فيه عنوان الكوخ الى الجميع ودعتهن لزيارتها فيه . ثم أرسلت روز الى محل المعجنات لاحضار حلويات وإتـد الى الخضري لاحضار فواكه ، ومليدرد الى دكان المرطبات لاحضار عصير ليمون ، وجين الى اصطبل الجياد لاحضار مكابح ، وركن جميعاً منطلقات خارج المدرسة مسافة هائلة داخل الريف ، ولعبن ألعاباً لا نظام فيها . اذا اختبأن جميعاً ولم تقم أية منهن بالبحث ، وضربن كلهن الكرة ولم تردها أية منهن ، ولم تعرف أي واحدة في أي فريق هي ، ولم تحاول أية معلمة أن تخبرهن ، بل وكان من الممكن لعب لعبتين في نفس الوقت ، وأن تكون الواحدة كمبس في احداها وبيتريان في الثانية . أما نظام التنسيق ، فانه لم يذكر مطلقاً ، أو ذكر في مجال الهزء . مثلا ، التفت إلى أغنية ضده ، تقول .

بوتي العجوز السخيف
جلس على مهرته ،
ياكل من حلوى عيد الميلاد ·
وغمس اصبعه
واخرج خوخة
وقال : « يالي من صبي شاطر » ، *

ورددتها الفتيات الأصغر سناً لمدة ثلاث ساعات دون توقف ·

في نهاية النهار استدعت المديرة الجميع إليها وإلى الانسة هادن · وتحلقت حولها الوجوه التعبة السعيدة · كانت الشمس تغرب ، والغبار الذي أثاره النهار قد بدأ يهمد · قالت ، وهي تضحك بمسحة من الحياء : « إذن يابنات لا يبدو وأنكن تمنحين قيمة كبيرة لنظامي التنسيقي ؟ » ·

أجابت الفتيات · « في الواقع كلا ! » « ليس كثيراً ! » وما شابه ذلك ·

تابعت المديرة · « يجب علي أن أدلي باعتراف · فأنا أيضاً لست راضية عنه · في الواقع إنني أكرهه · ولكن اضطررت إلى تبنيه لأن هذه الأشياء لها أثر جيد على مجلس التربية » ·

وهنا ضحكت جميع المعلمات والفتيات وهتفن ، ودولورس وفيولت ، اللتان ظنتا أن مجلس التربية هو لعبة جماعية جديدة ، ضحكتا أيضاً ·

---

* هذه الأغنية هي تقليد لأغنية شائعة من أناشيد الأطفال تبدأ « جاك هورنر الصغير / جلس في زاوية / يأكل من حلوى عيد الميلاد ··· » والأسطر الباقية هي نفس المذكورة هنا · والمقصود بـ « بوتي » هنا نابليون نفسه ، إذ أن الكلمة هي اختصار لبونابرت ·
(المترجم)

قد يخطر فوراً للذهن الآن أن مفيستوفوليس* لم يغفل عن هذا الحادث المشين . ولدى سنوح أول فرصة توجه إلى منصة القضاء وهو يحمل لفافة ضخمة كتب عليها « إنني أتهم ! »** في منتصف الطريق إلى الأعلى قابل الملاك رفائيل ، الذي سأله بأسلوب لبق إذا ما كان بامكانه أن يقدم له أية مساعدة .

أجاب مفيستوفوليس : « شكراً ، ليس هذه المرة . إن لدي قضية رابحة حقاً الآن . »

« قد يكون من الأنسب أن تطلعني عليها ، » اقترح الملاك الكبير . « سيكون من المؤسف أن تتكبد مشقة الطيران بلا فائدة ، خاصة وقد سبب أيوب لك خيبة أمل كبيرة . »

« أوه ، ذلك كان أمراً مختلفاً . »

« ثم كانت قضية فاوست ، وقد كان الحكم النهائي فيها ضدك ، إذا كانت ذاكرتي صحيحة . »

« أوه ، كان ذلك أيضاً شيئاً مختلفاً . لا ، أنا متأكد هذه المرة . بامكاني أن أثبت عقم العبقرية . يعتقد الرجال العظام أن الناس يفهمونهم ، بينما الأمر ليس كذلك ، ويعتقد الناس انهم يفهمونهم ، ولكن ليس هذا هو الواقع . »

« اذا كنت تستطيع أن تبرهن على ذلك ، فان لديك قضية رابحة حقاً » ، قال رفائيل . « إن المفروض أن الكون يرتكز على التنسيق ، وكل المخلوقات تنسق حسب طاقاتها . »

« إسمع . التهمة الأولى : بتهوفن يصدر امراً بأن تستمع إناث معينات إلى عرق لربعيته الـ A minor . فماذا يسمعن ـ بعضهن يسمعن جوقة عسكرية ، وأخريات يسمعن صدَقَة . التهمة الثانية : نابليون يصدر امراً أن

★ الشيطان الذي باعه فاوست روحه في مسرحية مارلو . (المترجم)

★★ بالفرنسية في الأصل : J'accuse

تشترك هؤلاء أنفسهن في انتصـار أوسترلتز • والنتيجـة ـ إرث ، يتبعه حفـلة مدرسية • التهمة الثالثة . تعزف الاناث بتهوفن • وبما أنه أصم ، ويقوم على خدمته موظفون عديمو الأمـانة ، فانه يفترض أنهم يعزفونه ببصيرة • التهمـة الرابعة لتكوين انطباع حسن لدى مجلس التربية ، تدرس الاناث نابليون • ويُدفع هو إلى الاعتقاد بأنهن يدرسنه بشكل صحيح • لدي نقاط أخرى ، ولكن هذه تكفي • إن العباقرة والناس العاديين لم يعملوا في تناسق ولا مرة واحدة منذ قتل قابيل هابيل • »

« والآن دعنا نستمع إلى قضيتك ، » قال رفائيل بعطف •

تلعثم مفيستوفوليس قائلاً : « قضيتي ؟ هذه هي قضيتي • »

صاح الآخر : « يالك من شيطان بريء • يالك من روح مستقيمة رغم كونها جحيمية • عد إلى الأرض وتجول من جديد • لقد قام هؤلاء الناس بالتنسيق يا مفيستوفوليس • لقد قاموا بالتنسيق عبر المصادر المركزية للنغم والمجد • »



لادا غاليـنا



ترجمها عن البلغارية : ميخائيل عيد

دوائر السنين

قام الترولي باص بدورته الاخيرة قبل أن يأوي الى مرآبه • الركاب القلة يهومون نعاسا على المقاعد • قاطعة لتذاكر تحصي التذاكر وسط الترولي باص • يضرب النوافذ مطر يهطل مائلا • الدوائر وحيدة المركز تتداخل على الزجاج الذي ينعكس عنه خيال لرأس امرأة شقراء • ارتعش الدكتور برايكوف دون ارادة منه وسمّر نظره على جانب وجهها الجلي ، لطري ، اللطيف كظل في الماء • ارتدت المرأة المجهولة ممطرها ونزلت عند الموقف • أظلمت النافذة وعادت زجاجا عاديا مبللا •

تكلمت فتاتان مرحتا شعريهما تسريحة منتفشة بشيء عن المرأة التي نزلت • قالت احداهما :

ـ راقصة باليه ! بماذا توحي لك ؟ لها ركبتان كساعتي قياس الماء •

ضحكت الاخرى بصوت مرتفع • استدار الدكتور برايكوف نحوهما ونظر اليهما بما يشبه الكراهية • وصلوا الى الموقف الاخير • المطر هنا قرب الجبل أقل غزارة ولكنه أشد برودة • يهب هواء بارد عبر مضيق «دلادايه» الجبلي • يسير الدكتور برايكوف ، أغلب الاحيان بعربته فلم يعتد حمل المظلة أو الممطر • رفع ياقة سترته واستدار منطلقا على طريق الفيلات • مظلتان مبللتان منتفختان تخفيان

وجهين التقتا على الرصيف الضيق وتصادمتا ، متصافحتين ، وافترقتا. فتاة متأخرة تسرع نحو سرادق شجرة جوز . قفزت هرة من المكان الجاف فاندفعت الفتـــاة لتحيد من طريقها . صفر فتى . استدار الدكتور برايكوف ولكنه لم يعرفه . يظهر في هذه الفيلات التي على الاوستراد ، دائما ، المزيد من الناس الجدد . وقلة هم الذين يقيمون فيها بشكل دائم .

صار الطريق في الاعلى أكثر انحدارا . انتهى الممر . تحت أضواء المصابيح الكهربائيه الشاحبة النادرة تلتمع السقوف المبللة وأوراق الحور الصفـــراء . اجتاز الطبيب الجسر الخشبي المقـــام فوق مسيل جاف نمت على جانبيه أشجار الاكاسيا ورأى نافذة غرفة النوم . انها مضاءة . زوجته لا تنتظره ، عادة ، حين يعود من مناوبة متأخرة . رالوكا ترفض حياة الليل التي تهرمها فتدير « المنبه » وتنام باكرا كفروبي بوبانا .

نافـذة أمه معتمة . رآه الليلة البارحـة يتسلق شجرة التفاح ويتسلل الى غرفته عبر الشرفة . توقف الدكتور برايكوف على الدرب ، ضخمـا ، يرتدي ملابس حسب الطراز الحديث ، وخط الشيب شعره ، وراح ينظر باتجاه شـجرة التفاح التي علق القمر بأغصانها . احتمر ، فجأة ، حزن خاطف فؤاده . تحرك الكلب واندفع نحـوه . تضوعت نبتات الخبازي الموطوءة بقوة . الحديقة الرحبة المهملة غارقة في الرطوبة .

أشعل المصباح الكهربائي في المدخل فرأى أن السجادة الفارسية ملفوفة كـي لا تتسخ بالوحل وقد بدت ، حيث كانت ، الالواح الخشبية المرقعة بدهانهـــا القديم الممحو . لم يكن عري المدخل الكامل مريحا وقد تكدست فيه قطع الموبيليا القديمة ومقاعد ثقيلة وصنوف الزينات : شمعدانات ومرمريات وأمشاط .

سمع الدكتور برايكوف وقع خطى زوجته . خرجت الى المـدخل متدثرة بمعطفها الليلي الكرزي اللون . جلست على أريكة ، سقط النور من المصبـــاح على خفيها اللذين التوى مقدماهما الى الاعلى كالاحذية الآسيوية الغريبة . لقـد اشترتهما خلال رحلة الى اسطنبول .

ـ هتفت اليك في العيادة ولم تكن هناك • ثم أخبروني انك بقيت في المستشفى •

ـ رجاني نيكولوف أن أنوب عنه في المناوبة •

ـ هكذا أنت تناوب عن أي كان ! لديك كل هذا العدد من المرضى ولا ترى من المفيد أن تأتي اليهم ! أنت رئيس قسم • لماذا يرغمك نيكولوف على أن تناوب عنه ؟

كان وجه زوجته في الظل ولمع قوسي حاجبيها المرتفعين والتجعيدات اللطيفة حول انفها لدقيق ذي الفتحتين المستطيلتين جدا •

ـ وهل هذه مسألة هامة ! سينوب عني في مرة قادمة •

نهضت رالوكا عن الأريكة • مشت قليلا ودقت بقدمها على السجادة برفق •

ـ ذهبت ليوم أيضا الى الوزارة • بعد يومين الامتحان بالفرنسية • هذا لن استطيع تقديمه بدلا منك • ستسافر المجموعة في منتصف كانون الاول اذ يكون الطقس مناسبا جدا في غينيا • التوقف لمدة عشرة أيام في باريس •

ـ لماذا يتحتم علينا الذهاب الى افريقيا وخلال هذا الخريف • أنت تعلم أن من الصعب عليّ التعود على التقلبات •• سيكون الطقس مناسبا جدا ! تتكلم وكأنك مرشد سياحي •

ـ ذهب أصدقاؤك الى ألمانيا بدون مرشد سياحي • واذ فاتنا السهل يبقى لنا أن نعجب بالوعر •

تنهد الدكتور برايكوف متبرما وتوجه الى الطابق العلوي • لماذا يعودان الى المشاكسة وفك خيوط الحوار الذي يحفظه عن ظهر قلب • ستقول رالوكا في البداية : « لن اترك أولادي بدون لغة » وسيوضح لها ، أن تجربة الطبيب في افريقيا جديدة علينا • وسوف تصمت لان همها الاول هو النقود من اجل الشقة • التفت قبل ان يدخل الى غرفة عمله • رالوكا تلاحقه بنظراتها ، لا يزال وجهها متوترا من تأثير الاهانة الصامتة • نهضت عن الاريكة وبسطت السجادة بعصبية

فوق الألواح المرقعة . انها تشبه طفلا وهي منحنية هكذا . أسف من أجلها ، ود لو يقول لها شيئاً جميلا . لن تنسى رالوكا أبدا شقة السكن التي دمرتهـا القنابل والتي ورثها عن أبيها . انهـا تعتذر دائماً لضيوفها وتذكر ما تبقى لهما حسب القانون من الشقة المهدمة . كساء الجدران الخشبي في غرفة عمله ، المصنوع مـن السنديان السلافي محفر تحت الجدران المتداعية ويصل الى السقف المنخفض ويثقل على الغرفة الصغيرة . برايكوف يفهم هموم زوجته وهو لا يمتاط من توبيخهـا اياه . ولكنه لا يريد أن يفكر الآن في ذلك ، لانه يعيش منذ شهر حياة اخرى ، وما الاشياء والناس من حوله سوى نقاط استناد مألوفة .

ابنته نائمة على المتكأ في غرفة عمله . انها تشبهه ـ كبيرة ، ذات ملامح مستديرة وحركات بطيئة متعبة . يداها غير الطفوليتين بمفاصلهما النامية من التدريب على البيانو تتركان أثرا على الوسادة . قرب الفراش منضدة صغيرة عليها زجاجات فيها كو شف كيميائية . هو لا يريد أن تنام الصغيرة في العيادة التـي تحمل أنفاس المستشفى ، ولكن زوجته قـد وزعت الغرف الصغيرة الثـلاث ذات السقوف المائلة . ! الفيلا لها ، وكانت الشقة لها . ما الذي يملكه هنا ـ الزجاجات التي فيها الكاشف والكتب ، أم هـذه الرسوم الغرافيكية الثلاثـة التي حملها معه الى آخر العالم . الدكتور برايكوف أمامها أيضا ، ليستشعر ارتعاش تلك اليـد الصغيرة التي قطفتها من المدى الرحب ، بقع داكنة من الحبر الهندي المحو ، خط دقيق يسيل على الورقة منحدرا من الغابة « بيلكاريت » . في وجه العجوز حيويـة وطيبة ، وتسليم . هو يفهم لغة الاعشاب النافعة والطيور وخفايا أفكار الناس . « فتاة من الرودوب » هي ابنة تلك المرأة الصغيرة التي ترتدي السواد وتحيـك السجاجيد والبسط ذات الشراشيب . أصابع الطبيب تمس في أغلب الأحيان العظام الدقيقة في الجبين الوضاء . يشيع في نظرة الرودوبية لقاتمـة خوف حقيقي . الرسم فج ومعبر . مـن قصور بودابست القديمة . يذكـر بشكل آسـر بعربات البرابرة وبالسمـاء التي لا تنال . الداموب يمتـد في خط وحيد أسود ويتنفس ويرتعش بالاضواء المنعكسة .

استدار الدكتور برايكوف . زوجته واقفة على العتبة بخفيها اللذين اشترتهما

من اسطمبول وبمعطفها الليلي الكرزي اللون • انها تبتسم باقتصاب شرير •
ـ ألا تمكث في صوفيا حباً بفن التصوير ؟ لقد شددت الاقفـال يعزيزي !
ـ أنت تريدين مني النقود ، طوال حياتك لم تريدي سواها • ستنالينها •

صفقت رالوكا الباب فأجفلت الفتاة النائمة واضطربت • تقدم الـدكتور برايكوف على رؤوس أصابعه وسوى غطاءها • جلس الى المكتب وفتح دون تبصر « الملاح في المشاق » ، حاول التركيز • أمن الممكن أن تعرف وان تسكت ؟ بـعـد ذلك غير ممكن في دنيا مشاعره المكثفة كما هو غير ممكن أن تكون العين بلا حساسية• مر برايكوف بيده على وجهه وكأنه يريد أن يمحو شيئا عنه • نظر مرة أخرى الى المرأة الوردوية الموسومة بطباشير حمرية والى ابنتها ذات السنوات التسع • ثـمـة شيء في وجهيهما ، شامس ، وطري ونقي •

سأقول لها • وصلت الامور الى حد المكاشفة • عشنا معا تسعة عشر عاما • عليها أن تفهمني ، أن تحاول فهمي - أنا بحاجة الى الوقت لاعيش ، لافكر

تفلت القمر من أغصان شجرة التفـاح وأنار غرفة النوم عبر النافـذة • رالوكا غفية • يدها ممسكة بالغطاء ذي الوبر قرب كتفيها • حجر الفيروز الكبير في خاتمها يومض بشحوب • « لا تريد أن تعرف شيئا » ــ قالها ورغب لاول مـرة في أن يدنو ويوقظها ، أن يسحب الغطاء الدافيء عن كتفيها • انه ينام في الطرف الظليل في زاوية امتكأ ، وكأنه يحرص على الا يمس زوجته •

أخرج في الصباح الباكر سيارته من المرآب • الضباب ينسحب على الشجيرات الملية • الشوارع لاتزال مقفرة • صادف على الطريق أول باصات نقل العاملين في المناجم وفي المصنع التعديني • حول المحرك الى القوة الثالثة • هدأ روعـه صوت المحرك الرتيب المألوف • لم يسمعه أحد في المنزل حين أقلع • « هذا أفضل » ــ فكر برايكوف ــ الرجال يرفضون كل شيء في مثل هذه الحال • انها لحماقـة ان في مثل سني أن يدلي باعترافات وان يستجدي المودة • مَن من أصدقائنا سيقول لزوجته أنه يحب امرأة أخرى ؟ رالوكا على صواب • هذا مضحك ومهين • هـي سريعة رد الفعل ولديها دائما جواب جاهز ، أما الان فهي لا تريد أن تعرف شيئا•• أذاك اعتداد أم تلك وسيلة للدفاع الذاتي ؟

كانت رالوكا لا تزال طالبة حين تزوجت منه ، هو الطبيب الشاب في مستشفى والدها الخاص • الدكتور دارغــان نيديف له نفس الانف الدقيق المحدودب الذي يتشمم دون خطأ الناس والاحداث • لم يخطىء حين تقبل في العمل لديه ، الفتى الصموت المتماسك الذي لا يرتدي سوى بذلة واحـدة لائقة ويحمل شهادة بدرجة ممتاز تحمل توقيع البروفسور كولفتس من برلين • كان الطبيب الشاب يعمــل طوال عشرين ساعة في المستشفى وصار يوحــي الاحترام للمرضى • أخـذ دورغان نيديف ، مرة ، العروسين في سيارته « الفورد » السوداء في نزهة قصيرة • وقبل أن يصلوا الى باتكيه أشار بيده الى الحقل : « لو أنك تدق هنا وتبدأ يحمل لافتة لتدفقت النقود ! » وتدفقت النقود ، سيل غير مضمون من أوراق البنكنوت المدعوكة في أكياس ومناديل ، ومن سندات عريضة كالدفاتر • ونجح دورغان في تحويـــل بعض هذه الأوراق الى سجاجيد ولوحات فنية ومنازل • شيد خلال الحرب « فيلا » في بويانا ولكن الأعوام كانت قد تحولت فخرج البناء رديئاً وغالي التكاليف •

• • • •

أشجار الجوز على جانبي الطريق الاسفلتي تشبــه شموعا صفراء كبيـرة • الصباح في حقول بلوفديف مشمس وبارد • في البساتين قرب القرى تجمع النساء البطاطا • لم يعرن أية التفاتة الى السيارة التي تتجاوزهن مسرعة • ما العرابة ـ الموسكفيتش ! » ثمة العشـرات من الموسكفيتش الرماديــة الضاربة الى الزرقــة والحمراء ـ الزنتقية في هذه القرى الغنية •

قال ابنه مــرة • « أصبحت سيارتنا طرازاً قرويا » فأجابه « حين تصبح ذا دخل ، من عملك ، اشتر الطراز الذي يناسبك ! » وتحدثت رلوكا :

« اشترى المهندس نيكولوف سيارة أوبل من ايطاليا ، في طريق عودته مــن تونس بألف وخمسمئة دولار • »

ألح عليها حين تزوجا كي تكمل دراستها وتجتاز الامتحانات الرسمية • وحين كبر دارغو اقترح عليها مراراً أن تشرع في العمل « أنت طبيبة ، فهل نسيت ذلك مؤخرا ! » ورفضت رالوكا : « لدينا طفل ولن أتركه بين أيدي الخادمات فيمــ

عبر قمار القرى » ومن ثم ولدت ماريانا • وأعلن عن الامتحان الاختباري ولم تتقدم رالوكا اليه ففقدت الحق في ممارسة اختصاصها • قابلت ذلك ، دون مبالاة ، كأنه بلاغ اداري لا لزوم له • ولقد سمعها ذات مرة تقول للبستاني الذي يأتي في الربيع والخريف ليشذب حوش منزلهم . « احمل شهادة عليا ولم أعمل يوما واحدا » • تعتني رالوكا صباحا بالبيت وتتحدث هاتفيا الى صديقاتها وتنام بعد الظهر وتمرن على البيانو • تشتري كتبا حول تاريخ الفن والموسيقا والرسوم وهي تستطيع توجيه الحديث نحو آخر كتاب قرأته • وهذا يترك تأثيرا على زملائه الذين يعملون صباحا في المشافي والمستوصفات وبعد الظهر في عياداتهم الخاصة ويقرأون بين مناوبتين بعض الكتب الطبية أو المجلات • يوما السبت والاحد لديهم ضيوف دائما • وفي أي وقت زرتهم ، بعد نضج ثمار التوت أو خلال شهر أيار ، وحين يحتشد الجميع على الجبل فانك لن تجد مكانا تجلس فيه على شرفتهم • رالوكا لا تريد أبدا أن يظلا وحيدين • انها بحاجة الى تيارات طاقة حيوية من الاعجاب الانساني ، لتشحن حدة ذهنها وتعدن من ثقافتها •• السفر الى الخارج بمثابة فريضة لا محيد عنها في عائلة الدكتور دراغان بيديف • كانت للدكتور العجوز مبادؤه « يتم تعلم اللغة في البلاد التي يتكلمونها فيها » • ولقد أخذ رالوكا الى انكلترا مذ كانت في المدرسة الثانوية • أما هو فلديه الكثير من الصلات خارج الحدود ، يكتب الرسائل لاصدقائه وللمعاهد الطبية • ويستلم أغلب الاحيان هدايا ويرسل هداياه ، ويؤدي خدمات للذين يتوقع منهم شيئا • والماكر يعرف ، دائما ، الاماكن التي يكون الشراء منها أكثر نفعا ، حتى ما يتعلق بالادوات المنزلية كالمرشة التي تستخدم في صنع الحلوى أو مصفاة القهوة • وأول خطوة لرالوكا نحو الغربة كانت رحلة للقطار توريست عبر الأبيض المتوسط • ثم رتبت أمر سفرهما لمدة عامين الى غينيا • لم تكن خططها تثيره • ولحياته الآن مغزى آخر يخضع له كل شيء •

• • • •

لهث المحرك وطقطق بشكل مشوه • نظر الدكتور برايكوف الى لوحة العدادات فوجد أن السهم الذي يشير الى الريت قد توقف بثبات على الصفر • ثمة

مصيبة كبيرة كانت بانتظاره بعد أن قطع عشرات المئات من الامتار ذاهلا • أوقف السيارة في ظل مهلهل لشجرة جوخ غبراء • تختبيء على أغصانها العالية ثمار كهرمانية ناضجة • فتش في مكان الحقائب من مؤخرة السيارة عن علبة الزيت الاحتياطية وسكبها في خزان الزيت • اقتربت منه سيارة « سكودا » زرقاء تجلس أمام مقودها امرأة شابة سوداء الشعر طويلته وتسافر وحيدة • خففت السير للوقوف • لم يلتفت الدكتور برايكوف ليتقبل المساعدة • اندفعت المجهولة بحدة • « اندفاع نسوي » وابتسم الطبيب •

اقتفت « الموسكفيتش » آثار اسكودا الزرقاء الطرية التي لاحت عند منعطف ـ أو اثنين ثم اختفت • « لا أسافر لمسافة طويلة بالسكودا ، يقولون أن هيكلها كثير الارتجاج • ذهبت تيوفانا وحيدة بسكودا كهذه الى المانيا • تيوفانا لا تخشى الارتجاج كثيرا •

تيوفانا هي ابنة عم زوجته • وهما متشابهتان حتى لكأنهما أختان ـ قصيرتان نشيطتان بأقواس حواجب مرتفعة وبالانفين المميزين لنوعهما بفتحاتيهما المتطاولة • وهي عاملة مختبر في مشفى المنطقة ولديها نقود مما ورثته من أملاك • وهي تفضل الاهتمام بالامور المسلية على أن تصبح عجوزا قروية تحمل أيرتها • تعرفت هذه السنة على « الرمال الذهبية » الى العم السمح الميونيخي الممتلىء والتمت حوله كدالية ساحلية لدنة • دعته الى ضيافتها في صوفيا في فيلاها وجعلته خطيبا لها • النمساوي يقول بالبلغارية « نهارك سعيد » و « بصحتكم » ويدخن السيجار ويخفي كرشه تحت طرف قميصه الصيفي المرخي « لقد تقفوا المسكين في مكتب تبديل النقود • ليس بخيلا • هذه النوعية من الرجال تثمن جيدا • كم أنفق من النقود في « استوريب » و « السمكة الذهبية » » أراني مرة صوراً لمنزله ، أعجبتني ، ولئن وجدت ما لا يفيد فسوف أعود • سأرى اوروبا ، رحلة شهر عسل عامة الى سويسرا » ظن برايكوف أن هذا مجرد سخرية ومزاح متدل ، ولكنهما سرعان ما استلما دعوة الى غداء على شرف القران • كانت تيوفانا في صالة « بلغاريا الحمراء » تعبر عن سرورها بأن ترشق زوجها بملاحظات تهكمية بالبلغارية وتترجمها له بعكس معناها • سافر العريس بالطائرة وتبعته تيوفانا بعد شهر بسيارتها وبخمس حقائب كبيرة • جاءت قبل سفرها الى

بويانا فأعطتها رالوكا المآزر الموروثة عن الجدة تيوفانا ، وبعض الرقع والوسائد التي أعدادها له قرويو دوبروجا « سيكون هذا الفلكلور جذاب في ميونيخ » قالت ذلك تيوفانا ، مشمة ، وأخذت الكل · عبأت سيارتها وانطلقت وحيدة عبر ثلاث دول لتحط في الرابعة ·

« كان أقل السفر كلفة ، في زماني ، بالنسبة للطلبة هو الذي يتم بالسفينة عبر الدانوب حتى فيينا ومن هناك بالقطار حتى برلين · ترى هل سلمت من الحرب خمارات القيرول على الحدود النمساوية ـ الالمانية ؟ أشربت هناك نبيذا متبضا أم أن أحدا حكى لي عن ذلك ؟ لقد تغير العالم وعليك أن تطير معه حتى لا تتعرض لصدمة تناقضات قصوره الذاتي · تيوفانا واليماميات الليلكيتان على مرز الجدة تيوفانا ··· شيئان متسقان مع المقود اللدائني والدروب تؤدي الى القفر » ·

طارت ورقة جافة العروق وحطت على أعلى زجاج السيارة الامامي ثم التصقت بالمسحتين المتوقفتين عن الحركة · انها أشبه بأثر يد طفل على رسالة · ابتسم الدكتور برايكوف ثم أطلق الماسحتين سريعا · طارت الورقة · راحت تضرب النافذة كراحة يد صغيرة تريد الدخول ·

ذاب جليد الزجاج بحرارة الاصابع · ظهرت أولا راحة يد مملل ثم تلتها عظام جافة دقيقة شاحبة من القر · وصوصت عينا القروي من القسم العلوي من النافذة حيث رق طلاء الصقيع وكانت تتوهج انعكاسات اليوم الشتوي الوردية والزرقاء ·

طرق الفلاح على استحياء في البداية ، ثم بمزيد من الاصرار · يد الطفل ترن ايقاع تنامي القلق · وتصاعد ابتهال أصم ·

قالت الممرضة :

ـ لماذا يدق هذان ! الا يقرآن اللائحة التي تحدد وقت الدوام ، ··· وكانت تنورتها الصوفية تكشف عن ركبتين متينتين وساقين مليئتين مستويتين ·

تمطى الجراح فسف والقى نظرة خاطفة على أوراق آخوتو ·

ـ ليذهبا الى عيادة الرئيس · فكره مبدع · المستوصف يفتح حين ينطلق

البـاس ٠ لو لم نكـن معباين في هده الماحيـة النائية لكان علي ً أنا الآخـر ان أضع لافتة ٠

لعبة الورق « بريدج بيلوت » بعد الظهر في مصاقة (متارا ملابينا المتيده) وبريدج بيلوت في الليالي الطوال ٠٠٠ أكوام الثلج الزرقاء ، الملل وساق رجـل المرضة ، أكبر « رأس بطاطـ » ٠ كبير الأطباء من أبناء المنطقة ويعرف شمله ، تحل أمام بيته عربات ديلورمان كما لو انها امام نزل ٠

الفلاح الذي يدق ٛ ويد الطفل التي تذيب الجليد ذكرتاه رسائل رالوكا ٠ كانت تطبع عليها يد درافو ذي السنوات الاربع ٠ كانت الحرب قد انتهت ولـم يكن قد سرح بعد ٠ انها التعبئة المدنية ٠ هي ليست على الجبهة في يوغوسلافيا ولا في هنباريا ٠ الدكتور دراغــان نيديف لـم يعد لديه مستشفى خاص ولكـن كلمته لم تزل ذات وزن هنا وهناك ٠

أراد أن يفتح الباب ولكنه واجه نظرات فاسيف وآختوتو الساخرة ٠ وبقيت في اليد الأس والعجوز والبنت ٠

دهب القروي وطفله ٠

دلك الدكتور برايكوف عينيه براحة كفه وكأنه يريد أن يزيح غبارا ٠ الارض البور المحروقة وأعقاب الحصيد تنبسط مسابة وتطوي نحو سلسلة الجبال الزرقاء عند الافق ٠

« سواء أكل الانسان بملعقة من ذهب أو بمعقة من خشب ، فان ما ينقصه كثير حين ينقصه الحب والوفاق » متى سمع هذه الكلمات ـ أثناء طفولته وهـو يحمل حقيبة الراعي أم بعد أن نال الشهادة العليا وعاد الى بلغاريا ، الى هــذه القرية الصغيرة ، الى الجد و الجدة حيث يضعون ، صباحـا ، على المنضدة الصغيرة رغيفاً كبيراً كالشمس وقد كتب على شوك الطعام « هنيئاً ؟ » ٠

انه يعود الى جذور حياته ، أفكاره هادئة وناضجة كهذه السهوب والحقول التي جنيت غلالها ٠ رغب في أن يمضي بلائحة حساب مصفاة الى حبه المتأخـر واليد الصغيرة لصلة التي تحمل أصابعها آثار الغرافيت والألـوان لتنثر بذوراً معافاة على أيامه الغابرة ٠ بلغ الدكتور برايكوف حدود السنوات التي يزيل فيها

التهب الانفجارات المخيفه وتترك فيه السكينة أثرها الواضح على الانسان • هشم الحب مشاعره الغامضة وهو منذ الربيع رهن شرود مقلق وهانيء لا يستطيع التغلب عليه ولا يريد ذلك • انه يحرص على هـذا الشعور وكأنه هبة نـادرة لا يمكن لاي كان أن ينالها • يلتمع أحيانا في نظراته وفي تفكيره المنطوق ويخفق بريق نماء الخفي • جعله فرحه يرفض الزهو بالمطامح والاهداف الضئيلة ••• أليس الامر سواء ، أكانت الملعقة من ذهب أم من خشب ـ حين يخسر حبه ؟

كنت طبيبا معها في ساعات الشدة • وظهر مذ كنا في المستشفى ميل كل منا نحو الآخر في تلك اللمسات الوجلى • أردنا أن ننتقل الى الحياة العادية • لم تكن قد رأتني خارج جدران المستشفى • ما الذي سيؤثر فيها حينئذ ـ هيبتي كطبيب أم شيء آخر ؟ أتستطيع أن تعرف ما الذي يثير اعجاب النساء ؟

كانت تنام على السرير الاول قرب الباب . نحيلة دقيقة الملامح • حطا حاجبيها سوداوان كثيفان ، تضفي ظلال نظرتها الزرقاء طابع الجد على وجهها • شفتاها الطريتان المكتنزتان تحتفظان بلون شبابهما المورد لانها لم تكن تصبغهما بأحمر الشفاه • سُجلت في لائحة المستشفى باسم نيفينا ايفانوفا وليس رادوييفا • ولن يخطر لاحد أن هذه هي الفنانة نيفينا رادوييفا • كانت قلقة ، صموتا ، تكلم الأطباء باقتضاب • كان المستشفى مكتظـاً بسبب جائحة « انكريب » وقـد وضعت أسرّة في الممرات • كانت ستمضي دون أن يعرفها أحد بين تيار المرضى لو لم يسأل عنها مخرج الافلام الكرتونية الحاج خريستو الذي كان ضيفهم ذات أحد في الفيلا • لقد أجاب ذاهلا بأنها هي الفنانة بنفسها وسوف يعتني بها • خطرت في ذهنه المرأة المزعجة التي تنام في الغرفة الخامسة ذاتها ••• انها تسعى لجذب انتباه الاطباء وتتعب الجميع بنزو تها • وتردد : الفن ، الفن ••• ثم عرف فيما بعد انها ممثلة في المسرح الموسيقي •

دخل الغرفة الخامسة عند الظهر فجأة وقد فات وقت الزيارة منذ زمـن وشرع المرضى يمشون في الممرات بحرية • كانت رادوييفا قد وضعت ورقـة تحت مزهرية فيها بدور ، تنـاول الورقة دون تحرّج وقلبهـا • كانت مخطط لوحة تبدو فيها ناظرة المرضى الاخت مارا وقد أحوت بمكنستها الكبيرة وتم وجهها

الصارم من الاحتقار الكامل لهــذا العالم الذي لا تعرف فيه سوى تكويم الكناسة ٠
ـ دراسة جميلة ـ قالهــا وأعــاد اللوحة الى فوق المنضدة ٠ فلسفة المكنسة ـ وأردف فجأة ـ في بيتي العديد من اللوحات ٠

ـ انه لشرح حقيقي ٠ أنتم الاطباء تحبون أعمالا مذبة كهذه ٠٠٠

ابتسم دون أن يمس قولها شــعوره ٠ كيف ستهينه مثل هذه الفتــاة ذات العينين القاتمتين و لمم الوبر العذب ٠٠

ـ سيسرني أن تري لوحاتي وأن أسمع راي فتاة بارزة ٠

أمسك يدها ليحصي نبضها ٠ نظرت الى عينيه تماما كما يفعل الاطفال ٠ أذهلته استقامة نظرتها ٠ أحس اضطرابا خفيا ٠

منذ ذلك الحين صار يزورها كل يوم ويعرف من بسمتها أنها تنتظره ٠ حصل على يومي استراحة ، وحين عاد الى المستشفى لم يجدها في الغرفة الخامسة ٠ صرفها الطبيب المعالج ٠ أحس بشيء من الوحشة ٠

قال البروفسور البرليني كوفيتس لطلابه : يقتضي شرف مهنة الطب منا أن ننسى في العيادة وفي المستشفى أن مريضنا امــرأة ٠ ان اقتناعه بهذا متــد شبابه ، والعائلة التي ملأت ساعات فراغه وطبع رالوكا المهين قد أزاحت النساء من طريقه ٠ انــه يخفي سماجته ببعض النكات الطبية المكشوفة أمــام الضيوف في الفيلا أو بحديث تافه مع جماعة الرجال بين لعبتي ورق ٠

التقيا للمرة الثانية في فيلا المهندس المعمــاري نيكولوف ٠ كان ذلــك في أواخر نيسان ، اذ يندلع حريق الكلوروفيل الاخضر فلا يبقى ما هو أبيض سوى « القمة السوداء » التي لم تبلعها شعله بعد ٠ كان الهواء راعشا رطبا وعذبا كماء الينبوع ٠ اتصلت نيفينا عن الضيوف لتتحدث اليه ٠ كانت ترتدي بدلة رمادية قاتمة ، اللون الاكثر لياقة للنساء الشقراوات ٠ دعاها لأن يوصلها بسيارتــه الى منزلها ، وكأنه يدعوها قبل كل شيء ليسيرا معا ٠ وافقت نيفينا بصمت ٠ واتخذ الطريق المعتم نحو « أوفيليتي » ٠

شعرها غزير حي ، يعبق برائحة حقل لفحته الشمس • وعرف فيما بعد أنه يعبق برائحة البابونج •• وداعب شعرها وجهه المتقد الهانيء •

المطعم الصغير في طرف المدينة ، وهو عبارة عن مشرب عائلي للبيرة • لا يقدم وجبات الطعام الا مساء • هو يعرف العديد من المطاعم الجيدة في المدينة • ولكن ، ثمة هناك العديد من الاصدقاء والزملاء وهو لا يريد أن يلتقي بأحد منهـم فيضيع وقته • كانت الطـاولات في الحديقة المكشـوفة خالية وبدون أغطيـة • يهوم في لصالة عجوزان • توقع الدكتور برايكوف الا يجد سوى السرديـن للغداء ، ولكن الخادم فرش بمهارة غطاء نظيفا على الطاولة وقدم وجبة ريفية كأنما هي لوليمة • دفع الحساب بسخاء وجلس من جديد خلف المقود •

ذهب مع نيفينا صيفا في رحلات • « عديني أنك لن ترسمي وانك ستبقين لي طوال الوقت ! » « يا الهي ! الا تـرى أن لا شيء يشغلني سوى أن أنتظـر لأتسلل وألتقي بك • عاشقان كلاسيكيان وحديثة وقمر • »

كانت رالوكـا في فارنـا ، في « تراكـيـا » تذهب كـل صيف لتصطاف مـع الطفلين في ملحق صغير قرب فيلا والدها التي هي الآن دار استراحة للمعلمين • من يعرف كيف نجحت في الاحتفاظ بالملحق • وهـي تقطف العنب من كرم الفيلا بموجب حق « ملكية » المزرعة •

نيفينا تعد الطعام للرحلات • فوجـيء بذلك لأول مـــرة • زوجته تبحث دوما عن مطعم « أنت محبة وطبيعية كبنات الريف ــ خاطب نيفينا وهـي تقطـع الجبن المصرور في قطعة من القماش ــ وأنا سأظل انسانا من الريف ما حييت • وهذه الماعة متبقية لدي منذ قادتني أمي وأنا طفل الى زيارة خالتي في صوفيا » • قالت نيفينا •

ــ هل تعرف ؟ انني لم أحب الاصيــام أبدا • اعتنت بي جدتي ، هنـاك أفضل من عند أبي الثاني • لم يضربني أحد ولم يدللني أحد •• كانت لي في المدرسة الاعدادية زميلة تدعى كيتي ، ابنة طبيب • وكانت له أكبر « لافتة » ، خلال تلك السنوات ، في تلك المدينة الصغيرة ، تطأ أولها فترى آخرها • « هل

تقرن العربات أمام بيت هذا الطبيب وكأنها في حان ؟ » « لا أتذكر ذلك ، ولكني طوال حياتي ، وخلال أشد الدورات الدراسية أهمية ، لم أحض نصالا حقا بالفخر كالذي خضته حينذاك مع كيتي . ونجحت مرة في التغلب علي . أتذكر ربيع عام ألف وتسعمئة وخمسة وأربعين ، حين سقط الثلج في يوم عيد القديس جاورجيوس ؟ لبست فستاناً جديداً في تظاهرة كيريل وميتودي ، خلفته لي ابنة عمي وخرجت مزهوة الى باحة الاعدادية . تفحصتني كيتي وأعلنت أمام الجميع : « لدى خادمتنا فستان من هذا القماش ، ولكن فستانها أكثر جدة من هذا » .

لفت انتباهه ، أكثر ما لفته ، حين تعرف على نيفينا رادوبما ، عدم تصنعها وصراحتها وتحررها الداخلي الذي به تحاسب نفسها والناس . « رالوكا لا ترتدي فستانا قديما لاخرى - فكر - ولن تقبل بذلك أبدا » وهي تربي أولاده كما تربت هي في بيت حيث لا تستطيع العين الغريبة أن تستشف نصف الحقيقة بدلا من الحقيقة ، أو المنفعة بدلا من الاستقامة . كان يرغب باستقامة واخلاص في أن يعلم زوجته بعلاقته مع الفنانة ، ولكن لم تكن لديه القدرة على ذلك ولم يكن قادرا على التفكير بالطلاق والافتراق عن أطفاله . انه ينتظر الايام القادمة لتحمل اليه قرارا . كان واثقا دائما من أنه لا يرتكب عملا مشينا ، ومن أن له الحق في هذا الحب . هو يحب نيفينا ويرغب بها رغبته بأولاده ويريد أن يعرف المزيد عن دقائق حياتها دون أن يثير ذلك غيرته .. تخيل كيف ذهبت الى المدرسة وحيدة دون شريطة تربطها في شعرها يد أم ، وكيف اجتازت الامتحانات دون أن يأبه أحد لنجاحها ، وكيف سافرت وحيدة الى المصح وحمل الهواء المندفع كلماتها : « سوف أحيا ! » .

ذهبا الى « أوفيلتي » في « برليانا » قبل ذهابها الى الساحل لترسم . ثمة ايكة الى الاسفل من الصخور القائمة عند النهر . من من حولهما حطابان ، أكبرهما يعلم الاصغر : لا يجوز قطعها الآن . النسغ لم يتجمع بعد في الجذور . توقفت نيفينا قرب شجرة قطعت حديثا . تتبعت بإصبعها خط دوائر السنين المتعرج . سألها مبتسماً :

ـ ما هذا ؟ أحفر في الخشب أم في المعدن أم تراه تطريزا بالابرة ؟

أمسكت نيمينا القرمة الواسعة وأمنتت وجهها الى القشر الخشن ٠

ـ نقوش النسغ خطوط للحب والكراهية ٠ تهرم من حب واحد أو من كراهية واحدة ٠ حين تحبني ستهرم كهذه الشجرة ٠

كان يصعب عليه أحيانا أن يتتبع انعطافات خيالها ، والمسارب والصلات التي تكونها فجأة بجد طفولي ٠٠٠ صعب أن تجد حديثا كحديثها ـ ودودا ، قلقا ، تمثيليا ٠٠٠ في المستشفى وفي بيته تدور أحاديث للاشياء فيها قيمة واحدة ، أما التيقن ، والعقل المتشكك فهما الاحترام ٠

جلس قرب الشجرة المرتمية ٠ كانت قشرتها ساخنة تفوح منها رائحة صمغ الصنوبر ٠ أشار الى أكثر خطوط الجذع وضوحا :

ـ رسمت دائرة سنين كهذه في حياتي ٠٠٠٠ لن يمحوها أي شيء ٠
ابتسمت عنا نيفمنا فقط ٠ احتضنها وسألها بهدوء زائد .
ـ أتريدين العيش معي ؟ ٠ الى الابد ٠
ـ ولكني معك ، دائما معك٠ ٠كان آخر ما أفكر به قبل النوم هو عمي٠
أما الآن فأفكر بك ٠ قليلون هم الناس الذين كانوا طيبين معي مثلك ٠ لاتقل لي المزيد ٠ أعلم أن الامر صعب عليك ٠

لا تريد منه شيئا ، ولم تلمح بأي قرار ٠ أخافه تغير مزاجها وتبدتها الذي يسمان من استقلاليتها ٠ أحس أنه ينزلق ، يغرق في عالمه ، الذي دخله كمشاهد ٠

أوقف الدكتور برايكوف السيارة عند مفترق الطريق الرئيسية التي تؤدي الى الفندق ٠ الهواء الذي يهب من ناحية البحر يحمل آخر الاوراق الذابلة من الجبال وينشرها على البلاجات المقرورة٠الفندق بارد وممل كالشارع الذي على الشاطىء ٠ ثمة الكثير من الغرف الخالية ـ يحل هنا الآن هؤلاء الذين هم في مهمة أو المسافرون العابرون ٠ الخدم يجرون احصاءات طويلة مفصلة ، يحصون قطع البياض والكؤوس والسجاجيد ٠ يدونون ألواح الزجاج المحطمة ٠ عاملات التنظيف يجررن خفافهن بكسل عبر الممرات ويتنادين بأصوات مرتفعة ، الامر الذي كان يغضب الادارة صيفاً ٠ وفي المدينة ، كما في الفندق ، يبدو كل شيء عاديا ، مكشوفا ٠ ولم

يتبق من لعط الصيف الصاخب سوى مكانين ـ ثلاثة ، على شكل القطع ، لبيع عصير الليمون • حيث لا يتوقف عندها سوى الشذاذ • الهواء يعصف بالاعلانات نصف الممزقة التي تدعو الى عروض المنوعات على المسرح الصيفي ، وباعلانات القطارات والطائرات •

سار على غير هدى عبر المدينة التي يجهلها وراح ينظر بانتباه وقلق الى وجوه الناس الذين يجتازون الشوارع • قد تمر ، سيختبيء خلف احدى الزوايا ، وقد يذهب الى مدينة أخرى ، وستحوم سعادته حوله كعربة للاسعاف السريع •

كتبت له نيفينا تخبره أنها استأجرت شقة في بيت أحد التكنيكيين في معمل الترول ، والذي بيته معرض حقيقي للوحات • هي لا تحب الفنادق ، وفي هذا المنزل أناقة ودفء • اتجه الدكتور برايكوف نحو حي السماكين واهتدى الى بيت التكنيكي الانيق • ثمت جرس كهربائي على المدخل الخشبي • فتحت له الباب امرأة رشيقة وأدخلته الى البيت فورا •

ـ نيفينا هنا ، ولكنها ذهبت لترسم • ستعود مع غروب الشمس الست زميلا لها ؟ سأل عنها أمس بعض الزملاء •

فتحت المرأة أمامه بابا ثانيا وأشارت الى أقصى الغرفة .

ـ ها هي غرفتها • ابننا عسكري في غرودنو • أجرنا الغرفة صيفا الى مستجمين ، وتستأجرها هي الآن • موقف المصنع غير بعيد •

لاحظ الدكتور برايكوف بساطة الترتيب ، ولمح أشياء نيفينا التي ملأت الغرفة فورا بالالفة • السترة الخضراء الضاربة الى الرمادي ظهر الكرسي ، أمام المرآة علبة زينة ، ثمة لوحات قماشية صففت لتبف أسفل الجدار العاري •

ـ هذا زوجي ـ أشارت المرأة الثرثارة الى لوحة غير مكتملة ورسمت نيفينا ابني مع البلدوزر ايضا والرسم يشبهها تماما •

قال الطبيب :

ـ قد انتظرها هنا او اذهب الى الموقف •

ـ الموقف باتجاه جسـر السكة الحديـد • الباصـات تجيء الآن بكثرة •
ـ اوضحت صاحبة البيت واغلقت الباب •

تناول السترة وأغرق وجهه فيها • شم منهـا لرائحة الصنيفة لحقل تلفحه الشمس • جلس على السـرير ، اسحب الغطـاء برفق فرأى تحت الوسادة طرف قميص نومها • قميص نوم بسيط من القطن لامرأة اعتدت النوم وحيدة • دنـا من اللوحـات غير التامة • كانت نيفينا رسامة غرافيك ولكن الحفر والطبـع لم يكونا يرضيانها • ان وفرة مناظر الارض النقية الالوان التي تراها لا يمكن التعبير عنهـا لا بالمرشاة والفماش والألـوان • ها هـو « ايزتوبي » الذي خصصت له نصف رسالتها • طبقات نصيدة ارجوانية ، تلوين متماسك ولكنه دافيء ، والوان شمافة مضاءة ـ التل وبراكة السائل المسقوفة بالحصر • ثمة تنويعات اخرى في اللوحة ـ البقع هنا بارزة ولكنها مرتمية بفتور ، وانما بمزيد من التظليل والعمق• نيفينا ، تستقصي شيئاً ، تنتقي الشكل • قـد يكون هو الآن لاقـل نمواً لها • هي تشاركه الافكار حول عملها ولكنها لا تمارس النصح ابداً تمحص آراءه بابتساماتها التي تنطق بانها لا تأخذ بها •

خرج وسار نحو الموقف • نزل من الباصات اناس ذوو عيون فتية وعضلات قوية ، تلتصق على ثياب عملهم وحول بلون رسوم نيفين • وقف قريباً جـداً من الباص وكان الناس يصدمونه دون أن يعتذروا • تضايق فتراجع • لم يكن يريد ان يرى امرأته بين هذا الحشد • لقد رن وتر دراماتيكي في خاطره وافكاره القلقة •

لم يستطع لاول وهلة ان يميز نيفينا من بين الاخرين • هي الاخرى ترتدي بنطلاً وتحتذي حذاء قصيراً • ومنديلها المعقود من الخلف يخفي شعرها •

نظر الدكتور برايكوف اليها بشغف ، واحس من اعماق قلبه ، ان المصنف الرقيق الذي تحمله سيميزها دائماً عن الناس في الباص ، وعن كيتي المستهزئة وعن رالوكا الحيلة وسيفصلها عنه هو ذاته وعن الجميع ممن يرون القليل من اللون لارجواني في العالم ولا يستطيعون ابداع جمالاته •

هتف بصوت اصم ·

ـ نيمينا !

استدارت · لم ير قط وجهاً اجمل من هذا الوجه المتوهج من وقع المفاجأة ومن السرور ·

اندفع نحوها ، امسك يدها وقبلها · كانت جافة برداً وملطخة بالالوان ·

ـ اجلتّها حتى اغتسل ـ وابتسمت نيمينا سعيدة ·

ـ رأيت لوحاتك ، لماذا لم تكتبي لي انك انجزت كل هذا ؟

ـ يحيل لي انني بدأت لان افعل شيئاً · اكتشفت بنفسي السر القديم لكل رسام ـ غنى الألوان لا يكمن في كثرتها وانما في الظلال و لتنويعات التي ترحف على القماش · ارأيت المسودة الثانية ؟ انها افضل ·

ـ الن تنجزي اعمالاً غرافيتية ؟

ـ اريد ان ارسم البحر ولكن ليس كما رسمته في السابق · ليس ثمة داع لان ابحث عن موضوع لاعبر عن شيء هو لي · ارى لوحة الغرافيك عن البحر فجة رغم استيفائها كافة العناصر ، انها تشبه الانطباع عن الموسيقى ·

ـ اتفكرين بي يا نيفينا ؟

ـ طبعا ـ قالت نيفينا وتأبطت ذراعه ـ قال لي بعض الزملاء أمس انهم قد ضموني في نقابة الفنانين الى مجموعة ستروور تشيكوسلوفاكيا وبولونيا · سيفتتح هناك معرضان يضمان أعمالا لي · ناهيك عن معرضنا ! لن يكون الوقت كافيا لي · أجهد كي أعمل كل يوم ولكن دون استعجال ·

ـ يجب أن أرحل الى مكان بعيد ولفترة طويلة · أما اذا بقيت هنا ، فلا أريد أن أحيا منفصلا عنك ·

توقفت نيفينا ونظرت الى عينيه · ثم مشت وقد الصقت جبينها بكتفه · لم يلتفت كعادته في صوفيا حين تتأبط ذراعه · وتسلل حقية وبرنق ، ذلك الضيق الذي يخز قلبه · هرب ليتحدث معها عن طفليه على الرغم من أن ذلك ـ وهي

تعرفه ـ أغلى مكونات أحاديثه · لقد رأت هذين الطفلين ، انهما كبيران ذكيان يعرفان كيف يكرهان ، وهي تهرب منهما كاللص · كان ذلك حوالي الظهر من ذات يوم · كانت أشجار الاكاسيا حول المسيل الجاف مزهرة ، والجسر الخشبي يصر صريرا موقعا ، وعند طرف الشارع غير المفروش بالاسفلت ينمو عشب فتي ·

كانت تلك آخر أيام الدراسة · تسير الفتاة مع صديقتها وتؤرجح حقيبتها · عرفت يقينا أنها ابنته رغم أنها بعيدة عن الميلا ـ فامتدة تشبه أباها شبها كبيرا · توقفت الفتاة مع صديقتها أمام باب حديدي ذي دفتين · كانت رالوكا وابنه في الحوش قرب الحاجز ـ رالوكا ترتدي قميصا « بلوزة » صوفيا لامعا وبنطالا ضيقا · تمسك مقص الستنة وتشذب بمهارة بعض الشجيرات ·

ومنذ أن مشت في الشارع ، حيث كل شيء ذو معنى بالنسبة اليها ، فهمت ان من غير الممكن أن تربط حياتها بهذا الطبيب الهرم المثقل بهموم طفليه · هو انسان خلق للعائلة ، ذو شعور أصيل بالشهامة ، الى وضوح وانسجام يصعب عليه معهما أن يقيم علاقات مزدوجة · « مثل هذا يمكن أن ترسله الى الحرب وتنتظره بثقة ! » فكرت بهذا نيميا بنوع غامض من التعاطف الوجداني · عليه أن يتغلب على تناقض ضخم وقد يحول هذا فرحهما الى رماد ، ويثقلها بالتزامات قاسية · كل علاقة مع متزوجين ، ان لم تكن مجرد تسلية ، تخفي شيئا مأسويا · لقد خبرت ذلك خلال سنوات اللهو الضائعة في شبابها · وهي تعرفه الآن وقد أصبحت قادرة على اعالة نفسها ولم تعد لديها أفراح أو أحزان خارج دنيا الفن ·

ـ كل امرأة تحلم بأن تحب كما تحبني ـ قالت بصوت خافت ـ ولكنك لا تملك القوة كي تنفصل عن طفليك · عرفت ذلك منذ اليوم الاول ، ومع ذلك صممت اليك · انني سيئة ! ·

ـ كشفت لي عالما آخر ، لم أكن أعرفه · رهيب أن أفكر بأن حياتي ستنقضي بدون حب كهذا ·

تدفأت يدها في كمه كما تدفأ أيدي طفليه الباردة · لم يكن يرى الشوارع

التي يسيران فيها ، وعرف من الهـواء القوي وحده أنهما خرجـا الى « البوليفار » لدي على شاطيء البحر . لم تكن تسير معه ولم يكن طفلاه وحدهما يقفان بينهما بل كانت تقف أيضا لوحاتها التي لم تنته بعد . لم تقل بيفيب ذلك بل فكرت به. هي لا تريد أن تعيش دراما طلاقه ، وانما ستحافظ على قواها من أجل الفن .

ـ أنت وحيدة ـ احتضنها ـ كيف ستعيشين وحدك ؟

جلسا على مقعد في فجوة جـدار التدعيم الأبيض الذي ينزل حتى المسبح . اضيئت المنارة وقد أظلم البحر ، انحنت السماء فوقهما . أمسك أحدهما يد الآخر كطفلين ، كي لا يضيعا في هذا العالم ، الذي تغلبت فيه القطارات على جاذبيـــة الارض وجاذبية القلوب ، أما البواخر فتمخر بحارا غامضة دافئة . قد تمر حياتك في هذا العالم دون أن تو جه حبا كبيراً ، ولئن وجدته متأخرا جدا فلكي تفقده ... لغيوم المثقلة بالماء وبالشحنات الكهربائية الغضبى تجر بطونها فوق ديمبراي ، حيث تقيل الجواميس . ارتعشت أشجار المانجو انذاراً بالعاصفة . والهواء يهشم نش سقوف الحظائر .

الدكتور برايكوف جالس على الشرفة ، يحتسي شايا خفيفا . يتنفس بتثاقل . وجهه رطب . يسمع من النافذة المفتوحة على مصراعيها صوت رالوكا التي تتحدث الـــى القابلة :

ـ انقطع التيار الكهربائي فجأة ، حدث ذلك في بنايتنا وحدها . ولم يعمل البراد ولا مكيف الهواء طوال الليل . يا للهول ! لم يبق مكان لم يبحثوا فيه عن العطل . ولم يصلحوا حتى اليوم التالي الى المحول في الحوش . فماذا وجـدوا ؟ أفعى كبيرة نفقت وهي ملتفة على الاسلاك. تصوري ! حدث هذا في مركز كوناكري.

ارتشف الدكتور برايكوف جرعة أخرى من الشاي ونهض ليتمشى .. جذور شجرة المطاط الهندي المكسوة بالبثور تنسحب فوق الافعى المشوية .. والجـدور تشبه كرة من الافاعي . هو لا يحب هذه الشجرة الضخمة ذات الاوراق الصلبـــة التي تبدو ناشزة هنا ، وليست كذلك في غرفة الانتظار في صوفيا حيث تنمـــو في صندوق .

رأى ، من يمد ، الهنتاريين الذين تجمعوا حول المسبركي لا يداهمهم المطر • ثقب ايرجي الارض الجافة هنا وهناك خلال العام الماضي ، ولكنه لم يصمد ، ذهب الى داكار • شرب معه قبل سفره آخر زجاجة من الكونياك الافرنسي • احتضنه وخاطبه بالالمانية

ـ أنت الاله الابيض لهذا الشعب الاسود • فهل صنعت لهم الرقى حتى أحبوك كل هذا الحب ؟ لست آسفاً على شيء سوى الصيد • الاقواس ، الرمي ، الظباء ـ لو أن لدي قطعة « غونفس » بدلا من هذه البندقية • لا احتمل أكثر مما احتملت ، فليتصل من يشاء •

جاء هذا العام هيدرولوجيون جدد • انهم ثلاثة ـ ومعماريون أيضا • فتيان يتكلمون الروسية بشكل رديء • روج القابلة سعيد •

لقد وجد رفقة • هو تكنيكي كهرباء ، أما في دينغيراي فالكهرباء في المساء فقط • يساعد زوجته في دار التوليد ، أفضل جناح في البناء المريح الذي رتبوا فيه الصيدلية والمستشفى الجراحي • لم يكن قد خطا طبيب هنا منذ تكوين العالم • ورغم ذلك ، خرج الناس بثقة مدهشة من الغابات وقدموا اليه ليعرضوا عليهم جراحهم ، وليداوي أوجاعهم • كان يشتري الدواء بأمواله غالبا فليس ثمة ما ما تنفق المال في سبيله سوى ذلك •

بقيت رالوكا وابنته في كوناكري • دراغو يدرس في صوفيا • قبلوه في كلية الطب فورا بعد نيله الثانوية وهكذا سهلت خدمته العسكرية •

ينتهي تعاقده بعد شهرين • رالوكا تحسب ما سيشترونه من باريس وميلانو• بحثت في تحويل الكثير من الليرات الغينية الى دولارات • لم تشتر من هنا سوى التماثيل المصنوعة من عظام الفيلة والابنوس • وجلدين ـ لتمساح وفهد • وبحثت عن بعض الاقنعة الجاهزة ولكنها خشيت أن تكون زائفة • لن يكتشف أحد من ضيوفها في صوفيا طبعا ، زيفها ، ولكنها تفضل دائما حلية للمصدر من التحف على الاشياء الثمينة الزائفة • أثرت أحاديث رالوكا على القابلة فأرسلت لتاهـ ليساعدها ، ليحمل لها الماء من النهر ويغسل الصحون • دخلت رالوكا المستشفى

مرة فتأذت • أسندها ثم حملها على ذراعيه الى غرفتهم • ورمت في اليوم التالي بالقيام بزيارة معاً فراح يمزح ورفض النهوض من الفراش • لقد لمس في نظرتها رقه وسؤالا ما ، وجلا •

استيقظ هذا الصباح باكرا جدا وارتعش • زالوكا تنام قرب كتفه ، . وقد رأى في الحلم امرأة أخرى • اغمض عينيه ليحتفظ بطيفها تحت أهدابه • صحور ديتوشا تصل الى صيوانه وهو جالس على صخرةكروية عليها طحالب ذهبية • جاءت اليه ، دنت كثير ، هي بلحمها ، وانه ليرتعش • أرسل لها عدة رسائل خلال الاسنة الاولى من قدومه الى هنا ثم انقطع عن المراسلة • وها هو يتذكر الامسية الاخيرة •

القهوة الحجرية وغرفة التكيكي • بدا له أن تيفيسا قد قررت مسبقا انهاء علاقتهما ، لهذا تقبلت الافتراق بيسر وسرعة • لم تقم بأية محاولة لايقافه ، وبدا ذلك وسيلة لضمان مستقبل طفليه وتربيتهما • أحس بالمرارة لانه تركها تتحدث عن هذا • حبه النقي يسوطه بسياط دقيقة • صمم على ألا يفكر بها • أبعده اهتمامه بتنظيم المستشفى والعمل المضني عن الذهول الحزين • كان متيقنا حتى هذه الليلة من أنه نسيها •

ملأ سطوع البرق الاول الافق • الغيوم تود أن تتسكب كاوبس على الغابات وعلى قش سقوف الاكواخ التي يحافظون عليها في عاصمة غينيا القديمة ـ ديمراي ، حيث تقيل الجواميس • ستوتشف الاشجار الرطوبة الزائدة قبل أن يحل الشتاء الجاف ، وسيرسم النسغ على الجذع خطاً قاتما متعرجا لدائرة سنة أخرى • انهم من كراهية واحدة ومن حب واحد ؟ هذا مضحك ، ليس ثمة انسان يحب الى هذا الحد •

وسمع صوت الفتى يهتف :

ـ دكتور ، دكتور •

لقد أرسلت زالوكا الفتى أجعد الشعر ليدعوه •

الخريف في غابات البلوط

« الى زلاتكا دوبوفا

توقفت ريلا أمام شجرة تربية « من الفصيلة البلوطية » ، شجرة هرمة ملفوفة الجذع متشابكة الغصون · تجاويفها ملأى بالأوراق المتعفنة ، شجرة دون عصافير ، مثيرة وغامضة كتمثال تجريدي · رأتها ملء سمائها الصغيرة ··· استدارت نحو المصور ، ولكنه زرر غلاف الكاميرا الجلدي المهترىء ·

ـ لديك عدسة ، لماذا توقفت ؟

ـ غدا صباحا لن تهرب الظلال الطويلة ·

ـ الممثلون يرتدون ملابسهم يا فاسيل ···

صفر المصور صفرة قصيرة شريرة ، ريلا تفهم ماذا يعني هـذا الصفير · صمتت لان الفظاظة تهينها ·

ستتابع غدا صباحا ـ قالت مستديرة نحو الممثلين · دست كتاب الاخراج في حقيبتها المعلقة بكتفها بايماءة متعبة لقاطعة تذاكر في ترام · دار الناس ليعبروا الجسر أما هي فراحت تعبر الماء على أحجار كروية مرصوفة كطيور بط وسط النهر · في الناحية المواجهة جدول يمور بالزبد والالوان · ثمة بسط من الشعر والصوف تجفف تحت شمس الخريف الدافئة · رفعتها النساء وهي مبللة وطوينها فوق الدعائم · حييتها ثم استدرن خلفها · أصغت الى كلماتهن دون خجل أو اشفاق :

ـ أرسلت أطفالها الى المدرسة في صوفيا وبقيت هنا لترأس السينمائيين ···

سارت ريلا على الدرب ، وصوت النهر العليل يلاحقها · كانت المياه الخريفية قد فاضت وانسكبت على الضفة المنخفضة غامرة آثار أظلاف الثيران

وعربات الحطابين - طفح النهر واعتكر فمس الحسور وأعشاش الطيور والاشجار المرتمية من ضفة الى أخرى وقد انحدلت حولها رواحف النباتات المورقة محتطة بالصلصال • تطايرت أمام ناظريهـا بذور ، دقيقة مسنونة كالرمـاح الصغيرة • التقطت ريلا عددا من هذه الصفراوات الملونة بالليلكي اللطيف ، التي لا اسم لها • وضعتها في حقيبتها ـ فقد تروق لنيفيا • الغابة ذات الاوراق العريضة ىمرط بسورهـا بسخاء مفرط ، فالخريف فصل الحياة • نيفيا فتـاة مجموعة التصوير تجوب الغابة أثناء الاستراحات طلبا لثمار البلوط وبذور الغابة لتي تصنع عقودا منها بمهارة • وهي تبحث بين الالوان المتعددة عن لونها الاوحد وتكون سعيدة حين تجده •

جلست الجماعة تحت الطنف حول الطاولات العارية في مطعم تابع لمؤسسة الغابـات • سلل المصور الى المقهى ، ثـم رجـع مـع السائقين معربديـن وطلب « عجائز » مئة درهم حلاوة » • يقع البريد في الناحية المواجهة قرب البلاطـة التـذكارية لشهداء الحـرب • ريلا تتجه في مثل هـذا الوقت اليه طلبا للصحف والرسائل التي تحملها السيارة الباص • ولقد تلكأت قبل أن تذهب الآن • انها لا تريد أن تلتقي بتلك المرأة التي تلقت منها برقيتها صباحا •

انتظرت ريلا الى أن عدت المرأة غرزات نسيج دقيق • يكون جميلا في صباح بـارد كهـذا أن تقلب بيديك شيئاً طريـا ودافئاً • ابتسمت ريـلا حـين قدمت البرقية ، وقـد تكون ابتسامتها أزعجت المرأة أكثر مما أزعجها النص • « المشهد مقبول • اتبع النموذج • لا شيء خلف « الكادر » « اللقطات السينمائية » حتى الآن • أأعود ؟ أكتب • ريلا • »

ـ ريلا اسم جبل ـ قالت الموظفة في البريد ، وكانت تعابير وجهها جارحة •

أجابت المخرجة :

ـ كلا ، بل هـذا اسمي • كان أبي معلمـا لمادة الجغرافيـا • سمّى أخي بريسلاف وسماني ريلا •

وكان يجب تقديم ايضاح مناسب لخيال معلم الجغرافيا كذلك لزوجها قبل

ثلاثة عشر عاما • وكأن ريلا ترى الملازم الاول يحمل في يده برقيتها : « لا غيوم في صوفيا • ريلا » •

قال مايسا :

ـ هذه شيفرة •

ـ كلا ، هذه زوجتي ـ أجابه المخرج الشاب المعبأ منذ الامس في المطار •

ومع ذلك أرسلت البرقية الى وزارة الدفاع • وكان الامر بسيطا على الشكل التالي : استلقيا متعانقين وارتعشا حبا • كان الغروب يسيل في النافذة غيوما متوهجة لا مثيل لها • « ساكون حزينا ، اكثر ما أكون ، من أجلك ومن أجل هذه الغيوم » ـ خاطبها زوجها الذي كان عليه أن يصبح جنديا في الصباح • واخبرته ريلا في اليوم الثاني ببرقية ، أن ليس ثمة غيوم في صوفيا •

ـ تعالي ياريلا ، أقدم لك شيئا ـ امسك كتفها أحدهم بمودة • استدارت وأزاحت اليد عن كتفها •

ـ سأقدم لك كأسا من النعنع ، لقد تلاشت المتع الاخرى •

ـ في مرة أخرى يا فاسيل • لا أرغب في أن أشرب اي شيء •

ـ لم اكلمك أمام الناس حتى لا يترددوا ، فليس ثمة لزوم لاعادة التصوير • « البروفة » الاولى كانت جيدة •

ـ أنت غير واثق من ذلك •

ـ اسمعي ، كرهت دبك ••• صرنا متوحشين لبقائنا طوال الصيف في الغابة • الكمال سراب ، ولكن فيفروارب • أريد أن أذهب الى « يامبوكا » وأرى أصدقائي •

ـ ابني محموم ، وليليا في الصف الاول وهي تذهب الى المدرسة بدوني • لا أعرف من يربط لها شريطها صباحا ، ولم أر بعد معلمتها • وحين سيشاهد الناس الفيلم لن يسألني أحد عن هذا •

ـ سامحيني ، أنا ببساطة هكذا • ليلتك سعيدة ـ قال المصور رغم أن الظلام لم يخيم بعد •

يؤدي الى بيت مؤجرتها بيبا بونار خيساركيك شارع شديد الانحدار فوقه حجارة تبدو وكأنها في حوض نهري جاف . الحوش الذي يزدحم صيفا بالخضرة ذاو الآن فما فيه سوى رائحة الميلسار البري الحادة ، والبرسيم والمربى المعرض للشمس . أصفرت أكوام القرع المتفتحة وأكوار الذرة المقشورة . تأتي ريلا أحيانا الى السهرة وتصغي الى الأحداث التي تقصها المرأة الهرمة بحيوية مؤثرة وبعذوبة لفظ بلقانية . قتل أحد المغاربة عند توترا كان وبقي فتيا كالأغنية ، ولا تزال الشرائط البيضاء مشدودة على كاسية ساقه السوداء ، أما خطيبته يانكا فرن دواها النحاسيان عند العين . سقطت زجاجة العرق « الراكيا » التي أرسلتها له الى الجبهة مع أحد المأذونين ولم تتكسر . وكان الدن طافحا بالماء البارزة الحليبية ليذهب اليهم طافحا وسمشا . ابتسمت ريلا من أعماقها لهذه التعابير المبهمة . كانوا بسطاء متهللين كالخبازى الافرنجية قرب العين ، وكالقرانيا المنثورة لتحف فوق حجارة رملية ملساء . كل الاشياء في هذا البيت بسيطة وسليمة، أشكالها ناعمة مركزة . استشعرت ريلا باحساسها المهني للعالم المادي ، السكينة بين الأشياء والناس بقدر ما تقلقها غرابة بيتها المديني . ثمة ما بين البراد والتلفزيون شيء معطل وستبحث طويلا لتجد من يصلحه .

تعيش معلمة عجوز ، مستأجرة ، في بيت بيبا بونار خيساركيكا الفسيح قالت مرة لريلا :

ــ أعرف مكان كل حصاة في الحوش ، وكل حصاة عزيزة عليّ . ليس البيت بيت أبي ولكن حياتي انقضت هنا .

كان قد علّم انطون ستراشميروف ، في القرية ، في زمن ما ، « محمشيا أبدون » يتذكره القرويون العجائز ، ولا تزال المعلمة تتضايق من الوحل الصمغي الذي عارك ستراشميروف . سيجسد الفيلم يانكا والمغربي والمعلم ، وكما لو أنهم انعكسوا على صفحة الماء ، وكجذور تهمس للأوراق . « لماذا سيتذكرونني ؟ ــ فكرت ريلا ــ نساء القرية يسألنني عن سبب تركي طفلي وحيدين . ولو قلت لهن أبي أحب عمي كطفلي فسينظرن اليّ وكأنني حالة « زوجة أب » وأنا أخاف من اعلان ذلك لنفسي . قال لي المصور صراحة . « كل هذا العمل من أجل هذه

النقود • » أرى في الحسم مشاهد من الفيلم وفي النهار لا أرى شيئا على الشريط • لا شيء حتى الآن ، لا ايقاع للحياة • هذا تعبيرك يامزيزي ، ألن تفهم ان هذا يثقلني ، وانني أتالم بسببكم ؟ وحدنا نعلم أية ألحان ستنبعث من الآلات المدوزنة في دقيقة ما قبل الكونسرت ووحدنا نستطيع أن نحيا احتفال مدير الفرقة » •

صاحت المعلمة من السرادق :

ـ لم تقمين وسط الحوش يا ريلا ؟ انزلي الحقيبة ، على الاقل ، فانها تثقلك •

ـ شغلت بشيء ••• حين كانت أمي تذهب الى دراغا ليفتسي ، كانت تمشي أزهارها والجراب على ظهرها •

وتدعوها الجدة بيتا •

ـ اتركي طاس الطحين هذا ••• تعالي كلي •

غابات البلوط المشتعلة بلهب عسلي ضارب الى الحمرة قد ملأت النافذة الضيقة • النهر يرجّع خريره بعذوبة في مجراه ما بين التلال • ناولت ريلا كتابا مليئا بملاحظات زوجها • كانت قد وضعت خطوط تأكيد في نفس الاماكن •

••• الخريف في صوفيا وقتهما المحبب • يعودان معاً من الاستوديو ، يتحدثان عن الاصدقاء والاعداء • أوه ، هذا ليس حديثا ، انه معرض لوحات رائع • دهنه الحاد الصافي يقابل بالمعارضة الناعمة للارشادات السرية التي تداوي بها جراح اعتداده • ولكنهما لا يسيران وحيدين الا فيما ندر عبر الشوارع الحريمية ، كما أنهما لا يظلان وحيدين في البيت الا نادرا • أصوات فتية ـ متحمسة ومشككة ، احتفائية أو مختنقة تملأ بيتهما تماما • القهوة تهسهس في « الاكسبريس » البولوني ويحتم البخار الدقيق العطر سيل احتدام المتخصصين حول الاخبار الثقافية والافكار • ولكن ، ان لم يبتدعا شيئا ان لم يكن غنى عالمهما مكتسبا من تطوافهما الطويل بحثا عن الكنوز ومن النفي الطوعي فسوف يتحول الالق الى رماد من الكلام الفارغ • تقع عيناها على عينيه في الاستديو فتلمس ،

أحيانا ، وهما أو ذهولا فيهما فتعلم ، انه يفكر بالطفلين أو يتمعن في بعض الصور القاتمـــــة ٠

صدم الهواء اطار النافذة المتآكل ٠ تركت ريلا الصفحة دون أن تتم قراءتها وجلست على الكرسي الصغير قرب الزجاج القاتم ٠ لفّها الصمت والعبث وكأنهما ارجوحة من شبك ولكنهما لم يهدئاها ٠ « تركت جميع الهموم عليه ٠ سيضايقه هذا الفراق ، ويوحش كلينا ، وقد يكون الميلم كذلك في النهاية ٠ جمعت كومة من بعض حاجياتها بتمهل ودقة ٠

انطلق باب الحوش وسمعت أصوات ٠ وصوصت لجدة بينا بونارحيسارليكا والمعتمة الى غرفتهـا وقالتا بصوت واحـد يحمل قلـق الناس العاديين مـن برقية تصل متأخرة :

ــ لك برقية ٠

زمت الموظفة في البريد شفتيها بتأنق وفهمت ريلا أنها تعرف محتواها عـلى الورقة كلمتان : « أحب ٠ ابقي ٠ »

المدينة الجميلة

تسلل دفق من الماء عبر النافذة ، وطنّ الزجاج في الاطار الدقيق المتآكل ٠ استيقظ رايتشو من نومه الصباحي الهنيء ونظر الى الأعـلى وكأنه ينظر من قعـر بئر ٠ ثمـة غسيل مشور عـلى الشرفـات والسمكات المنظومـة في سـلك لتجف تسبح في الهـواء الازرق ، أما المدرس في مدرسـة « التكتيكوم » المسائية فيسقي حديقته بالخرطوم ٠ رايتشو لا يعرف اسمه الحقيقي ٠ قال ستامبو :

ــ هذا المعلم توبالكو ٠

وهكذا صار

فرقع أولا « محرك » المحاسب رايكو قبل أن يستيقظ تماما ومن ثـم راحت مؤجرة ستامبو تنفض السجاد ، كانت تضرب بشدة وكأنها تريد أن تنفض همومها

ومزاجها السيء • وماذا تراها تمص ، في حين لا يدخل أحد الى الغرف التي تظل نوافذها المقفلة مغطاة بالورق دائما • بعد التمص سحبت خرطوم الماء الاسود اللامع الى الشرفة بعد أن مرت بالمرشاة برفق على حقيبها المصنوعين من الصوف • يعيش في المطبخ ستامو وهتى اخر من معمل الكابلات الكهربائية • انتقى المعلم توبالكو مستأجري شقته من بين تلامذته ، فهذا الذي هو مطبخ في النهار يفرغ مساء ويصير للنوم • ويعيش في القبو اثنان من طلاب معهد المعلمين وأما في غرفة السقف فثلاثة من تلامذة الاعدادية •

تصل الى فندقنا الايطالي « ريما فيوريتا » ـ خاطب ستامو الفتيات اللواتي دعاهن بعد الحصة الاخيرة لتناول كأس من الكونياك في « ماليا » •

ضحكت الصبايا وفرحن • كان رايتشو مع الجماعة فابتسم لان ريما فيوريتا » هو اسم للسفينة الايطالية التي أفرغوا حمولتها نهارا • كان عبير البرتقال يتسرب عبر الصناديق الخشبية ويحمل الاحساس بقرب الارض البعيدة الدافئة • بضائع مورماسك تعبق برائحة برد سيبيريا البهيج ، وبضائع هامبورغ ببقاء ونكهة قهوة الصباح ، أما بضائع الشرق الاوسط فتسكب فوق الميناء مزيجا من الروائح الدافئة الغامضة •

البيت الصغير الذي يشبه العش المتجمع وسط الحوش تفوح منه رائحة القدم ، رائحة ثوب خلق • صاحبته ، العمة بويانكا تغسل وتغلي ولكن رائحة الشراشف القديمة والثياب القديمة تفوح من كل ركن ، حتى من شعر المرأة ، الذي وخطه الشيب •

أحست العمة بويانكا أنه مستيقظ فشرعت تخبط بالمغصة ، مثنى وثلاث ورباع • توقفت قليلا وقلبت الساطل فوق الحجر القماشي الذي انشق تحت أصابعها المبللة • أصبح الصحط على المطبخ ـ حيث ثمة مقعد صغير وسل كبير فيه مواسير ، أما الغرفة فمؤجرة الى أن يعود ابنها من الجندية • كانت العمة بويانا قد دقت قفة من القطع القطنية الملفوفة ومن قشور أكواز الذرة وتركتها في غرفته طوال الليل لتمتص كل صباغ الانيلين •

ـ وصوصت مؤجرته من الباب فجأة :

ـ أستيقظ أنت يارايتشو ؟ لقد عاد هذا المبثر ليمسك من النوم !

ـ سأشد يوما خرطوم الماء منه واجعله يطير معه ٠

ـ لا يضايقني سواه من أهالي التعاونية ٠ يقول ان مخطط البناية يمر تماما وسط سقفك ، أي الى قطع القرميد المارسيدية ٠ ويقول لي : لئن كانوا أبقوك حتى البن ، فانا لن أنتظرك طوال الحياة ٠ انظري الى الجيران الذين يتصرفون بحوش كامل أية بساتين أقاموا للسمورة والبصل وسوروها بحجارة مطلية بالكلس ووضعوا قطع القرميد بين المساكب ، عسى أن تسد حزمتان من البصل بلعومه !

أصغى رايتشو اليها باشفاق ، فأفضت اليه العمة بويانا بهمومها التي تجعلها تخبط طوال النهار بالمنفضة ٠

ـ أنا امرأة تخبط وحيدة في الظلام ، وهو يرش لي الزجاج ! حين يعود « فارين » سأذهب الى القرية ، المدينة لا تناسبني ٠

ـ لماذا يا مؤجرتي ، المدينة جميلة جدا ٠

ـ المدينة كالعالم ، ولكن لأولئك الذين يعيشون في شقق ٠

استدار رايتشو نحو الجدار ، رفعت العمة بويانا القفة وأغلقت الباب بهدوء ٠ والمدينة كالعالم بالنسبة له هو الذي لا يملك سوى بدلة جديدة وحسم ٠٠٠ أغمض عينيه ليراها ، مرة أخرى ، تسير حول مستودعات الميناء على مهل دون أن تهتدي الى الطريق ٠ خط السكة الحديد المشرش في الممر الكبير ينجدل حول خطاها الرقيقة ٠ المرأة تنظر نحو البحر ويدفع النسيم شعرها الثقيل الاشقر ليجمع على كتفيها ، عرفها رايتشو مذ رأى ظهرها ، من قربها مباشرة ، حتى كادت العربة الكهربائية تعلق بفستانها الرقيق ٠ لم تهتف به ولم تلوح بيدها ٠ اجتازت خطوط السكة الحديد وانحدرت نحو الميناء ٠ يكشف فستانها عن كتفيها المكسوين بنور الشمس

وقفت جماعات من نساء بحارة « روديسا » أمام مركز المراقبة • رصيف الميناء محاط بأكوام من الحديد • تجمهر عمال مغبرون بنترات الجير والجبس عند جدار الميناء كتماثيل غير مكتملة • تنقر الرافعات بمناقيرها الطويلة عنبر سفينة سويدية وتؤرجح حمولتها فوق رؤوس النساء دون أن يتراجعن • ثمة جهاز للهاتف في مركز المراقبة ، والهاتف يعلمهن بعد كم دقيقة ستصل السفينة • الشمس تغوص في الامواج كبرتقالة ضخمة ومن الزرقة البعيدة تنسم رعشة الانتظار •

اومات نساء البحارة للشقراء حين اقتربت وتحركن ليفسحن لها مكاناً . انها زوجة القبطان . وقفت قربهن دون ان تكلم احداً ولو كلمة حتى انها لم تسأل مركز المراقبه عن الدقائق المتبقيه .رفع النسيم شعرها الشمسي كوفرة، سوته بحركة عصبية واستدارت نحو البحر • كان وجهها دقيقاً ، مستطيلا ، قمحاً . نظرت الليبه البارحة ايضا الى البحر . لم يكن ذلك اثناء الليل تماما وانما مع الفجر الرمادي الساكن . كان الضوء ينزلق من الشفق المبيض على الامواج. افاقت المسابح المرورة على وقع الخطوات الغامضه . كان رايتشو عائداً من الورديه الثالثة . هو في الصيف لا يذهب الى البيت صباحاً بل ينام بين اعمدة المسبح الى ان يغض المعلم توبالكو بسطه جيداً .

لفحته الشمس وأيقظه صخب الستونوات • امرأة القبطان الشقراء تجلس على الرمل البارد متكئة على صدر رجل رشيق . صفر رايتشو آنذاك فغطت وجهها بيديها . التفت الرجل ونظر اليه ، ثم اعطاها يده واختفيا في الممر الظليل .

نادى رايتشو ستامو الذي كان يطلي الصوامع بموسعات الجير واشار له باتجاه الشقراء . ستامو اخصائي في هذا الميدان وهو يرى أن السفن تمخر البحر وتمخر الشوارع النساء .

ـ هل اعجبتك ؟

ــ يالها من قطة . قبطان برعاس وحده لديه امرأة جميلة . وهي تعرف على البيانو في قمرته .

سبحت اضواء « رودينا » فوق البحر المنطفيء وتحركت انسـاء امـام مركز المراقبة . تعدمن كجفاف القيظ . زوجة القبطان وحـدهـا لم تتحرك . السفينة تقترب متارجحة . نظرت اليها وكانها لم ترها ثم استدارت وانصرفت، متمهلة ، كما اتت . راى رايتشو المرأة تذهب وفهم تصرفها . يهيم في اعماقـه سر غريب وحب عجيب . شيء كبير مرّ قربه ورماه باشارته السرية .

انطلق عبر شوارع المدينة ، عبر شوارع المدينة الجميلة . بحث عنها بين آلاف المجهولين . فتش عنه طوال ايام عديدة ، ثم رآها فجاة ــ تسير متأبطـة ذراع ذلك الرجل الرشيق ولم تغط وجهها بيديها ، بل رفعته عالياً مثل زهرة. عبرا . امتلأت الساحة الصغيرة بالأسى والوحشة وبصرخات زمج الماء .

اوى رايتشو الى البيت ، تمدد على السرير ونظر الى الاعلى وكأنـه ينظر من قعر بئر ، سبحت السمكات الفضية النافقة في محيط آخر .



جائزة نوبل للآداب لعام ١٩٧٥

تتويج الشاعر الايطالي
ايوجينيو مونتالي EUGENIO MONTALE

عيسى الناعوري

قبل أن أقدم الى القارىء العربي الشاعر الايطالي الكبير أيوجينيو مونتالي ، الفائز أخيرا بجائزة نوبل للآداب ، أود أن يكون شعره هو الذي يقدمه • وبذلك عدت الى مجموعاته الشعرية الخمس ـ وتضم كل شعره المنشور في كتب حتى عام ١٩٧٢ ـ ونقلت الى اللغة العربية عدة قصائد من كل منها ، لتصور مختلف المراحل التي مر بها الشاعر في حياته الشعرية ، ومختلف الأفكار التي استوحى منها شعره ، وتصور كذلك اللون الشعري المبهم ـ الرمزي ـ الذي يكتب به ؛ وهو لون شديد الغموض ـ في المراحل الأولى على الأخص ـ والأفكار فيه غالبا ما يكون منبعها الكآبة ، والحزن ، بل القنوط أحيانا ، حتى لقد دعي مونتالي في فترة من حياته الشعرية بشاعر القنوط •

مجموعات الشاعر مونتالي الشعرية الخمس هي :

١ ـ عظام سمك السبيدج ـ (OSSI DI SEPPIS)
٢ ـ المناسبات ـ (LE OCCASIONI)
٣ ـ العاصفة ـ (LA BUFERA)
٤ ـ خليط ـ (SATURA)
٥ ـ يوميات عام ٧١ وعام ٧٢ ـ (DIARIO DEL '71 E DEL' 72)

وقد صدرت المجموعة الأولى عام ١٩٥٢ ، وأغلب قصائدها مستوحاة من



■ الشاعر مونتالي الى اليمين ، وبجانبه الروائي الشهير فاسكو براتوليني ■

مواجع الحرب العالمية الأولى ، التي اشترك فيها الشاعر ضابطا في الجيش الايطالي . وصدرت المجموعة الثانية عام ١٩٣٢ ، والثالثة عام ١٩٥٦ ، والرابعة عام ١٩٦٣ ، والأخيرة عام ١٩٧٣ .

ولكي تكون الصورة واضحة وشاملة الى أبعد حد ممكن ، رأيت أن يكون عدد القصائد المترجمة كبيرا ومتنوعا ، وشاملا لجميع هذه المجموعات الخمس .

١ ــ من مجموعة (عظام سمك السبيدج

١ ــ استهلال ــ ((Il Limine)

ستمتع اذ كان الهواء الذي يدخل الى البستان

يعيد اليه موجة الحياة :
هنا حيث يحرق ميت
ممتزج بالذكريات •
لم يكن بستانا، بل مستودع ذخائر(١)•
والرفيف الذي تسمع ليس طيرانا
بل هو التحرك الأبدي في الصدر •
اترى كيف يتحول هذا الذيل المنفرد
من الأرض الى وعاء •

• • •

ان في هذه الجهة من الجدار المرتفع لنضبا ،

فان أنت تقدمت ، فلربما التقيت
بالشبح الذي يفقدك .
هنا تتألف الحكايات ، والأعمال
غير المحجوزة ، للمدة المستقبل •

• • •

إبحث عن حلقة مقطوعة في السلسلة
التي تشدنا ، واقفز الى الخارج ، اهرب !
إذهب ، لقد دعوت لك ــ والآن سيصبر الظمأ

(١) الذخائر هي البقايا المحوطة للتذكار •

أمون علي ، والصدأ أقل مرارة •••

٢ ــ الليمــــون (I Limeni)

اصغ الي ، فالشعراء المجيدون
يتحركون فقط بين النباتات
ذوات الأسماء القليلة الاستعمال :
كلبقس ، والحناء ، والنباتات الشائكة

اما أنا فأحب الدروب التي تفضي الى
الحمر المعشبة ، حيث المستنقعات
نصف الجافة ، يصيد فيها الأولاد
بعض أسماك العنكليس الهزيلة ،
والمسالك الضيقة التي تحاذي حوافي الحفر
تنحدر بين جمم القصب الكثيفة
وتصل الى الحدائق ، بين أشجار الليمون

• • •

من الخير أن تنطفيء حروب العصافير
وتبتلعها الزرقة الرحيبة
ويسمع بوضوح اشد همس
الأغصان لأصدقاء في الهواء الذي
يكاد لا يتحرك ،
وتحس أنفاس هذا العطر
الذي لا يعرف كيف ينفصل عن الأرض
وتمطر في الصدر حلاوة غير هادئة •
هنا ، بسبب رغبة لديدة ، تصمت
الحرب بمعجزة •

وهنا تنال نحن المساكين أيضا نصيبنا
من الغنى ٠
وهذا من عطر الليمون ٠

ـ ٢ ـ

أنظر ، في هذا الصمت الذي تتراخى
فيه الأشياء
وتبدو على وشك
أن تفضح سرها الأخير ،
وأحيانا نتوقع أن نكتشف خطأ في
الطبيعة ،
النقطة الميتة من العالم ، والحلقة التي
لا تُمسك ،
والخيط الذي علينا أن نتبعه ، والذي
سيضعنا أخيرا
في قلب بعض الحقائق ٠
ان النظر يتلمس مَن حوله ،
والعقل يبحث ، ويجمع ويفرّق
في العطر الذي يمتد
كلما ازداد النهار اضمحلالا ٠
انه الصمت الذي يُشاهد فيه
في كل ظل انساني يبتعد ،
شيء من الألوهية المضطربة ٠

٠ ٠ ٠

حين ان الوهم يعوزنا ، ويعيدنا الزمن
الى المدن الصاخبة ، حيث تبدو الزرقة
متقطعة فقط ، في الأعالي ، بين
الأبراج ٠
ان المطـــر يُتعبُ الأرض بعدئـذ ،
وتتراكم
سآمة الشتاء على البيوت ،
ويبخل الضوء ـ وتزدادمرارة النفس٠
وفي ذات يوم ، من باب كبير نصف
مغلق ،
تبدو لنا من بين الأشجار ، في ساحة ما
صفرة الليمون ،
فينقشع الجليد من القلب
وتنطلق في الصدر
أغاني الليمون
وأبواق الشمس الذهبية ٠

٣ ـ عظام سمك السبيدج ـ
(Ossi di Seppia)

ـ ١ ـ

لا تطالبنا بالكلمة التي تطوّق من كل
جـانب
نفسَنا التي لا شكل لها ، وبحروف من
نــار
تنيرها ، وتلمع كالزعفران
الضائع في وسط مرج كثير الغبار ٠

٠ ٠ ٠

يا للانسان الذي يمضي واثقا
من انه صديق للآخرين ولنفسه ،
ولا يبالي ظله بحر الشمس اليمانية
المطبوعة فوق جدار غير مجصص ٠

٠ ٠ ٠

لا تطلب منا الصيغة التي تستطيع أن تفتح لك العوالم ،
ربما كان لدينا مقطع أعوج وجاف كالغصن .
هذا وحده ما نستطيع أن نقوله لك اليوم ،
وهو ما لسنا اياه ، وما لسنا نريده .

— ٢ —

أقف عند الأصيل شاحبا مستغرقا
عند جدار حديقة محرقة من وقدة الشمس
واصغي من بين العُليق والأغصان
الى رقزقة الحساسين ، وحسيس الأفاعي .

. . .

في شقوق الأرض أو على الرسيم
أتأمل أسراب النمال الحمر
التي تتفرق حينا ، وحينا تتلاحم
حول أكوام من حبات الحنطة الصغيرة .

. . .

وأراقب بين الغصون هديرا
بعيدا من تلاطم أمواج البحر
في حين ترتفع أصوات راعشة
من الجداجد في القمم الجرداء .

. . .

وأمضي في ضوء الشمس الذي يبهر النظر
شاعرا ، في دهشة حزينة ،
كيف تمضي الحياة كلها ، وما فيها من كدر ،
تلاحق هذا الجدار
الذي تملأ أعلاه قطع الزجاج الحادة .

— ٣ —

يا حياتي ، لست أطلب منك حظوظا
ثابتة ، ولا خلقة بهيجة ، ولا أملاكا .
فمي دورانك المضطرب يتساوى
طعم العسل وطعم عشبة الأفسنتين .

. . .

والقلب الذي يرى الحقارة في كل حركة
يقفز مهتزا .
كذلك تئز أحيانا في
صمت الغابة طلقة بندقية .

. . .

— ٤ —

كثيرا ما قاسيت من نعمي من الحياة :
لقد كانت كالجدول الحبيس ، الذي يبقبق ،
وكسقوط الورقة
المحترقة ، وكالحصان المطروح لشدة الحر .
لم أعرف الخير ، في ما عدا المعجزة

التي تمنحها نعمة اللا مبالاة :
كانت كالتمثال الشارق في
نوم الأصيل ، والبيمة ، والباشق
الطائر في الأعالي .

★ ★ ★

ـ ٥ ـ

أيتها السعادة ، من أجل بلوغك يسير المرء ليلك
على حد الشفار .
انت للعيون بصيص يترجرج ،
وللقدم جليد ممتد يتشقق ،
ولذلك لا يمسك من هو أكثرهم لك .
فاذا ما وصلت ، وبقيت عن النفوس ما
يدهشها من حزن ، فان صباحك
سيكون حلواً ومزعجاً كأعشاش القمم العالية .
ولكن ليس من شيء يمنع الطفل من البكاء
عندما يهرب منه بالونه بين البيوت .

★ ★ ★

٤ ـ البحر المتوسط ـ
(Mediterraneo)

أيها البحر القديم ، لقد ثملت بالصوت
الذي يخرج من أفواه أمواجك حينما تفتح وتتأرجح
كأجراس خضر ، ثم تنداح
الى الخلف وتنحل .
منزل صبيناتي البعيدة
كان على مقربة منك ، كما تعلم
هناك في المدة التي فيها الشمس محرقة ،
وغيوم البعوض تملأ الفضاء .
انني أقف اليوم في حضرتك متحجراً،
كما كنت أفعل حينذاك
أيها البحر ، ولكن لا أظنني ما أزال أهلاً
لهذا الاشعار الحافل
من أنفاسك . لقد كنت انت أول من قال لي
ان خفقات قلبي الضئيلة
لم تكن سوى لحظة عابرة
أمام خفقات قلبك . وعلمتني أن اكتشف في أعماقي
ناموسك المغامر : فأكون رحيباً ، متنوع التجارب
وثابتاً على طبيعتي في الوقت نفسه ،
وأن أتطهر من كل دنس
كما تفعل أنت اذ تقذف على الشواطيء
الأقذار ونجوم البحر

وغيرها من الأشياء البالية التي في أعماقك .

★ ★ ★

٢ ـ من مجموعة (المناسبات ـ (LE OCCASIONI

١ ـ الشرفة ـ (Il Balcone)

كان يبدو لعبة سهلة
أن أحول الى العدم الفضاء
الذي كان قد تفتح لي ، والى السآمة
المشكوك فيها أحول نارك المؤكدة

★ ★ ★

والآن ، الى ذلك الفراغ أضفت
كل ما لدي من أسباب متأخرة ،
وعلى العدم القاسي يمرر
قلقي الحي في انتظارك .

. . .

ان الحياة التي تمنح بصيصا من نور
هي تلك التي تلمحينها أنت وحدك .
اليها تتطلعين من هذه النافذة
غير المضاءة .

★ ★ ★

٢ ـ كلمسات ـ (Mottetti)

ـ ١ ـ
انك لتعلمين ان علي أن أفقدك ولا أستطيع

كرصاصة محكمة الاطلاق يهيجني
كل عمل ، وكل صراخ ، وكذلك التنفس
المالح المتدفق
من أرصفة الميناء ، ويجعل الربيع قاتما
في (صوتوريبا (Sottoripa

. . .

مدينة حديد وأشجار
كالغابات ، في غبار المساء .
ويأتي صريــر طويل من الفضــاء المفتوح ،
كصوت ظفر على الزجاج . فأبحث عن العلامة
الضائعة ، العهد الذي تفضلت علي به وحده
والجحيم بعدئذ مؤكدة .

★ ★ ★

ـ ٢ ـ
أعوام كثيرة ، وواحد منها هو أقساها، على البحيرة
الغريبة التي تشتمل عليها الأمسيات.
ثم هبطت من الجبال لتعيدي الي
علم القديس جورج والتنين .

. . .

وددت لو استطعت أن أطبعها .

على المَلَمّ الذي يخفق في الربيع الشمالية ،
وفي قلبي ••• ومن أجلك أنزل في دوامة من الوفاء الأبدي •

★ ★ ★

— ٣ —

استمرار العصافير السوداء والبيضاء في الصعود والهبوط
من عمود التلغراف
الى البحر
لا يحمّف منكآباتك على رصيف الميناء
ولا يردُك الىحيث لم تعوديتوجدين•

• • •

لقد أخذ يموج عطر البيلسان المزروع في المنخفض ، والمطر المدرار أخـذ يخف •
واذا كان الصحو استراحة
فان تهديدك العزيز يستنفدها •

★ ★ ★

— ٤ —

في أول الضوء ، حين يخاطبني
ضجيج
سكة الحديد المفاجيء
من أناس في الداخل مسرعين
في نفق من الحجر
يدخله الضوء متقطعاً
وممتزجا بماء المطر

• • •

وفي أول العتمة ، حين
يروح الازميل يزيد من قوته
في التهام طاولة الكتابة
وخطى
الحارس تقترب :
في الضوء وفي العتمة ، ما تزال هنالك
استراحات انسانية
ان كنت تصرين على أن تحبكيها معا بخيطك •

★ ★ ★

٣ ـ من مجموعة (العاصفة ـ
(LA BUFERA

١ ـ العاصفة ـ ((La Bufera)

العاصفة التي تهمس على أوراق المانوليا القاسية
ورعود آدار الطويلة
والبَرَدْ
(رنين البلور في عشك
الليلي ، يفاجئك : من الذهب
المطفأ على الخشب ، على
الكتب المجلدة والمختلفة الأحجام ، وما تزال تحترق
حبة سكر في
غلاف أهدابك)

البرق الذي يحلّي الأشجار
والجدران ، ويفاجئها في
تلك اللحظة الأبدية ـ الرخام والمن
والدمار ـ المحفورة في داخلك
و لتي تحملينه ديمومة لك ، وتشدك
الى أكثر مما يشدك الحب ، أيتهـــا
الأخت الغريبة ـ
ثـم المـــرق القـــاسي ، والآلات
الموسيقية ، وارتعاش
الدفوف فوق الحفرة المظلمة ،
ودوس الأوراق في رقصة الفاندانو ،
ومن فوق
حركة ايماء ...
مثلما فعلتِ
حينمـا التفتِ ، وقـد انزاحت عـن
جبينك غمامة الشعر ،
وبيديك
حييتني ، لكي تدخلي في الظلام .

★ ★ ★

٢ ـ سريناداً هندية ـ
(Serenata indiana)

لنا انقشاع الامسيات
ولنا الشريط الضوئي الذي يصعد
من البحر الى الساحة ويجرح الصبّار .

في وسعك أن تقوديني بيدك،اذا كنت
تتظاهرين بالاعتقاد بأنك معي ، وان
أكنْ أنا من الحماقة
بحيث أتبعك بعيداً . وما تشدّين عليه،
وما تقولينه، يبدو أنه في مقدورك ..

. . .

ليتها كانت حياتك تلك التي تبقيني
على العتبـــات . وليت في وســعي أن
أعيرك وجها ،
وأن أعطيك شكلا خادعا . ولكن ليس هذا،
ليس الأمر كذلك . ان السمك الذي
يمـد
حبلاً من الحبر ما بين صخور البحر،
يمكنه أن يستخدمك . انك تنتمين اليه
دون أن تعرفي ذلك . انك هو، وتظنين
انك أنت .

★ ★ ★

٣ ـ تاركا السؤال « أين ؟ » ـ
(Lasciando un "Dove ?")

حمامة بيضاء هبطت علي
بين أعمدة ، أسفلها حاد ، وعليهـــا
تمشش السماء .
أصباح وأنوار ، معلقة . لقد أحببت
الشمس ،
ولـون العســل . والآن أريــد لـون
الرماد ،
وأريد النار المقيمة ، هذا القبر

الذي لا يطير ، ونظرتك التي تتحداه .
(أدبيره)

★ ★ ★

٤ ـ سوريا ـ (SIRIA)

كان القدماء يقولون ان الشعر
سلّم الى الله . ربما لم يكن كذلك
اذا أنت قرأت شعري . ولكنني عرفت
ذلك اليوم
حين عدت فوجدت صوتي لأجلك
منطلقا مع قطيع من الغيوم والأغنام
متفرّق في منحدر ، يقضم
أوراق العليق والأعشاب المائية ،
ولقد ذاب وجها القمر والشمس
المحروقان .
لقد تعطل محرك السيارة ؛ وقطعة من
الدم
على حجر أسود كانت تشير
الى طريق حلب .

★ ★ ★

٥ ـ على العمود الأعلى ـ
(Sulla colonna piu' alta)

يجب أن يقوم في الأعلى
المسيح الديان
لكي يقول كلمته .
ما بين حصباء الأنهار السمة ،
ستخجل الغربان والبلابل على السواء ،
وثناثات القنّيص ودوار الشمس .

. . .

ولكنك في ذلك النسق كنت هناك في
الأعلى :
قاتمة ، وجناحاك مقطوعان
من شدة صقيع لنثان امقابل .
وكان بريقك يحيل الى مثل صمـــغ
الشجـر
ابتيجان السوداء على رؤوس الأغصان .
وكانت الحمامة تتلو مقاطع الشريعـة
عليك وحدك .
(من مسجد دمشق)

★ ★ ★

٤ ـ من مجموعة (خليط ـ
(SATURA)

أرى أنني ههنا في حاجـة الـى
تعليق ، قبل أن أدخل في الترجمات .
والسبب في ذلك أن كلمة (Satura)
لاتينية ، وكان معناها : « القصائد
الشعبية الرومانية غير المستمدة مـن
أصل يوناني» وتعني أيضا : صحنا من
الطعام الشعبي يضم خليطا من أطعمة
متنوعة . ومن هنا ترجمناها بكلمـة
(خليط) .
وهذه المجموعة الشعرية الرابعـة
للشاعر ، التي ظهرت عام ١٩٧١ ،
تمثل موقف الشاعر من أزمة اللغـة

الشعرية الحاضرة ، الناجمة عن الجدال بين الفردية الرمزية والفرضية الواقعية الحديثة ، الداعية الى جعل الشعر وعاء لمضامين المجتمع وايديولوجياته . ولم يكن مونتالي في يوم من الأيام ايديولوجيا ، يسخر نفسه وشعره لايديولوجيات المجتمع وعقائدياته ، لا في العهد الفاشيستي والناري ، ولا في العهد الاشتراكي ؛ فهو يرد الشعر الى أدواره الأبدية التي تجعله بطبيعته شيئاً للمجتمع ، ولكنها لا تجعل منه عملا سياسيا ، او مذهبا اجتماعيا أو حزبيا ، ولا ترضى بأن يكون عملا يفرض من الخارج ، لأن الشعر عمل فني ينبع من احساس داخلي .

وينقسم ديوان (Satura) هذا الى قسمين أساسيين : القسم الأول عنوانه : (XENIA) ومعناها : نتف من الكلام ترسل مع الهدايا المرسلة الى الأصدقاء . وهي مجموعة من القصائد عددها ٢٨ قصيدة ، استوحاها الشاعر من ذكريات زوجته التي توفيت عام ١٩٦٣ . والقسم الثاني قصائد متفرقة .

ونلاحظ ان الشاعر ، ابتداء من هذه المجموعة الشعرية ، قد أصبح اقل غموضا في شعره ، وأسهل لغة منه في مجموعاته الثلاث السابقة . فليس من السهل أن يدرك القارىء — حتى غير العادي — مرامي شعره السابق بسهولة ؛ وهو فيه متأثر كل التأثر بصديقه الشاعر الأميركي (عزرا باوند) وبالشاعر ت. س. ايليوت ولا سيما في قصيدته (الأرض البوار — (The waste land ورمزيته — أو انغلاقيته الابهامية — من هذه الناحية تختلف من ابهام زميله (جوزيبي اونغاريتي) المتأثر برمزية (بول فاليري) .

أما في (Satura) وما يليها، فقد أصبح شعر مونتالي أكثر شفافية — ليس الى حد كبير جدا ، بل الى حد ما — وهذا ما يسمح لنا بأن نختار من هذه المجموعة أكبر عدد ممكن من القصائد ، من القسمين اللذين يشتمل عليهما الديوان .

(المترجم)

* * *

١ — من مجموعة (Xenia) :

(— الاستماع كان طريقتك الوحيدة للرؤية

وقد انخفضت الآن نفقات الهاتف...

. . .

٢ ـ العودة الى تذكر بكائك (وكان بكائي مضاعفا)
لا يفيد في اطفاء تفجر ضحكاتك
التي كانما كانت سبقا لديمومة صامة
منك ، ولكنها دينونة لم تقع قط ،مع الأسف .

• • •

٣ ـ « أكانت تصلي ؟ » ـ « نعم، كانت تصلي الى القديس انطونيوس
لكي يجعلها تعثر من جديد
على المظلات المفقودة، والأشياء الأخرى
من خزانة القديس ايرميتي » .
« أمن أجل هذا فقط ؟ » ـ « ومن أجل موتاها .
ومن أجلي « .... » يكفي هذا ،
قال الكاهن .

• • •

٤ ـ مات أخوك في ريعان الشباب .
وأنت كنت الطفلة التي تنظر الي
« في استراحة » في اللوحة ليمسوية .
كان يؤلف قطعا موسيقية غير مكتوبة ،
وغير مسموعة ،
هي الآن مدفونة في صندوق ، أو لعلها
تمزقت . وقد يعود الى تأليفها واحد
لا علم له بها، ن كن ماكُتِب قد كُتِب

لقد كنت أحبه دون أن أعرفه .
ما عداك لم يكن يتذكره أحد .
وأنا لم أقم بأي بحث . ولا فائدة من ذلك الآن .
من بعدك بقيت أنا وحدي الذي يشعر
بأنه كان موجوداً . ولكن من الممكن ،
كما تعلمين ، أن يحب المرء ظلا ؟
فنحن أنفسنا ظلال .

• • •

٥ ـ أيتها الحشرة الصغيرة العزيزة
التي لا أدري لماذا يدعونها ذبابة ؟
هذا المساء ، في مثل العتمة ،
وبينما كنت أقرأ في سفر (تثنية الاشتراع) من التوراة
ظهرتِ من جديد الى جانبي
ولكنك كنت دون نظارات ،
فلم تستطيعي أن تريني ،
ولا استطعت أنا أيضا ، لولا ذلك البريق ،
ان أعرفك في الضباب .

• • •

٦ ـ لم استطع قط أن أفهم هل كنت
أنا كلبك الأمين ، والمصاب بالسل ،
أم أنك كنت انت لي كذلك .
أما الآخرون فلا ؛ لقدكنتِ لهم حشرة حولاء

ضائعة في ثرثرات
المجتمع الراقي • كانوا بسطاء ،
أولئك الخبثاء ، ولم يكونوا يعرفون
انهم هم أنفسهم مجال تندّر وسخرية
لـك ،

وأنه قد شاهدهم ، حتى في الظلام ومن
دون أقنعـة ،
حس منك لا يخطيء ،
وادارك الخفاشي •

• • •

٧ ـ في فندق سان جيمس، في باريس،
عليّ أن أطلب
(غرفة مفردة) ـ انهم لا يحبون
الزبائن غير المزدوجين ـ وكذلـك
أفعل
في بيزنطية الزائفة ـ فندقك في
البندقية ـ لكي أبحث بعدئذ حالا
عن مقصورة عاملات الهاتف ،
صديقاتـك الدائمـات • ثـم أغادر
الفندق
وقد استنفدت كل الشحنة الميكانيكية ،
رغبة الحصول عليك من جديد ، ولو
في حركة واحدة ، أو عادة واحدة من
عاداتك •

• • •

٨ ـ لقد نزلتُ ، وأنت تتكئين عـلى
ذراعي ، مليون درجة على الأقل،
والآن لـم يبق بعد غيابك غير الفراغ
عند كل درجة •
وبهذا أيضا كانت رحلتنا الطويلـة
قصيرة •
ان رحلتي ما تزال مستمرة ، ولـم
تعد تعرض لي
مصادفات أو حواجز ،
او مصائد ؛ ولا مصائب مما يعرض
لمن يؤمنون
بأن الحقيقة هي ما تراه فقط •

• • •

لقـد نزلت ملايـين الدرجـات وأنت
تتكئين على ذراعي
ليس لأن الرؤية بأربع عيون قـد
تكون أفضل •
لقد نزلتهـا معك لعلمي ، مـن بيننا
نحن الاثنين
ان البؤبؤين الحقيقيين لوحيديـن ،
على الرغم من حبوهما ،
كان بؤبؤيك أنت •

• • •

٩ ـ كان الخمار يسكب لك شيئا
من الجحيم • وأنت تقولين مذعورة :
« هل ينبغي أن أشربه ؟ الايكفي
اننا كنا في قلب نار بطيئة ؟ »

• • •

١٠ ـ والجنة ؟ هل ثمة جنة ؟
ـ أظن ذلك يا سيدتي ، غير أن
الحمور الحلوة
لم يعد يريدها أحد ...

. . .

١١ ـ يقولون ان شعري
شعر لا انتماء له .
ولكنه اذا كان لأجلك فهو منتم الى
أحد :
اليك أنت بعد أن لم تعودي شكلا ،
بل جوهرا .

. . .

ويقولون إن الشعر في قمته .
يعظم (الكل) في زواله ،
وينكرون أن السلحفاة
أسرع من البرق .
أنت وحدك كنت تعرفين ان الحركة
لا تختلف عن الاحتقان ،
وأن الفراغ هو الامتلاء والصفاء
وأنه أكثر انتشارا من السحب .
هكذا ادرك ادراكا أفضل رحلتك
الطويلة
وأنت حبيسة اللفائف والجبس .
ومع ذلك لا يريحني
أن أعلم أننا ، واحدا كنا أم اثنين ،
شيء واحد .

★ ★ ★

٢ ـ من القسم الثاني (Satura)

١ ـ نهر الفرات ـ (Eufrate)

رأيت نهر الفرات في الحلم ؛
جريانه البطيء من بين
منحصات متآكلة ووقفات عريضة في
فجوات من الرمل مردانة بنسيج من
عناكب الشجر .
ترى ماذا رأيت أنت خلال ثلاثين سنة
(أو مئة) . يقينا أن ما رأيته كان
شيئا منك .
لا تمدّ عليّ القول ان مسواكا
أو فتات طعام ، أو شيئا تافها ، يمكنه
أن يشمل كل شيء .
ذلك ما كنت أظنه حين كانت الدنيا
موجودة ،
ولكن تفكيري يتميز ، أو يتعلق حيث
يستطيع ،
ليقول لنفسه إنه لم ينطفيء . انه
هو نفسه لا يعرف شيئا ،
فالطرق التي يسلكها عديدة ، وفي
بعض الأحيان ،
لكي يعطي نفسه اسما ، يبحث عن
نفسه فوق المحيط الأطلسي .

. . .

٢ ـ قبل السفر ـ
(Prima del viaggio)

قبل السفر يتقلّب جدول المواعيد

والمصادفات ، والاستراحات ، وعدد
الليالي ،
والحجور (لغرف مع حمّام
أو رشاش ماثي ، بسرير واحد ، أو

لشقة كاملة)
ويستشار دليل السياحة ، ودليل
المتاحف ،
وتبدل العملات ، وتُقسّم
الفرنكات الى « سكودات » ،
و « الروبلات » الى
« كوبيكات » •

قبل السفر يجري اعلام
بعض الأصدقاء أو الأقارب ، ويتم
تدقيق
الحقائب وجوازات السفر ، وتستكمل
الملابس
ويشتري العدد الكافي
من شفرات الحلاقة • وعادة
تُلقى نظرة على حالة الجو ،
رجاء أن تكون النسبة المئوية
للكوارث الجوية في درجة الصفر •
قبل السفر يكون المرء مطمئنا ، ولكنه
يتوجس
ويشك في أن لا تتعطل الآلة ، أو
تصاب
فرحة العودة بخطأ ما •

ثم يتم السفر ، وكل شيء على ما
يرام ،
ويجرى كل شيء على أفضل ما يكون •

• • •

وسفري أنا ؟
لقد درسته بكل دقة
ولكني لم أعرف عنه شيئا •

الصدفة هي الأمل الوحيد • ولكنهم
يقولون لي
إن من الغباء أن أقول مثل هذا •

• • •

٢ ـ المقشطة ـ (Il Raschino)

أتظن أن التشاؤم
قد وُجد حقا ؟ انني اذا ما نظرت
من حولي ، لم أجد له أثرا •
في داخلنا ليس من صوت
يتذمر • فاذا ما بكيت ، فهذا غناء
معاكس
لا غناء البلدة الكبيرة الموعودة
التي هي الغد •
لقد قشطنا بالمقشطة
كل هبّة من هبّات الفكر • وها هي
الألوان جميعها تمجّد لوحتنا ،
باستثناء اللون الأسود •

• • •

٤ ـ التاريخ ـ (La storia)

ـ ١ ـ

التاريخ لا ينفك في ترابطه
فهو كسلسلة
من الحلقات غيرمنقطعة .
وعلى كل حال ،
كثير من الحلقات لا يتماسك .
التاريخ لا يشمل (قبل) و (بعد)
وليس فيه ما يفور
على نار بطيئة .
التاريخ لا ينتجه
من يفكر فيه ، ولا حتى
من يجهله . التاريخ
لا يجعل من نفسه طريقا . انه يمتنع،
ويرفض البطء ، ولا يتقدم
ولا يتأخر . انه يغير سكته
واتجاهه ،
ولا يدخل في برنامج .
التاريخ لا يبرر
ولا يعرف الشفقة .
وليس التاريخ باطنيا
لأنه في الخارج .
ولا يعطي التاريخ
مداعبات ، ولا لسعات سوط .
وليس التاريخ سيدا
لشيء مما يخصنا .
ومعرفة ذلك لا تفيد
في جعله أصدق وأعدل مما هو .

★ ★ ★

ـ ٢ ـ

التاريخ ، على كل حال ،
ليس تلك المدحلة المدمرة التي يقولون
عنهـــا ،
فهو يترك ممرات سفلى ، وكهوفا ،
وثقوبـا ،
ومخابىء . ويظل ثمة من يبقى حيا .
والتاريخ رحيم ايضا : يهدم
كل ما يستطيع تدميره .
فاذا ما بالغ في ذلك ، طبعا ،
كان ذلك أفضل . غير أن التاريخ ،
لنقص في معلوماته ،
لا يكمل كل انتقاماته .

. . .

التاريخ يحتك بالأعماق
كشبكة مجرورة ،
فيها ثقـوب ، تهـرب منهـــا بعض
الأسماك .
وقد تصادف أحيانا الطبقة الخارجية
لغلية حيّة
لاحدى الأسماك الناجية . انها سعيدة
بشكل خاص .
فهي تجهل أنها خارج الشبكة . ولـم
يقل لها احد ذلك .

أما الأخريات داخل الكيس ، فتعتقد
بأنها أكثر حرية منها ٠

★ ★ ★

٥ ـ نهاية عام ١٩٦٨ ـ
(Fine del' 68)

(هذه القصيدة من وحي حرب فييتنام)

تأملتُ من القمر ، أو قريبا منه ،
الكوكب المتواضع الذي يحوي
الفلسفة ، واللاهوت ، والسياسة ،
والكتابة الداعرة ، والاداب ، والعلوم ،
ظاهرة أو خفية ٠ وفيه يوجد أيضا
بنو الانسان

وأنا من بينهم ٠ وكل شيء شديد
الغرابة

٠ ٠ ٠

بعد ساعات قليلة يهبط الليل ، والعلم
ينتهي بين انفجارات زجاجات الشمبانيا
والبارود ٠ ربما كانت انفجارات
قنابل ، أو أسوأ ،
ولكن ليس هنا ، حيث أنا الآن ٠ فاذا
مات أحد

فلا يبالي به انسان ، مادام
مجهولا وبعيدا ٠٠٠

٠ ٠ ٠

٥ ـ من مجموعة (يوميات عام ٧١ وعام ٧٢ ـ
(Diario del' 71 e del' 72

١ ـ الصيد ـ (La caccia)

يقال إن على الشاعر أن يمضي
لاصطياد مضامين شعره ٠
ثم تكون النتيجة أن طريدته
ينبغي أن تتجاوب مع ما يحدث في
العالم ،

أو ، على الأصح ، مع ما قد يكون العالم
الأفضل ٠

٠ ٠ ٠

غير أنه في العالم الأسوأ يمكن أن
يصاب بالرصاص
صياد آخر ، أو فرخ صغير
هارب من القفص ٠

وأما في العالم الأفضل فمتى تكون ثمة
حاجة
الى الشعراء ٠ سنصبح كلنا ممن
يلتقطون الطعام بمناقيرهم ٠٠٠

٠ ٠ ٠

٢ ـ النار ـ (Il fuoco)

نحن في عيد الفصح ، وليس من
وسيلة
لأن تنزل من السماء ألسنة نارية ٠

ومـع ذلك فان نبيـاً اسمه (إرميا)
قد ظهر على الشاشة
وقال إن الأمر آتٍ عما قريب .
ولكن النار لم ير أحد منها شيئا ،
سـوى
بعض القنابل الدخانية عند زاويـة
شارع (بيلبي)(١)
هؤلاء الذين يخلطون الكلام بصداريهم
المزدوجة ، أو بالقساطين ،
يبدو أنهـم لا يعرفون الكثير عـن
مظهرهم السريع الزوال ،
ان النار لن تأتي من فوق ، بل مـن
تحت .
وهي لم تنطفيء قط ، ولم تكبـت
أبـداً ،
ولم يرها قط أحد ، سواء من علمـاء
النار أو من علماء البراكين .
والذي يقطن لها لا ينذر الآخرين ،
بل يطلق ابكم .
وطيور الشؤم لم يعد يؤمن بها أحد .

. . .

٣ ـ أين تبدأ المحبة ؟ ـ
(Dove comincia la carita ?)

هذه الدفقة الضيقة من المحبة
التي تنصبّ فوقنا
هي قرض أخير يفرض علينا .

. . .

ولن يحدث أبدا أن تبدأ بالنفس
كما خدعونا في مدارس (برليتس)
ولن يحدث أبـدا أن توجـد في كتب
القراءة .
وبكل تاكيد لن تأتـي منك ، أيهـا
الشرير ، أو من عصبتك ،
ولا من صوت البوق ، ولا ممن
يتخذ منهـا جلدا آخـر لا يلبث أن
أن يلقي به عنه .

. . .

المحبة ليست ملكا لاحد . ومثلها
رغوة الصابون التي تلمع لحظــة ،
وتنفجـر
ولا تدري من أين جاءتها النفحة .

. . .

٤ ـ في المؤتمر ـ (Al congresso)

ان كان الانسانُ هو مخترع الحياة
(ومن ترى يهتم بها لولاه ؟)
أفليس من حق الانسان أن يدمرها ؟
ذلك ما كان يقوله في المؤتمر
المفكر المحتـرم ، الذي لم يرفـع قط
اصبعا
لكي يخرج من القطيع .

(١) هو الشارع الذي يقيم فيه الشاعر ، قريباً من دار مسرح (لاسكالا) الشهير في مدينة ميلانو

٥ ـ الذي يمسك بالخيوط ـ
(Chi tiene i fili)

الذي يمسك بالخيوط يعرف منهاأكثر منـا ،
والذي لا يمسك بها يعرف عنها أكثر او أقل ٠
ونقارن بينهما ، فاذا
بالمصيبة تقع ، والكرثة ،
لا أقل ولا أكثر ٠

٠ ٠ ٠

٦ ـ الحصان ـ (Il cavallo)

انا لست حصان كراكلا ،
كما يعتقد (بينفولير) ٠
لست أجري في « الدربي » ، ولا أقتات بالحشائش ،
ولم أكن قط رجل سباق ، ولا أعرف
حتى الحب ٠ حاولت أن أكون
انسانا ٠ وهذا كثير جدا
عليّ (وعليه) ٠

٠ ٠ ٠

٧ ـ بهذه العلامة ٠٠٠
(In hoc signo)

في روما وكالة للجنازات الفخمة
اسمها (المستقبل) ٠ ثم يقل
إن النكتة السوداء قد ماتت مع جان بـول ،
ومــع جوناتـا سـويمت ، وأشـيل كمبانيله !!٠٠٠

٠ ٠ ٠

٨ ـ الايجابي ـ (Il positivo)

فلنكتشف حين تشرق الشمس
وليلتمت كل من الى مكتَبه ٠
اذا بقي لنا شيء ، ولو كلمة (نعم) على الأقل
فلنقلها ، ولو بعيون مغمضة ٠

٠ ٠ ٠

٩ ـ السلبي ـ (Il negativo)

من مسمار بيضة واحدة يدخل الشبان
في تمارين الحياة ٠ فينوس
تقودهم ، وعطارد يفرقهم ،
ومارس يصنع البقية ٠ ولن يطول
بريق ضوء ما على أكروبول
هذا الربيع الـذي ما يزال متهيبـا خجولا ٠

٠ ٠ ٠

١٠ ـ لدينا الكفاية من ٠٠٠
(Ne abbiamo abbastanza di .)

لدينا الكفاية من ٠٠٠
هذا ما يتكرر بالاجماع ٠

ولكن من ماذا ؟ من الحياة ؟ كلا ؛
ومن الموت ؟ أبداً ، لا يقول هذا أحد.

. . .

من الـ (من) يبدأ التشعب
الذي يتفرع منه كل غصن
لكي يزداد بعدئذ تشعباً ، وهكذا . ربما
كانت المادة أيضا
قد تعبت من كثرة ما توالدت .

. . .

١١ ـ نحو القعر ـ (Verso il fondo)

الشبكة التي تلامس القعر
لا تصيب
غير الأسماك الصغيرة .
بشبكات أخرى ، أصبت
أسماكاً خطافة
وسلحفاة أيضا
ولكنها كانت ميتة .
والآن وأنا أحاول من جديد
بصنارة وخيط
يظل الطعم غير ملموس
في المياه المعكرة .

. . .

الكثافة شديدة من حولي ،
ومن فوق ، ومن تحت في الهواء .
ليس من تقدم ؛ والحركة
هي تمزق .

. . .

١٢ ـ للختام ـ (Per finire)

وصيتي لمن سيخلفونني
(إن وجدوا) في دنيا الأدب
ـ وسيظل من غير المحتمل
أن يشعلوا ناراً جميلة لكل ما
يتعلق بحياتي ، وأفعالي ، وما لم أفعله ـ .
أنني لست الشاعر ليوباردي ؛ ولن أخلف غير القليل للاشتعال ،
فكثير جدا أن أعيش بنسبة مئوية .
لقد عشت بنسبة خمسة في المئة . فلا تزيدوا
العيار . غير أنه كثيرا ما ينزل المطر على المـُتـَلّ ...

حـول الشـاعر

ربما كان العالم العربي لا يعرف شيئا ـ أو قد يعرف النعص القليل جدا ـ عن الشاعر الايطالي ايوجينيو مونتالي ، الذي فاز أخيرا بجائزة نوبل للاداب لعام ١٩٧٥ ٠ ولعله لم يكن يسمع باسمه قبل أن تتوج حياته وأعماله الأدبية هـذه العتترة العالمية ، التي تعتبر أعظم تقدير يتوج بـه أديب على نطاق عالمي ٠ غير أن مونتالي في الغرب يتمتع بشهرة واسعة ، وشعره مترجم الى العديد من اللغـات الغربية ٠ وأما في بلده ، ايطاليـا ، فمونتالي هو شاعر الايطاليين الأكبـر من بين شعرائهم الأحياء ٠ وكان قبل وفاة زملائه الشعراء الثلاثة العظماء (أومبرتو سـابا) المتوفى عـام ١٩٥٧ ، (وجوزيبي أونغاريتي) المتوفى عـام ١٩٧٠ ، و (وسلفاتوره كوازيمودو) المتوفى عام ١٩٦٨ ، واحدا من أعظم شعراء ايطاليا (بعد جيل غبرييلي دانونتزيو ، وجوروزيه كردوتشي) ، بل كان أشهر كثيرا من كوازيمودو قبل فوز كوازيمودو بجائزة نوبل عام ١٩٥٩ ٠ وحين فاز كوازيمودو بالجائزة في ذلك العام ، كان فوزه خيبة أمل للأغلبية الساحقة من الايطاليين ، الذين كانوا يتوقعون أن يفوز بها (اونغاريتي) أو (مونتالي) ، ولم يخطر في بال أحد منهم أن التاج سيخطىء طريقـه الى رأسيهما ، ويهبط فجأة عـلى رأس كوازيمودو ٠

ولد مونتالي في مدينة جنوا البحرية ، في الشمال الغربي من ايطاليا ، في ١٢ اكتوبر ١٨٩٦ ٠ وهـو أصغر خمسة أخـوة لأبيه (دوميمو) وأمـه (جوزيبيّـا ريتشي) ٠ وكان أبوه يدير محلا تجاريا مع أقربائه ٠ وقد توفي أبوه عام ١٩٣١ ٠

بعد أن أنهى ايوجينيو دراسته الابتدائية ، دخل مدرسة مهنية ؛ ولكنه لم يلبث أن اضطر الى قطـع دراسته لسوء صحته ٠ وكانت شقيقته (ماريانّا) أول من قاد خطاه الثقافية ٠ وكانت ماريانّا قد أنهت دراستها الثانوية ، وبدأت دراسة الفلسفة في المرحلة الجامعية ٠ وكذلك ساهمت صيفيّات الشاعر مع ذويـه في

بيتهم لريمي في (مونتيروسّو) في تكوينه النفسي ، وتوجيهه نحو النظر في الأعماق • وقد ظهر أثر ذلك في شعره فيما بعد •

وحاول مونتالي أن يدرس الموسيقى في أثناء بحثه عن وسيلة تناسب طموحاته وميوله ، ولكنه ظل حتى الخامسة والعشرين من عمره يبحث دون أن يصل الى قرار •

في سنة ١٩١٧ دخل مونتالي مدرسة الضباط المشاة في مدينة (بارما) ، ثم اشترك في الحرب العالمية الأولى • وبعد الهدنة ، عهد اليه بقيادة أحد معتقلات الأسرى • ثم أعفي من الخدمة العسكرية عام ١٩١٩ • فعاد الى جنوا ، وهناك بدأت صلاته الأدبية مع الأدباء الذين كانوا يلتقون في (مقهى ديانا) في المدينة • وفي الوقت نفسه عكف على دراسة الانكليزية والاسبانية على نفسه • وأخذ يقرأ قصائد لشعراء عديدين ، ويهتم بالفلسفة • وقد وجد بغيته في كتابات الناقد الايطالي الشهير (بنيديتو كروتشي) التي كانت تتميز بالمثالية الايجابية• ثم تأثر بعدد من الكتاب الفرنسيين• في سنة ١٩٢٢ صدرت في مدينة تورينو مجلة (الزمن الأول) (Primo tempo) وكان عددها الثاني ، الصادر في منتصف حزيران من ذلك العام ، يحتوي على سبع قصائد معا لايوجينيو مونتالي • وهذه القصائد سنجدها فيما بعد في مجموعته (عظام سمك السبيدج) في طبعة دار (موندادوري Mondadori) وهي من القصائد التي كتبها الشاعر عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١ ، الا واحدة هي أقدمهن جميعا ، لأنها كتبت عام ١٩١٦ ، وهي التي مطلعها : « أقف عند الأصيل شاحبا مستغرقا » • ثم مضى مونتالي بعد ذلك يكتب في المجلات الأدبية شعرا ونثرا ، وبدأ اسمه يأخذ مكانه في حياة الأدب الايطالي الجديد ، شاعرا وناقدا •

وفي سنة ١٩٢٥ صدرت مجموعته الشعرية الأولى (عظام السبيدج) ، وكان عمره ٢٩ عاما • وكانت هذه المجموعة ـ كما نرى من النماذج المترجمة منها ـ شديدة الغموض ، معقدة المعاني ، وتتناسب تماما مع شعر الشاعرين الأميركيين (عزرا باوند ، وتوماس شتيرن ايليوت) ، ولا سيما مع قصيدة ايليوت المطولة الغامضة المعقدة ، والملأى بالأحاجي والطلاسم (The waste land) • وكان شعر مونتالي ، الى جانب الرمزية الشديدة الغموض ، يجنح الى الكآبة الشديدة ، والى

الخيالات السوداء ، وكثيرا ما يجنح الى القنوط ، حتى لقد دعي بشاعر القنوط • وكان أغلب شعره في (عظام سمك السيدج) من وحي الحرب العالمية الأولى ، وما جرّته من الفواجع والدماء والدمار ، وما تلاها من آثار اليمة ، جاءت معها بالحكم الفاشستي الدكتاتوري •

وفي شهر آذار عام ١٩٢٧ انتقل مونتالي الى مدينة فلورنسا ، وعمل في دار (Bemporad) للنشر • وكان العمل قاسيا ومرهقا بالنسبة اليه ، وغير ملائم لصحته • وهو يصفه في رسالة إلى صديقه (ايتالو سفيفو ــ Italo Svevo) الكاتب الايطالي المعروف ، بتاريخ ٢٦ آذار ١٩٢٧ ، فيقول :

« أنا الآن في دار (بيمبوراد) وأعمل ثماني ساعات في اليوم • وداعا أيها الأدب وأيتها الدراسات !! وليتني كنت في مدينة مثل ميلانو ، تتوافر فيها مصادر العيش ••• » • ويذكر مونتالي في الرسالة انه يعيش في ظروف سيئة ، وأن راتبه ضئيل جدا • ويضيف قائلا :

« كم أود لو أغير عملي • ولكن كيف ؟ أظن أنني سأبلغ الثمانين من عمري دون أن أعثر على سبيلي ، أو على نوع الحياة المستقرة التي أريد » • ثم يقول أيضا في رسالة أخرى من صيف ذلك العام نفسه . « انني محطم حقا في عملي في مؤسسة لنشر ، بدلا من بيع السمك المقدد ، أو لبان لمصنع ••• » وفي رسالة أخرى يقول : « ان صحتي سيئة دائما ، وانا أسوأ ما اكون من حيث تنظيم الأمور المالية •• » •

غير أن مدينة فلورنسا كانت ، من ناحية أخرى ، ذات أهمية بالغة في حياة مونتالي الثقافية ، وفي لقاءاته الأدبية • فلم يلبث أن اشترك في تحرير مجلة (صولاريا (Solaria) الادبية • وهي مجلة أنشئت عام ١٩٢٦ ، وكانت ذات أثر كبير في قيادة الحركة الأدبية الايطالية ، وربطها بالآداب الأوروبية الجديدة • وكان يشترك في تحريرها نخبة من كبار النقاد والكتّاب الايطاليين ذوي النفوذ الواسع في الحياة الأدبية الايطالية ، وذوي الاطلاع الواسع على الآداب الغربية الأخرى ، في أوروبا وأميركا •

وترك مونتالي العمل في دار (بيمبوراد) عام ١٩٢٨ ، وعينه محافظ

فلورنسا مديرا لاحدى دوائر قصر المحافظة • وبهذا العمل انحلت لديه المشكلة الاقتصادية • وفي سنة ١٩٣٠ نال أول جائزة أدبية ، وهي جائزة (Antico Fattore) عن مجموعة من قصائده، ظهرت بعدئذ في منشورات دار (Vallecchi) بعنوان (بيت رجال الجمارك وقصائد أخرى ـ وهي الان قسم من ديوان (المناسبات) • وظل مونتالي في الوقت نفسه على أوثق صلة بمجلة (Solaria) الأدبية، ذات الصلة القوية بالآداب الغربية ، لفك عزلة الأدب الايطالي ، وربطه بالآداب الأخرى • ومن طريقها عرف الايطاليون العديد من أسماء الكتاب الاميركيين والانكليز والفرنسيين والروس ، من أمثال (ويتمان ، وملفيل وفيتزجيرالد ، وهمنغواي ، وجويس ، وفوكنر ، وماياكوفسكي) وغيرهم • ولكن المجلة لم تلبث ان أصبحت عرضة لمضايقات النظام الفاشستي ، وللمصادرة أحيانا ، وأخيرا للاغلاق ، ولاسيما بعد ان نشرت فيها متسلسلة ، عام ١٩٣٤ ، رواية (القرنفلة الحمراء ـ Il garofano rosso) للروائي (ايليو فيتوريني Elio Vittorini) الذي كان قد تسلم سكرتيرية تحريرها منذ عام ١٩٣٠ ، ثم ظهور المجموعة الشعرية (العمل يرهق ـ Lavorare stanca) للشاعر (تشيزاره بافيزه Cesare Pavese) عام ١٩٣٦ •

أما مركز مونتالي في الفئة الأدبية العاملة في مجلة (Solaria) فقد كان مركز المحور لحركة الشعرية الايطالية الحرة ، وللفكر الايطالي الذي لم يتأثر بالفاشستية ، ولا خضع لتوجيهاتها الفكرية والعقائدية • وكان الانتماء الى تلك المجلة ، يعني حينذاك ، في الأوساط الأدبية : « مناوأة الفاشستية ، والانتماء الى العالمية ، وعدم التقليد » ـ كما يقول (فيتوريني) ـ وقد رفض مونتالي الانتماء الى الحزب الفاشستي بصلابة عنيدة ، مما أوقعه تحت المراقبة الدقيقة من قبل النظام الفاشستي •

في سنة ١٩٣٩ صدرت مجموعة مونتالي الشعرية (المناسبات) في تورينو • وكان الشاعر بعد اغلاق مجلة (Solaria) قد راح يتعامل مع مجلتين أخريين ، هما (الآداب ـ Letteratura) و (حقل مارس Campo di Marte) وهما مجلتان كانتا تحاولان المضي على الطريق التي نهجتها من قبل مجلة (سولاريا) • وكانت الأولى قد ظهرت عام ١٩٣٧ ، أما الثانية فقد عاشت سنة واحدة فقط

(آب ١٩٣٨ ــ آب ١٩٣٩) ، وكانت تمثل الشعر الرمزي الايطالي الجديد ٠

وتعاون مونتالي كذلك مع مجلة أخرى تدعى (Primato) عاشت من سنة ١٩٤٠ الى سنة ١٩٤٣ ٠

وفي أعوام الحرب العالمية الثانية ظهرت لمونتالي مجموعة شعرية صغيرة ، عنوانها : (أطراف الأرض ــ Finisterre) ، وقد صدرت في سويسرا عام ١٩٤٣ ، لأنه لم يكن ممكنا ظهورها في ايطاليا بسبب الارهاب الفاشستي وهذه المجموعة تؤلف الان القسم الأول من ديوان (العاصفة) الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٦ ٠

في عام ١٩٤٠ دعي مونتالي مرة أخرى الى السلاح ؛ وظل في الجندية الى عام ١٩٤٢ ، ثم أعفي من الخدمة ٠ ولما كان عمله في قصر المحافظ قد انتهى باستدعائه الى السلاح ، فقد أصبح عليه أن يعمل ليعيش من جهده الخاص ٠ فعكف على الترجمة من الآداب الأجنبية ٠ فترجم لملفيل ، وفيتزجيرالد ، وشتاينبك ، وهمنغواي ، وفوكنر ؛ كما ترجم عن الفرنسية رواية (السيد) لكورناي ، و (فاوست) لمارلو ؛ وترجم عن الانكليزية رواية (هاملت) لشكسبير ٠ ولقيت هذه الترجمات نجاحا حسنا ٠

وفي نهاية الحرب انضم مونتالي الى جمعية الثقافة والفن ، والى حزب العمل ٠ وتولى عام ١٩٤٥ ادارة مجلة (العالم ــ Il mondo) الاسبوعية ٠ وفي هذا العام عينه ظهرت في فلورنسا الطبعة الايطالية الأولى من مجموعته الشعرية (أطراف الأرض) التي كانت قد ظهرت من قبل في سويسرا عام ١٩٤٣ ٠

في تلك الفترة التي بدأ فيها الوعي للواجبات التي تنتظر من سيتولون قيادة فترة ما بعد الحرب في ايطاليا ، راحت كتابات مونتالي تتناول القضايا الأخلاقية ، ودور الثقافة في هذه الفترة الحرجة ٠ ولكنه ظل على ابائه الانتماء الى أي حزب سياسي ، ليظل حرا يمارس الشعر الحر ، والنقد الحر ، والثقافة الحرة ، لاعتقاده الجازم بأن الحرية أقدر على القيادة من القيود المكرية الحزبية والسياسية ٠

عام ١٩٤٨ انتقل مونتالي الى مدينة ميلانو ، ليعمل محررا في كبرى

جرائد ايطاليا اليومية (Corriere della sera) وكان يكتب فيها منذ عام ١٩٤٦ . وفي عام ١٩٥٥ أصبح ناقداً موسيقيا لاحدى الصحف الأسبوعية التي تصدر عن دار الجريدة المذكورة . وحين عرفته عام ١٩٦٠ ، كان رئيس تحرير القسم الأدبي فيها . ولما زرته بعد ذلك عام ١٩٧٣ ، وكان قد بلغ مرحلة من الشيخوخة تمنعه من العمل ، قال لي انه لا يزال ،رسمياً ، رئيس تحرير للجريدة ، ولكنه عملياً لم يذهب الى هناك منذ سنتين ، ومع ذلك لا يزال يتقاضى راتبه منه كما لو كان يعمل فيها .

وجُمعت مقالات عديدة مما نشره مونتالي في الجريدة في كتاب ، صدر عام ١٩٥٦ بعنوان (فراشة — دينارد — La farfalla di Dinard) . وقد أعيد طبع هذا الكتاب في دار (موندادوري) عام ١٩٦٠ ، مضافاً اليه بعض المقالات الأخرى ، بالعنوان نفسه . وقام مونتالي برحلات صحفية للجريدة ، كان من بينها رحلة رافق فيها البابا بولس السادس في زيارته للأردن عام ١٩٦٤ .

ومثلما كان مونتالي أمينا لفنه الشعري ، وحريته الفكرية . رغم الاضطهاد الفاشستي ، كذلك ظل أمينا لفنه الشعري وحريته الفكرية بعد زوال الفاشستية والنازية ، وظهور الأحزاب السياسية الجديدة المتعددة في ايطاليا .

في سنة ١٩٥٦ ظهرت في البندقية مجموعة مونتالي الشعرية (العاصفة) التي اشتمل القسم الأول منها على مجموعته الصغيرة السابقة (أطراف الأرض) . كما ظهر كتابه النثري (فراشة دينارد) . وفي تلك السنة عينها فاز مونتالي بجائزة (Marzotto) الأدبية . وفي عام ١٩٦١ منحت جامعة ميلانو الشاعر درجة الدكتوراه الفخرية ، تكريما للقيم الفنية الرفيعة في شعره . وفي العام التالي ، ١٩٦٢ ، نال جائزة (Feltrinelli) وهي الجائزة التي تمنحها الأكاديمية الايطالية المعروفة باسم (Accademia dei Lincei) ، او (أكاديمية الفهود) . وقيمة الجائزة النقدية نحو عشرين الف ليرة ايطالية ، أو ما يعدل عشرة آلاف دينار أردني . وهي بهذا كبرى الجوائز الايطالية من حيث قيمتها المادية ، الى جانب قيمتها الأدبية العالية كذلك .

وفجع الشاعر عام ١٩٦٣ بفقد رفيقة حياته ، فكان لوفاتها أثر فاجع في

نفسه ، وفي حياته وشعره • وقد ظهر هذا الأثر جليا في مجموعة القصائد التي ظهرت فيما بعد ، وجعل الشاعر عنوانها (Xenia) • وكان الفراغ الذي أحس به في نفسه لوفاتها مثل الفراغ الذي أحس به في بيته • وقد جمعت القصائد التي كتبها مونتالي لأجلها في كتيب يضم ما كتبه الشاعر منها عام ١٩٦٤ الى عام ١٩٦٦ فقط • ولم يطبع من هذا الكتيب ، الذي دعاه (Xenia) سوى خمسين نسخة فقط • ثم أعيد طبع هذه المجموعة ، مع ما أضافه اليها الشاعر بعد ذلك ، في القسم الأول من ديوانه (خليط) الذي صدر عام ١٩٧١ عن دار (موندادوري) •

في حزيران عام ١٩٦٧ عين الرئيس الايطالي (جوزيبي سارغات) الشاعر مونتالي (عضوا مدى الحياة) في مجلس الشيوخ الايطالي « لأنه مجد الوطن بمزاياه الرفيعة جدا ـ كما جاء في براءة التعيين ـ في حقل الأدب والفن » •

وصدر لمونتالي كتاب نثري عام ١٩٦٩ عنوانه (خارج المنزل ـ Fuori di casa) • وفي سنة ١٩٧١ صدرت عن (دار موندادوري) مجموعته الشعرية (خليط ـ Satura) كما ظهرت عن دار نشر أخرى مجموعة شعرية بعنوان (يوميات عام ٧١ ـ Diario del 71) ولكن لم يطبع منها سوى مئة نسخة • ثم أعيد نشر هذه المجموعة ، مع قصائد أخرى ، في دار (موندادوري) بعنوان (يوميات عام ٧١ وعام ٧٢) وصدرت هذه المجموعة عام ١٩٧٣ • وفي هذه الفترة عينها أصدر ناشرون آخرون ، في طبعات محدودة جدا ، مقتطفات من شعر مونتالي ونثره ، بعضها كان قد نشر من قبل ، وبعضها مختارات من هنا وهناك•

وفي عام ١٩٧٤ منحت جامعة (بازيلي ـ Basilea) الشاعر مونتالي درجة الدكتوراة الفخرية « تقديرا لحفاظه على حرية الشعر ، وفنيته ، وقيمه الرفيعة ، حتى في الأزمة التي تنحدر فيها الشعر والفن ، وكل شيء ، لسيطرة السياسية » •

وليس شعر مونتالي هو وحده الذي حدد مكانة مونتالي الرفيعة في ايطاليا ، فلقد كانت مقالاته النقدية ذات أثر كبير جدا في تحديد هذه المكانة ، لأنها كانت تحديدا لمعالم الطريق الصحيح للشعر والفن ، ولأنها كانت تؤكد ايمان الشاعر بأن الشعر أسمى من تقلبات السياسة ، ومن حاجات المجتمع الآنية ، وأن اخضاعه

لهذه كلها هو ضرب من الطغيان يجب الوقوف في وجهه بصلابة عنيدة · ومعنى هذا أن الشاعر ، بمقالاته النقدية ، دافع باستمرار عن قيم الشعر الانسانية ، ووقف بعناد في وجه الداعين الى ابتذاله · ومن دون شك كان لمونتالي أثره في تحديد الاتجاهات الشعرية السليمة في جيله ، وفي الأجيال التي جاءت بعده من الشعراء والنقاد الايطاليين ·

غير أن نظرة الشاعر الى الحياة كانت دائما نظرة كآبة وتشاؤم ، بل كانت أحيانا نظرة فيها بعض معاني القنوط ؛ حتى لقد دعي الشاعر — ولا سيما بعد ظهور مجموعته الشعرية الأولى (عظام السبيدج) — بشاعر القنوط · ومع ذلك كان كثير من النقاد يرون فيه (الشاعر الأكمل ، والأدق تعبيرا عن معاني الحياة ، والأكثر ادراكاً لحقيقتها) — كما جاء في كتاب (Letture italiane per stranieri) للكاتبين الايطاليين (بورميولي وبيديفريتيتي) ·

يقول الشاعر (ايرالدو ميشيا Eraldo Miascia) في مقابلة أجراها مع مونتالي لمجلة (La Fiera Letteraria) الأسبوعية ، التي هو رئيس تحريرها « ان مونتالي يحس احساساً قوياً بمأساة الوجود ، وتناقضاته ، وبسرعة اندفاع هذا الوجود نحو هاوية تجهلها » · ويقول مونتالي في هذه المقابلة « ان واجب الكاتب ان يعمل لخلاص شيء ما » ·

ورسالته الشعرية تقوم على أن الوجود الانساني أمر لا يمكن تجنبه ، في ضوء التحليل المنطقي البارد ، وبأنه هو نفسه لا يملك أن يقدم أية تعزية · هذا كله نجده في كل مجموعاته الشعرية ، وهو ما رسخ في أذهان قراء مونتالي دائماً · ولذلك نجد الكاتب الايطالي (كلاوديو مارابيني — Claudio Marabini) في كتابه النقدي (المفتاح والحلقة — La chiave e il cerchio) يستغرب أن يجد (مونتالي جديدا) وغريبا عن نفسه في حفلة منح مونتالي (جائزة إلبا — Premio Elba) عن كتابه النثري (خارج المنزل) ؛ وذلك لأن مونتالي ، في الكلمة التي ألقاها في تلك المناسبة ، قد قال : « ان هذا العالم الذي نعيش فيه ليس عالماً قبيحاً على الاطلاق ، وانه بالتالي عالم يستحق أن نحبه » ·

يعلق مارابيني على هذا التصريح بقوله : « هذا التأكيد الأخير هو الذي أدهشني وأدهش الآخرين : فحتى تلك اللحظة وكلمة مونتالي ـ ان لم تكن غارقة في الذوق العدمي (Gusto nichilistico) ـ كانت على الأقل تدور على صورة الدمار الذي تحدثت عنه رؤيا القديس يوحنا ؛ أي أن . العالم على عتبة المجهول ، أو الدمار ، والانسان على وشك التصفية ، والقيم التقليدية أصبحت مدمرة ، ولا شيء يمكن لتنبؤ به ، بل كل شيء رهن بالصدفة ، ومن ضمن ذلك الفنون ، الخ » . ويضيف مارابيني دهشته من أن مونتالي قد ألقى تصريحه ذاك الجديد في الحفلة بملء حريته وارادته . وهكذا أعرب مارابيني عن استمرائه البالغ لتغير نظرة مونتالي الى العالم ، والى مصير الانسان ، ومصير الفنون . ولكن مارابيني ، في الوقت نفسه ، وهو يرى في تصريح مونتالي هذا خروجا على كل ما آمن به في حياته ، حتى لكأن مونتالي هذا انسان جديد ، لم يعرفه الناس من قبل ، ولا صلة له بمونتالي الذي يعرفونه لا ينكر قيمة مونتالي وشعره ، بل يقول في المقال عينه ان حضور مونتالي نفسه في حفلة تسليم الجائزة اليه « كان تكريما للجائزة ، أكثر مما كانت الجائزة تكريما له » .

وأما (فرديناندو فيرديا ـ Ferdinando Virdia) المحرر في المجلة الأدبية الأسبوعية الوحيدة في ايطاليا (La Fiera Letteraria) فيقول في افتتاحية المجلة لعددها رقم ٤٤ من سنتها الحادية والخمسين ، الصادر في ٢ نوفمبر ١٩٧٥ ، بمناسبة اعلان فوز مونتالي بجائزة نوبل « من المعلوم أن أعمال الكاتب الذي يراد منحه الجائزة ينبغي أن تكون قد ساهمت في خدمة السلام والاخاء العالمي » . ويضيف قائلا : « ان الأكاديمية السويدية ، عندما منحت مونتالي جائزة نوبل ، قد اعتبرت من أهم مزايا شاعرنا ، الى جانب مزاياه الأدبية ، عدم انضمامه الى فئة الأدباء الذين أخضعوا أدبهم للدكتاتورية إبان أعوام الحكم الفاشستي العشرين ... وهذا مهم جدا ، ولا ريب ، فهو يركّي قضية منح الجائزة لمونتالي ، الى جانب أهمية أعماله الشعرية » .

ويشير الكاتب الى أن مونتالي ليس شاعراً ايطالياً فحسب ، بل هو أيضا أديب أوروبي ، مهتم بالثقافة الأوروبية ، أي بالثقافة التي تقوم على قيم أساسية

لا محيد عنها ، من مثل حرية الفكر والتعبير ، واستقلالية البحث ، وتنمية روح الاستقلال في العمل الفكري ، بعيدا عن الايديولوجيات ، وعن سيادة السلطة ... وبكلمة أخرى ، قيم المدنية الحرة بأوسع معانيها » .

ويختم فيرديا مقاله بقوله : « ان فوز مونتالي بجائزة نوبل قد يكون أيضا تصويتا على الثقة الأوروبية، قبل أن تكون ثقة سويدية، بالمقدرة على المقاومة القائمة على الاستقلال والحرية في الثقافة الايطالية ، ومع الثقافة ، بالمجتمع الايطالي نفسه » .

أما الناقد الايطالي الكبير (سيرجيو سولمي ـ Sergio Solmi) ، رفيق لصبى لمونتالي منذ عهد الدراسة في مدرسة الضباط المشاة ، في مدينة بارما ، وزميله بعدئذ في مجلة (صولاريا) في فلورنسا ، والذي كتب المقالات الطوال حول مونتالي وشعره ، فقد أفرد لمونتالي الفصلين : الأول والأخير من كتابه (كُتّاب في الأعوام ـ Scrittori negli anni) الصادر عام ١٩٦٣ ، وفيه يقول :

« ان قصائد مونتالي غالبا ما تعمل على اذابة مادة الوحي المباشرة في نسرة أساسية انعكاسية وموزونة ، تتجاوز ظروف الانفعال الانطباعي الآنية . ان للكلمة عنده طعمها ولونها ، وفيه حساسية الشعر والايقاع » .

وسولمي يصف مونتالي بأن قلمه « أزميل نحات، ينحت تماثيله في قصائد، وريشة رسام يرسم بها لوحاته في كلمات » . ويقول أيضا : « ان قصائد مونتالي مصنوعة من سلالم داخلية ، ومن انفصالات صامتة ، وتأملات مستسلمة » .

وليس في وسعنا أن نمضي في استعراض أقوال النقاد والكتاب الايطاليين في مونتالي ، فقد كتب عنه الكثيرون ، وصدرت حوله وحول أدبه مؤلفات وأبحاث أكثر من أن تحصى ، كانت كلها ترسيخا لمجده الأدبي الذي ظل يتطاول على الأيام ، حتى بلغ قمته بجائزة نوبل .

• • •

وحين ننظر في أعماله الأدبية ، والشعرية بشكل خاص ، نجد قصائده قد اجتمعت في خمس مجموعات ، ذكرنا أسماءها في مقدمة الترجمات . ونحب أن

نبين مهنا أن الشاعر ، خاصة في المجموعة الأولى (عظام السبيدج) ، كان لصيقا جداً بأرضه الشمالية (ليغوريا) أو الشاطىء لليتوري ، الممتد من مدينة جنوا حتى الحدود الفرنسية وجنوبا على الساحل الايطالي الغربي • وهي المنطقة المعروفة باسم (الريفييرا الايطالية الشمالية) • من هذه المنطقة التي ولد فيها الشاعر ، ومن البحر المتوسط الذي تتربع عليه ، استمد الشاعر كثيرا من قصائده ، ومن خيالاته الشعرية • وهذا نموذج من شعره الرائع في هذا المجال ، من خطابه للبحر المتوسط :

أيها البحر القديم ، لقد ثملت بالصوت
الذي يخرج من أفواه أمواجك حينما تنفتح وتتارجح
كاجراس خضر ، ثم تنداح
الى الخلف وتنحل •
ان منزل صيفياتي البعيدة
كان على مقربة منك ، كما تعلم •
• • • لقد علمتني أن أكتشف في أعماقي
ناموسك المغامر : فأكون رحيبا ، منوع التجارب
وثابتا على طبيعتي في الوقت نفسه ،
وأن أتطهر من كل دنس ،
كما تفعل أنت اذ تقذف على الشواطىء
الأقذار ونجوم البحر
وغيرها من الأشياء البالية التي في أعماقك •

يضاف الى ذلك أن مونتالي ، الذي اشترك في الحرب العالمية الأولى ، وعاش الفترة الاليمة التي تلتها ، عرفت نفسه المرارة ، والخيبة ، والألم للفواجع التي أصابت بلده وشعبه ، وأصابت كذلك العالم كله ؛ كما استمد الألم والكآبة من واقع حياته الخاصة ، ومن سوء الصحة الذي لازمه منذ الصبى الباكر • وهذه كلها

ظهـرت آثارهـا جلية في قصائده ، كما نرى في مـا ترجمناه من قصائـد هــذه المجموعة · لقد كان الشاعر صادقا مع نفسه حتى في أعمق معاني القنوط التـي تظهر في العديد من قصائده ، كقوله :

يا حياتي ، لست أطلب منك حظوظا
ثابتة ، ولا خلقة بهيجة ، ولا أملاكا ·
ففي دورانك المضطرب يتساوى
طعم العسل وطعم عشبة الأفسنتين ·
والقلب الذي يرى الحقارة في كل حركة
يقفز مهتزاً ·
كذلك تئز أحيانا في
صمت الغابة طلقة بندقية ·

وقوله أيضا :

لم أعرف الخير
في ما عدا المعجزة
التي تمنحها نعمة اللامبالاة ·

· · ·

والواقع أن هذه المجموعة الأولى انما تعبر عن الأزمة الروحية التي كان جيل ما بعد الحرب العالمية الأولى يبحث عن حل لها · وفيها ينضم صوت الشاعر الى أسمى حوافز الشعر الأوروبي المعاصر · وأحيانا لم يكتف الشاعر بالتفاعل معها ، بل كثيرا ما كان يؤثر فيها · وهي تمثل الحرية الكاملة للأحاسيس ، وتنتمي الى صميم القارىء المعاصر · ومن هنا كان ما نالته هذه المجموعة من اهتمام النقاد والقراء ، مما أثبت مكانة مونتالي بين أعظم الشعراء الأوروبيين منذ بدايته الأولى في مجموعة (عظام السبيدج) ، حتى لقد قرنها بعض النقاد بقصيـدة (ت · س · اليوت) التي عنوانها : (The waste land)

وأما المجموعة الثانية (المناسبات) فان الشاعر فيها يخترق من الخارج ، ومن

الأشياء التي يتصل بها ويستوحيها ، لا من اشفاقه على الانسانية التي كانت من قبل ضحية محطمة من حرب رهيبة ساحقة • والشاعر في هذه القصائد يرتبط بأزمان معينة،وبالأحداث الشخصية ، ويتماهده مع الناس والحياة منخلال أحاسيسه الشخصية ، وتجارب وجوده • وهكذا تختلف هذه المجموعة عن سابقتها من حيث المنابع النفسية • فالشاعر يربط مشاعره الداخلية بمشاهداته الخارجية • ونظرته التشاؤمية هنا أقل بروزا ـ وان لم تختف تماما ـ منها في المجموعة الأولى • ومن مصادر وحيه في هذه المجموعة نجد عددا من الصيفيّات ، والرحلات ، وتذكارات الأصدقاء التي يصورها ، أو يسجل انطباعاتها في نفسه من خلال قصائده •

والنقاد الايطاليون يعتبرون هذه المجموعة قمة في صفاء العبارة ، وجمال التعبير الشعري ؛ والعمل الشعري فيها يجري على أكثر من صعيد واحد ، ويمضي دائما من الخارج الى الداخل ، ومن الموضوعية الى الرمز ، ومن الحديث عن الوضع الانساني الذي كان في (عظام السبيدج) الى الوجود الشخصي للشاعر • وفي هذه المجموعة يقول الناقد الايطالي (ماريو أبولونيو ـ Mario Apollonio) في كتابه (أدب المعاصرين ـ La letteratura dei contemporanei) « ان (المناسبات) ستبقى كتابا يؤلف وحدة كاملة ؛ وانه كتاب جميل جدا للقراءة، وقصائده مليئة بالعاطفة ، مع عطايا كثيرة للذاكرة » •

وهناك ملاحظة عامة في شعر مونتالي ، فهو كثيرا ما يخاطب المؤنث في قصائده ولكنه قد لا يخاطب ، في الواقع انسانة معينة ، بل قد يكون الخطاب الى نفسه أو الى صورة معينة في خياله •

• • •

وتأتي المجموعة الثالثة (العاصفة) ، وهي عمل شعري ينسحب كذلك على أكثر من صعيد واحد ، ويمضي من الخارج الى الداخل ، ومن الموضوعية الى الرمز • وكالمألوف في شعر مونتالي ، هناك دور الهدم والسلبية : فالشاعر لا يجد ـ كما يقول (كونتيني) ـ شيئا يمكن الثقة به • والدور الثاني هو دور الايجابيةوالبناء• وفي العاصفة نجد قاعدة للحقيقة في شكل أسطورة •

وتظهر في هذه المجموعة دقة ربط الشاعر بين نفسه و لرمن • وكانت هـذه الدقة من قبل على هامش تجربة الشاعر الواعية • وهي متأثرة بالوجودية الأوروبية التي كانت قد ظهرت ، ووضعت أمام الفكر التأملي الفلسفي ، الى جانب مشاكـل أصل الانسان ومصيره ، مشاكل الوجود الانساني : وجود الفرد الذي يتعلق بالحرية رغم المخاطر التي يواجهها ، ويجد نفسه مباشرة أمام الموت والعدم •

ضمن هذه المجموعة من القصائد ، نجد في المقدمة مجموعة كان الشاعر قـد نشرها من قبل ، وجعل عنوانها (Finisterre) أي (أطراف الأرض) • وهــذه الكلمة تتألف في الو قـع ، من كلمتين لاتينيتين ، همـا (Finis) و (Terrae) والأولىمعناها (نهاية) أو (حدود) والثانيةتعني (الأرض)•وكان القدماءيقصدون بها (آخر حدود الأرض) أو (أعمدة هرقل) ؛ وهي الجبال المتقابلة في جنوب اسبانيا ــ آخر حدود أوروبا من الجنوب ــ وفي شمال المغرب • وأشهرها•الآن (جبل طارق) في اسبانيا ، و (جبل موسى بن نصير) الذي يقابله في شمال المغرب ، ما بين سبتة وطنجة • والعنوان لا يعني ، طبعا ، شيئا بالنسبة الى القصائد التي تنطوي تحته ، فهو من اختــراع الخيال • غير أن الـديوان بمجموعه أخـذ اسمه (La Butera) من أول قصيدة فيه • وفي هذه المجموعة كذلك قصائد عديدة استوحاها الشاعـر من الأسفار ، والصيفيـات ، ومن ذكريات أصدقائه ، كما في (المناسبات) •

وفي المجموعات الثلاث : من (عظام السيدج) الى (العاصفة) نجد الغموض الرمزي والتعقيد الكثيرين في شعر مونتالي ، والضبابية الكثيفة التي يندر أن تبين من خلالها المعاني التي يريدها الشاعر • ثم تأخذ هذه الضبابية في الشفافية بعض الشيء في ما بعد ، كما نلمس ذلك في المجموعتين اللاحقتين ، وأولاهما (خليط ــ Satura) ، وهي تشمل القصائد التي كتبها الشاعر من عام ١٩٦٢ الى عـــام ١٩٧٠ ، وقد جاءت في قسمين همـا (Xenia) ، ويضم ثماني ثماني وعشـرين قصيدة وخاطرة شعرية ،يدير فيها الشاعر الحديث مع زوجته الراحلة، و (Satura) ويضم بقية القصائد التي تصل في مجموعها العام الى (١٥٧) قصيدة •

وهذه القصائد جميعا ، العاطفة جدا منها والمشمسة ، تمثل وفاء الشاعر لفنه الشعري ، وتمثل معه اتجاهه الشعري الانساني الواسع ؛ وفيها كثير من التأمـل في

أعماق الحياة ، والخيال المونتالي الواسع والشديد الغنى ، الذي عرفه قراؤه دائما في قصائده • ونلاحظ ذلك كله في القصائد المتعددة التي ترجمناها في بداية هذه الدراسة ، وأشير بنوع خاص الى قصيدته (التاريخ) ، والى قصائده الأخرى ، مثل (المقشطة ـ وقبل السفر ـ ونهاية عام ١٩٦٨) وغيرها ، كما نلاحظ الحب الصادق الوفي للزوجة التي رافقت حياة الشاعر الطويلة ، ثم مضت عنه وخلفته للشيخوخة المتعبة والأمراض الدائمة •

وأما الديوان الأخير (يوميات عام ٧١ وعام ٧٢) فيضم القصائد التي كتبها الشاعر في هذين العامين ، ومجموعها (١٢٣) قصيدة • والقصائد التي ترجمناها في ما تقدم من هذه المجموعة نريها كيف تستمر الشفافية في شعر مونتالي الجديد ، وتستمر معها أمانة الشاعر لفنه الشعري الحر ، الذي لم يخضع قط للمقائديات التاريخية والسياسية والاجتماعية ، بل ظل دائما شعراً للانسان في كل زمان ومكان• وقصائد مونتالي هذه استمرار لقصائده السابقة في مجموعته (خليط) من حيث الروح، والبناء الشعري ، والموسيقية الجميلة ، والرمزية الشفافة • وحسبي أن أشير ههنا، كنماذج لهذا الشعر الانساني الى قصائده التالية : (الصيد ـ النار ـ في المؤتمر ـ بهذه الملامة ••• ـ الحصان) وغيرها •

هذا الشعر الرفيع في فنه ، وفي انسانيته ، وفي عالميته ، هو الذي كلل الشاعر مونتالي بأكاليل المجد في بلده ، وفي العالم الغربي كله ، وجعل منه شاعرا عالميا يتمجد به بلده ، وتتمجد به ثقافة بلده ، وبه وبأمثاله أصبح الأدب الايطالي أدبا عالميا ، ومن أغنى الآداب المعاصرة ، واستحق أن يفوز خمسة من أعلامه حتى الآن بجائزة نوبل للآداب •

• • •

هذه ، باختصار ، حياة الشاعر الفائز أخيرا بجائزة نوبل ، وهذه أعماله الأدبية الشعرية والنثرية ، وحياته الصحفية والعملية •

أما صلتي الشخصية به فتبدأ في شهر نوفمبر عام ١٩٦٠ ؛ وكنت حينذاك في بعثة أدبية من قبل منظمة اليونيسكو ، مدتها ستة أشهر . للاطلاع على الحركة

الأدبية في ايطاليا ، والتعرف بممثلي الأدب الايطالي المعاصر . وكان مونتالي بين كبار الشعراء الذين عرفتهم في ميلانو . وكان حين وصولي الى ميلانو ، في اليوم لأول من شهر نوفمبر ، غائبا في فرنسا ، حيث دعي لالقاء عدد من المحاضرات . وعاد من فرنسا بعد عشرة أيام فزرته أولا في مكتب عمله في جريدة (Corriere della sera) التي كان حينذاك رئيس تحريرها . وزرت معه الروائي (ديونو بوتساتي ـ Dino Buzzati) والشاعر (ألبريكو سالا ـ Alberico Saia) وكان كلاهما من العاملين في الجريدة . ثم دعاني مونتالي الى زيارته في منزله بعد ظهر ذلك اليوم نفسه . وفي منزله قضيت معه نحو ساعتين ، خرجت بعدهما أحمل هدية منه ، هي ديوانه (العاصفة) ، وبعض صوره الفوتوغرافية ، وعليها جميعا توقيعه ، وعلى الكتاب عبارة اهداء كريمة ؛ وأحمل كذلك ورقة مكتوبة بخطه المرتعش ، سجل فيها نبذة عن حياته وأعماله الأدبية ، وبطاقة الى ناشر كتبه (دار موندادوري) لاهداء مجموعتيه الشعريتين الأخريين (عظام السيدج) و (الماسيات) الي .

وأما زيارتي الثالثة والأخيرة له فقد كانت في شهر نوفمبر عام ١٩٧٣ ، وفي المنزل عينه الذي زرته فيه أول مرة ، عام ١٩٦٠ ، في (شارع بيليي) القريب من مسرح (لاسكالا) الشهير فيميلانو.وكان مونتالي في هذه المرة متهدما منالشيخوخة ، ومن آثار فقد زوجته،التيكانت قد توفيت عام ١٩٦٣ ، بعد أن عاشت طويلا فيظل شهرته وأمجاده ـ كما يقول الكاتب الايطالي (جشنتو سبانيوليتي ـ Giacinto Spagnoletti) وخلفته وحيدا مع صحته السيئة دائما ، ومع شيخوخته ، في رعاية مدبرة منزله الطيّبة السيدة (جينا) .

في هذه المرة ، وأمام ما رأيت من ارهاق شيخوخته ، وارتعاشته الشديد ، وسوء صحته ، لم أكلمه التوقيع على أكثر من صورة واحدة من الصور الحديثة التي أهداها الي . وخرجت من عنده ، بعد جلسة استغرقت أكثر من ساعتين ، أحمل مع الصور،نسختين من مجموعتيه الشعريتين : (خليط ـ ويوميات عام ٧١ وعام ٧٢).

حين كان مونتالي في فلورنسا ، في بداية حياته الأدبية ، وكان يعمل في (دار بيمبوراد للنشر) كان ينظر من خلال سواد المستقبل ، فيخيل اليه أنه سيصل الى

الثمانين من عمره دون أن يعثر على سبيله ، أو على نوع من الحياة المستقرة ـ كما رأينا في رسالته الى صديقه (ايتالو سفيفو) ـ

غير اننا ، بعد كل هذه الأمجاد الأدبية التي نالها الشاعر في حياته ، والتي كان آخرها ـ وفي الثمانين من عمره بالضبط ـ جائزة نوبل ، نرى أن نبوءته لم تصح ولا كان لتشاؤمه ذاك اي مبرر ، لو أوتي مونتالي رؤية الغيب ٠

فها هو مونتالي اليوم يبلغ الثمانين من عمره فعلا ، وبدلا من الضياع الذي كان يتخيله ، يبلغ قمة جبل عال من الأمجاد ، ومن التكريم الأدبي ، ومن الجوائز التي لم ينل مثلها الا الأقلون من الشعراء في العالم ٠

وعلى الرغم من أن جائزة نوبل لم تضف شيئا ذا أهمية الى أمجاد مونتالي الأدبية الكثيرة ، وانها جاءت متأخرة جداً ، بعد أن شبع الشاعر من العمر ، ومن الأمجاد ، والألقاب ، فقد قال مونتالي حين بلغه نبأ فوزه بالجائزة ٠

« إنني لسعيد جداً ؛ فهذا أجمل ما توقعته من الحياة » ٠



مصادر البحث

وفي مقدمتها مجموعات مونتالي الشعرية الخمس :

1) E. Montale — "Ossi di Seppia" — Mondadori, Milano, VII edizione, 1960.

2) « « — "Le occasioni" — Mondadori, Milano, IV ed., 1960

3) « « - "La Bufera" — Neri Pozza, Venezia, 1956.

4) « « — "Satura" — Mondadori, Milano, IV ed. 1972.

5) « « — "Diario del'71 e del'72" — Mondadori, Milano, 1ª ed., 1973.

6) Claudio Marabiri — "La chiave e il cerchio" — Einaudi, Torino, 1973.

7) Claudio Scarpati — "Invito alla lettura di Montale" — Mursia, Milano, 1973.

8) Sergio Solmi — "Scrittori negli anni" — Il Saggiatore, Milano, 1963.

9) M. Bormioli & G. A. Pellegrinetti — "Letture italiane per stranieri, ed. scolastiche, Mondadori, Milano, Vol. II; 1954.

10) Mario Apollonio — "Letteratura dei contemporanei" — La "Scuola" editrice, Brescia, 1ª ristampa, 1957.

11) Raf. Spongano — "Antologia della Letteratura italiana" — Nouva ed. — Patron, Bologna, 1957, Vol. III.

12) Ferdinando Virdia — "Perche' il Nobel ?" — Settimanale "LA FIERA LETTERARIA", no. 44, anno, 51, 2 Nov 1975.

13) Eraldo Miscia — "Oggi gli uomini vogliono altro"— المصدر السابق

المصدر السابق

14) Giacinto Spagnoletti — "All'ombra della sua fama"—.

★ ★ ★

قصيدة إلى جواني

للشاعر : بوب ديلان
ترجمها وقدم لها خلدون الشمعة

تقديم

إذا صح ما يقوله الناقد الانكليزي « رسكن » Ruskin من أن « الشعر الغنائي » هو « التعبير من قبل الشاعر عن مشاعره الشخصية » فان (بوب ديلان) Bob Dylan ربما يكون أحد أعظم الشعراء المعاصرين الذين يكتبون « الشعر الغنائي » Lyrical Poetry اليوم ·

وقد ظهر « بوب ديلان » ــ الذي وصفه الناقد الأدبي لصحيفة « النيويورك تايمز » بأنه أهم شاعر في الجيل الشعري الشاب بامريكا ــ على المسرح الشعري في عام (١٩٦١) لأول مرة · وكان صوته المتفرد الذي احتفى باللغة المحكية والموسيقى المحلية والحس الغنائي والتعبير (المباشر) و (التصريحي) بمثابة تأكيد على أن حركة الحداثة في الشعر إنما تطرق سبيلاً آخر غير سبيل القصيدة الاليوتية (المواربة) و (غير المباشرة) ·

ولد « بوب ديلان » في (دولوث) بولاية (مينيسوتا) عام (١٩٤١) ودرس في جامعة (مينيسوتا) لمدة ستة أشهر ثم نزح الى نيويورك واصبح خلال عام واحد أهم صوت شعري في حركة الاحتجاج على العدوان الأمريكي في (الفيتنام)· وقد اصبحت غنائياته التي سجلت على اسطوانات بملايين النسخ ذات أثر عظيم على

الشعر الغنائي • كما انها أثرت تأثيراً حاسماً على فن الأغنية المعاصرة في الستينات ، وأعادت التأكيد على مسألة التواشج بين الشعر والموسيقى باعتباره تواشجاً علنياً خارجياً وليس تواشجاً سرياً داخلياً •

ونذكر من أعماله على سبيل المثال :

— Blowin' In The Wind.
— A Hard Rain's A-Gonna Fall.
— It Ain't Me Babe.
— Highway 61 Revisited.
— Lay Lady Lay.
— New Morning.

ولم يكتب (ديلان) الشعر الغنائي فحسب وإنما كتب روايته الشعرية التي صدرت الطبعة الأولى منها في عام (١٩٦٦) وعنوانها :
« رتيلام » TARANTULA

وأما غنائيته (قصيدة الى جواني) التي نقدم ترجمة لها ، فقد ظهرت في عام (١٩٧٠) في كراس مستقل • ومن الطبيعي أن الموسيقى التي تمتص العنصر الرئيسي في الشعر الغنائي هي أول وأهم مايفقده الشعر في الترجمة - ومع ذلك فقد حاولت خلق إيقاع مقابل بالعربية لايقاع القصيدة الأصلي •

ويلوح لي أن الشعر الغنائي قد بدأ يستعيد مكانته في حركة الشعر الحديث • وكانت بدايات القرن التاسع عشر قد شهدت حركة إحياء واسعة للنبض الغنائي في الشعر مع ظهور الرومانتيكية في أوروبا - فقد كتب (وردزورث) و (كولردج) و (بايرون) و (شيلي) و (كيتس) القصيدة الغنائية في (انكلترا) وكتبها (هاينى) في (المانيا) ، و (لامارتين) و (دوفيني) و (موسيه) في فرنسا ، و (لوماردي) في (إيطاليا) • وفي (روسيا) كتب كثيرون قصائد غنائية يمكن أن تسمى رومانتيكية •

وفي أواخر القرن التاسع عشر ، تعرضت القصيدة الغنائية لتأثيرات جديدة

من فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة · فالشعراء (ليكونت) و (تنيسون) و (براونبغ) و (بو) و (فرلين) و (مالارميه) قد أثروا سواء برومانتيكيتهم المحردة أو « برناسيتهم » أو رمزيتهم على القصيدة الغنائية بشكل عام ·

وأما المشهد المعاصر فقد ظهر فيه كل من (لافارغ) و (فاليري) في فرنسا ، و (أودن) في انكلترا و (ستيفن جورج) و (ريلكه) في ألمانيا و (ماشادو) في إسبانيا ·

قصيدة إلى جواني

أجثو أيام اليفاعة أجثو
في أيكة تسبرها مكة حديد
أنتش من الأرض ،
العشب
ممزقاً بوحشية ،
الجذور
ممضياً الساعات محصياً الشواطىء ،
تتطحلب في كفيَّ بقع اليخضور
انتظر صفير السيارات الحديدية الفلز ،
تتدحرج على المنحدر دحرجة ،
أعض على الشفتين شاهراً قبضة مصمومة ،
وأجلس القرفصاء فيما المحرِّك
يهرُّ هريراً ،

أحصي العربات الماضية
يتلاشى في الفضاء الصدى .
وأدرك أن القطار قد مضى
إذ ذاك أتحول بباصرتي
إلى يدي المخضوضرتين باليخضور
المبقعتين بدم أخضر يقول
إني أخذتُ وما منحت ،
وألمح رقعة المشب المنتوشة ،
حيث الأديم مقلوب رأساً على عقب
والجذور مجتثة كلجثث لصق شجرة ،
فأقول : « لا يمكن أن يقلقني البتة هذا الأمر »
أو : « لا ريب أن المشب لا يكترث قلامة ظفر »
« سينمو المشب ثانية على أية حال »
« ما أهمية رقعة عشب .. ما أهمية رقعة عشب .؟ . »
أمسح كفي مزيلاً بقعاً خضراء
وأطوح بصخرة مسددة على عربة ذات صدى منداح
معلقاً متأرجحاً ثقيلاً على سكة الحديد
كغمامة رعـد
مضمرة في فجر رذاذ
الغـد
أسائل نفسي أن أكون صديقاً لنفسي ،

متسللاً كثعلب مذعور
مغنياً أغنيتي كطفل شيطاني ،
يركل ركلة ويلعن لعنة ،
من داخل رحم أمي
. . . .
في سنوات لاحقة ظللت فتياً
ولكن رأسي ازدادت ثقلاً
وتدهلزت أمامي درب
وتوترت في حدود يفاعتي درب
حتى تقهقرت ناكصاً عن بوابات العالم وألعابه المشاكسة
ولما تعد لدي كلمة تقال
لأي باصرتين تحطان على باصرتي
فأوصدت نفسي وأحكمت الرتاج
مضيعاً المفتاح
وتاركاً الرموز تقولب قالبها
وتصنع لي خصمي الذي أمارس معه الخصام
أشهر لساني وأتمرد
أبصق الكلمات بصقاً
أتعلم كيف أصطفي الأوثان التي أحب .
فتتحدث بصوتي وتحكي حكايتي
وتسهم في خوض شجاري الشبحي

كان (هانك ولياسن) وثني الأول
غني خطوط سكة القطار
وأعمدة الحديد والعجلات المزمجرة
لم يدع شكاً في أنها حقيقية
كان رمزي الأول كلمة « جميلة »
لأن سكة القطار لم تكن جميلة
سوداء مُدَخّنة مجاريريّة اللون
محشوة بالقطران والهباب والغبار
أحكمُ على الجمال بهذه المقاييس
وأقبل بالجمال إذا كان قبيحاً وحسب ،
وإذا كنت أستطيع ملامسته بيدي
إذ ذاك فقط أدرك وأشعر وأتفهم
وأقول : « آه .. إن هذا لحقيقي »
أغذ السير منشداً أغنيتي
كمهرج مغموم
في سيرك عالمي الداخلي
. . . . . .
وفي أحايين أخرى انهارت أوثاني
أدركت أن الأوثان رجال أرضيون
لديهم أسبابهم التي يعللون بها أعمالهم
وما دامت الأعمال لا تحصني فانها لا تحصني على الاطلاق ،

ليس بوسعي الآن أن أعتمد على الأوثان الأرضية بعد الآن ،
ما تعلمته من كل إله منسي
ان ساحة الحرب تخصني وحدي

وانني أنا الذي يرمي بحجره الخاص
الرموز التي نمت وتقولبت
تجاوزت أحجامها وأصبحت مرئية من قبلي
ما زال رمز « الجمال » يهزني هزاً

ثرت مرتين وبدوت أشد خيلاء عشر مرات
ذرعت دربي وغنيت أغنيتي
كمجرم لم يقارف الجريمة
صارخاً من خلف قضبان سجن ليس بسجنه

وفي وقت لاحق صحت وقد أوغلت في العمر
صحت في (نيويورك) ان « الجمال الوحيد كامن في الشروخ وحوافي الأرصفة »
الجمال المتدثر بالأسمال والغبار والهباب

فتشت عنه في كل فج
قفزت إليه متشبثاً بثديه
همست في أذنه

قبلت ثغره

خاصرت خصره ،
أبحرت في جسده
على بطنه اتذهلت
كالعاشق الضرير من أعماقي صحت :
« الصوت الذي يحكي باسمي
هو صوت الهباب الأجش
الصوت الوحيد الذي أحسست
الجمال الوحيد الذي مسست . »
وتكأكأتُ على بعضي باختياري
أطعم أفواهي الخاوية
كاتماً كل صوت ،
ذارعاً دربي مغنياً أغنيتي
ملكاً متوحداً
واقفاً في حديقة الملكة
مستبطناً قبراً غير عميق .
. . . . . .
سافر الزمان ومضت الوجوه
تعلمت أفكاراً وأحصيت رؤوساً
مست دربي مساً
ثم انقضت
بعضها تشبَّثَ تَشَبُّثَ صديق

قد يكون الأول ولكنه ليس الأفضل
الآن أتحدث عن واحدة ،
برهنت لي أن الأولاد ما زالوا يكبرون
فتاة التقيتها في ساحة عامة
تُقَيْثِر (*) كما أُقَيْثِر ألحانا متوحدة
تصدح بصوت رائع أسمعه لأول مرة
« قطعة جمال » يقول القائلون
« صوت مدهش » يكتب الكاتبون
« أكره هذا الصوت »
أقـول
« الجمال الوحيد هو الجمال القبيح
الجمال الدوّامي (**) ، المُحَطِم ، الذبيح
هو الجمال الوحيد
الذي أفهم وأدرك . »
. . . . . .
. . . . . .
بين لسانينا ثمة بَوْن
مجرة كون
ترسل الضحكات تقرقع

(*) تعزف على القيثارة .
(**) نسبة إلى دوامة .

نصوّبُ بواصرنا في اتجاه واحد
وإذ أدرك انها توشك أن تصدح
ينتصب جدار أصم
بسرعة قذيفة مولولة
مثل زجاج لا يخترقه الرصاص
خارج أذني

أصيح صياحاً عالياً في الدواخل من رأسي
أنصب مصدّاً مزدوجاً يتصدى لكل صوت :
« لا صوت غير الصوت القبيح
لا صوت غير الصوت الذبيح
لست بمن يكترث بصوت آخر قلامة ظفر
إن تكن ذراعي لا تستطيع أن تلامسه
فلا تحسبن انني مستطيع" أن أدركه
ومع ذلك فسأنتظر أن تغني أغنيتك
لأن فيكِ شيئاً لا أعرفه .. »

. . . .

أذرع دربي وأغني أغنيتي
كشاعر رعديد
يسبر شريط شاطىء
يركل بظله شراشب طافية

يستحلب الطحلب البحري
يهرس اليخضور الأرضي
يسمع صوته يتسرب من سيارة هادرة
يهرف بقصة طفولة انقضت
في أرض تحصد فيها كلاب الطريق حصداً
أشيح بوجهي
محدقاً في الطريق
تصفع الريح صفحة وجهي ،
تتقهقر ناكصة ذاكرتي
فيما ينبسط الطريق
أذكر رقعة عشب تحتضر احتضاراً
وتستفيق ..
. . . .
. . . .

رأسي مشرعة في الريح
الريح تقصف الكلمات قصفاً
جاذبة أنفاسي فيما تزأر شاحنة
ليس ثمة أغنية أغنيها ..
. . . .
. . . .

في منزل بـ « وودستوك »

الأصدقاء منتشرون على البساط
ساقاي متصالبتان
أشعل لفافة تبغ ، أبتسم ، أحسو النبيد
تدوّم(*) الغرفة وتدوّم
تمخر العباب
« دع صوتها يغني »
يتصايحون
« نحن أشد تعباً من أن نستطيع إيقاف المغني »
يقهقون
وعندما أتكيء على مرفقي العاريين
الحاملين لجسدي ،
وجهي يتجمد حتى العظام
في جليد
شفاهي جلمود
تضحك ضحكاً عالياً
تهزهز جداراً يتزلزل
أقهقه كالمجنون يسدد قهقهته
صوت دريئة السقف

(*) أي تدور في دوامة .

تطفو أعصابي ،
حــرة ،
سائبة ،

أهدهد
الحلم
محتضراً
في
الليل

(ما أن شرعت أتحسس بحاسة اللمس
حتى شعرت أخيراً بما لم يكن هناك
أواه كم كان

حمقاً وذبولاً وحزناً مني
أن أحسب أن الجمال ليس بكامن
إلا في القبح حصراً ،

بينما الحقيقة أن صولجان الساحرة
المائج أمام باصرتي العابرة ،
يجعلني أحسن أن أنفاس الفتاة

الفتاة التي سمعتها أنفاس الفتاة
حقيقية كالجنس حقيقية كالأمومة

عمقها عمقُ موت عميق
قوتها ضَعْفُ أضعف ريح هابّة
طولها طول القدر
تشبه طبول الفجر ،
الواقيس الصينية
تختزن تسبيحة غموض لا يستبين
لا يفهم ولا يدرك ولا يُحَل
باليـــد
أو
بالقـــدم
أو برؤوس الأصابع
غموض لا يستبين وليس قميناً بأن يطلق عليه اسم شائن
من قبل ثلة باحثين عن أجوبة جاهزة سلفاً
في كل كتاب
إلا في دواخلهم
امضِ امضِ في القهقهة
كثري واصفقي بركبتيك
تلك هي طرفتك ، أنا موقن ،

وإنني لأشير حتى إلى نفسي
ولكن واأسفاه ، فالأمر ليستغرق زمناً طويلاً ٠)

. . . .
. . . .

مرة أخرى حان حين الشتاء
إذن فسأنتظر أوبة الربيع
كيما أعود القهقرى إلى حيث جثوت
عندما سمعت القطار الفلزي(*) يغني

ونتشت عشب الأرض من الجذور
ولكنني لن استنفد قوتي في هذه المرة
أهدر الوقت مقتلعاً العشب
منتظراً صوت القطار

كلا سيكون يوماً آخر في المرة القادمة
ربما يكون القطار هناك حين أؤوب
(ممضياً الساعات محصياً الشواطىء
انتظر صفير السيارات الحديدية الفلز ،
تتدحرج على المنحدر دحرجة
أعض على الشفتين شاهراً قبضة مضمومة

(*) نسبة الى فلز ٠

وأجلس القرفصاء فيما المحرك يهرُّ هريراً
أجثو محصياً الشواطىء والأعشاب
وبدلاً من اقتلاع الجذور

أربت عليها تربيت صديق ،
وإذ يقترب القطار
أنكس رأسي للمجلات النحاسية الكبيرة
متذكراً طفلاً شيطانياً طوَّح بصخرة

أذرع دربي بين مدار اخضرار الأرض
وبين مدار اسوداد القطار
مغنياً أغنيتي غناءً ثورياً ،
هـذا أنا
أعرف كيف لا أدفع دفعاً
وأعرف
يا إلهي
كيف لا أحاول !

معجم الأساطير اليونانية والرومانية

ترجمة وإعداد : سهيل عثمان • عبد الرزاق الأصفر

القسم الأول

▢ اباس

١ ـ ابن لانسيه وهيبرمنتسنز • وهو ملك أرغوس كما يرى بعضهم • وقد أنشأ مدينة (آبا) في)فوسيد •

٢ ـ رفيق ديوميد • وقد مسخته افروديت لقلقا بسبب وقاحته نحوها •

٣ ـ اسم صديقين لاينيه ، أحدهما طروادي والآخر أتروسكي •

٤ ـ صديق بيرسيه •

▢ ابسيرتوس

الأخ الأصغر لميديا • عندما حصلت هذه على فرو الكبش الذهبي هربت مع جارون ومزقت أخاها هذا قطعا شرتها على الطريق لتعوق الملك ايتيس الذي كان يطاردها • وقد جمع ايتيس الأشلاء ودفنها في تومي التي تسمى حاليا كونستانس •

▢ ابولون

هو من أوسع الآلهة نفوذا في العصور القديمة ، وهو ابن زوس وليتو ،

والأخ التوأم لأرتيميس . ولد في جزيرة ديلوس التي خصصت له . وفي بعض الروايات انه كان في القدم آله الشمس (فيبوس) وسمي الساطع . وتقول رواية أخرى ان هذا الاسم لم يظهر الا في القرن السادس ق.م . حين عبده الرومان باسم فيبوس أبولون .

وعند الاغريق كان أبولون آلها لكل ما هو خيّر وجميل ، كحفظ النظام وإحترام القانون وإسعاد الناس والتخفيف عن ذوي الضمائر المعذبة ومنحهم الراحة والطمأنينة وكآله للرماة كان يعاقب المتطاولين . وكان أيضا اله الطب ووالد أسكولاب . وكان يستغاث به في كثير من المدن ولا سيما في دلفوس حيث كان وحيه يكشف الارادة الآلهية للكهنة الذين يؤدونها الى الناس . وكانت مدن عديدة تدعي أنه مؤسسها مثل مدينة طروادة التي بنى أسوارها بيديه . وكان أبولون أيضا اله الموسيقى والشعر ورئيس ربات الشعر . ونظرا لكثرة وظائفه تعددت أسماؤه ونعوته . فمنها منقذ الهلكى ومبيد الجرذان والأفاعي والشافي .

وكانت بداية عبادته في ايطاليا عند الأتروسكيين ثم انتشرت بين الرومان بعد معركة أكتيوم حين بنى له أغسطس معبدا على مرتفع البالاتان اعترافا بجميله لأنه أظهره على أعدائه . وفي الالياذة أن أبولون أوقع الطاعون في الجيش الاغريقي بواسطة سهامه وأنه أوقع الخصومة الحاسمة بين اغاممنون وآخيل . ويجدر بنا الاهتمام بمقارنة الفيلسوف الألماني نيتشه بين الالهين أبولون وديونيزوس فبينما كان الأول في رأيه يمثل الحكمة والتعقل والتفكير والتأمل كان الثاني يمثل الوله الديني . وكانت حياة الاغريق الدينية تتراوح بين هذين المحورين .

أبولون في الفن : تظهر رسوم أبولون على الآنية الاغريقية والآثار الفنية الأخرى على مدى العصور . منها رسم على وعاء خزفي يعود الى القرن السابع ق.م يبدو فيه أبولون وهو يعزف على القيثار .. ورسم على صحفة أتيكية يمثله ملهما ربات الشعر (٤٥٠ ق.م في متحف بوسطن) . ومنها صورة على صحفة دورية وهو يحمي هكتور أمام أسوار طروادة (٤٩٠ ق.م متحف لندن) . ومنها أبولون رامي السهام بصحبة أرتيميس (صحفة أتيكية ٤٩٠ ق.م متحف ميونيخ) . ومنها صورة على لوح من الآجر المشوي يعود الى القرن الخامس أو السادس ق.م وموجود

في متحف روما . وقد اشتهر تمثال أبولون المسمى (تمثال تينيه) والعائد الى القرن السادس ق.م .

وفي المنحوتات التي تعود الى حوالي سنة ٥٠٠ ق.م والتي نفذت حسب أسلوب فيدياس يبدو أبولون وهو يكافح الجائحات الفاتكة بالانسان كالجوع والأوبئة . وتتميز الآثار الفنية السائدة الى القرن الرابع ق.م بمزيد من الرونق منها أبولون قاتل الزواحف من صنع براكسيتيل . ومنها الأثر الشهير باسم أبولون بلميدير في روما الذي يمكن القول انه النموذج الصافي لفن النحت اليوناني . وفي العصر الوسيط كان أبولون يمثل بشكل تبّال . أما في عصر النهضة فكان يمثل كرئيس لربات الشعر وكاله للشمس (دورر) أو كمثل أعلى للجمال (رفائيل في القرن السابع عشر) . وقد غدت تماثيل أبولون مبثوثة في أنحاء الحدائق العامة لتجميلها .

□ **أبياس :**

حورية رومانية . وقد سمي باسمها ينبوعان يحيطان بمدخل معبد ڤينوس في ساحة قيصر بروما

□ **آبيس :**

هو الثور المقدس عند قدماء المصريين . وهو حامل روح أوزيريس . ولعل لاسمه علاقة بالآلهة الهيلينية سيرابيس التي عبدت ايضا عند الرومان . وقد عبد آبيس المصري في مدينة منفيس حيث كان يمثل حيا بشكل ثور ذي أوصاف معينة كسواد اللون مع بقعة بيضاء مثلثة على الجبهة .

آبيس في الفن : يمثل آبيس بشكل ثور بين قرنيه هلال وأحيانا بشكل رجل برأس ثور .

□ **أتالانتا :**

بنت جازون ملك أركاديا . وأمها كليمين . رماها أبوها طفلة ، فأرضعتها دبة ، وقضت شبابها مع الصيادين . فأصبحت صيادة ماهرة وبرعت في ركوب

الخيل • وفي أثناء مطاردة الخنزير البري في كاليدونيا استطاعت أن تصل اليه قبل غيرها فخصها ميليا غروس بجلده مكافأة لها وتزوجها • وفي رواية أخرى أنها كانت بنت الملك البيوتي شونوس • وانها آلت ألا تتزوج الا بمن يسبقها في مضمار الخيل • واذا فشل كانت عقوبته الموت وقد سبقها ميلانيون وربما هيبومين بفضل ثلاث تفاحات ذهبية أعطته اياها أفروديت فالقاها في طريق اتالانتا الواحدة بعد الأخرى • فكانت تنزل لالتقاطها فخسرت السباق وكسبها الحب • ولما تجرأت مع زوجها على تدنيس غابة مكرسة للآلهة سيبيل حولتهما أسدين •

اتالانتا في الفن : كانت اتالانتا تصور على الآنية الاغريقية كصيادة وقد ظهرت في مجموعة تماثيل في معبد الآلهة أثينا في تيجيه وقد تكون من صنع سكوباس في منتصف القرن الرابع ق٠م وتشاهد صورتها مع ميلياغروس على التوابيت أو الصور الجدرية • وقد صورها بعد ذلك الرسام فويدوريبي •

☐ آتاماس :

ملك أورشومين وابن ايول • تزوج الآلهة نيفيل وأنجب منها ولدين هما فريكسوس وهيليه • ثم هجرها ليتزوج ايبو بنت قدموس التي ولدت له ولدين أيضاً هما ليارك وميليسيرت • وقد نصحته زوجته الجديدة بأن يتقرب الى زوس بولديه الأولين حتى ينقذ البلاد من الجفاف • ولكن أمهما نيفيل أنقذتهما • وقد غضبت هيرا عليه وعلى زوجته الجديدة التي آوت ديونيزوس فأصابته بالجنون فقتل ولده ليارك وطارد ايبو وابنها ميليسيرت ليقتلهما فألقيا نفسيهما في البحر فتلقتهما آلهة البحر • وقد هرب آتاماس بعد جرائمه والتجأ الى فثيوتيد حيث تزوج تيميست•

☐ آتروبوس

احدى آلهات القدر الثلاث •

☐ آتريد :

اسم يطلق في حالة الجمع على ابني آتريوس أغاممنون وميتيلاوس •

□ **آتريوس :**

ابن بيلوبس وهيبودامي • ووالد أغاممنون ومينيلاوس • اغتال مع أخيه ثييستوس أخاهما غير الشقيق كريسيب فطردهما أبوهما من بيته فالتجأ آتريوس الى الملك ستيلينوس • ثم خلفه على العرش فحسده أخوه ثييستوس ودنس زوجته اوروبا فطرده آتريوس فحاول ثييستوس أن يحرض ابن أخيه بليستين على اغتيال والده الا أن آتريوس قتل ابنه هذا ثم تظاهر بمصالحة أخيه ثييستوس ودعاه الى وليمة قدم له فيها لحم ولدي هذا الأخير • ولما اكتشف ثييستوس هذه الجريمة الوحشية لعن أخاه وذريته وغادر البلاد التي دمرتها بعدئذ سلسلة من الكوارث • وفيما بعد قتل ايجست ابن ثييستوس عمه آتريوس ثم ابن عمه عاممنون فثار لهما أورست بن أغممنون وقتل ايجست • واصل هذه الكوارث التي أصابت أسرة آتريوس تلك اللعنة التي لحقت بتانتال جده •

□ **آتـوس :**

هو أحد المردة • حاول أن يهاجم السماء بقذفها بجبل فرده زوس فوقع حيث يوجد الجبل المقدس المعروف الآن باسم اتوس •

□ **آتيس :**

هو آله الخصب في آسيا الصغرى • وقد عبده الاغريق أيضا الا أن عبادته بقيت آسيوية أكثر منها اغريقية • وارتبطت بعبادة سيبيل • وباعتبار أن هذه العبادة كانت تتراوح بين الحزن الشديد والفرح المفرط فهي تمت بصلة الى عبادة أدونيس • أحبته سيبيل فرفضها فأصابته في عقله فخصى نفسه ولذا كان يعمد بعض أتباعه الى طريقة الخصي والتعقيم •

آتيس في الفن : توجد صور آتيس على ميداليات من العصر الروماني وعلى بعض التوابيت ويبدو مراهقا يرتدي الثوب اللاصق وقبعة فريجية وبيده المحرفه •

□ **آتيـه :**

آلهة العاصفة الهوجاء والهوى الأعمى • بنت زوس وايرس ، كانت توقع الرجال في الاثم وتضلهم •

○ أثينـا :

هي آلهة الحكمــة والعقل والعلوم والفنون وأشـغال الابرة ٠ بنت زوس وميتيس ولدت بطريقة غريبة ٠ ذلك أن زوس عندما خاف أن يزيله عن العرش الوليد الذي ستنجبه ميتيس ابتلع الأم لحامل فكن عليه أن يلد الجنين ، وكان ذلك بأن شق له هيبايستوس جمجمته بضربة بلطة فخرجت أثينا من دماغه بكامل سلاحها ٠ كانت أثينا آلهة لكل ما هو حضاري تحرص على احترام القانون واقامة العدل وتترأس مجالس الشعب ٠ وتعلم الرجال استخدام النار والمحراث والاستفادة من الحيل ٠ ومن جهة ثانية فقد كانت آلهة الحرب المظفرة تقود الجيوش وتبارك لمحاربين وكان كثير من الأبطال تحت حمايتها مثل آخيل وديوميد ٠ وكان أوليس لداهية عزيزا عليها ولذلك جعلها هوميروس في الأوديسة حامية لتيليماك ابن أوليس ٠ وبما أنها كانت آلهة الحرب فقد كانت تضع الخوذة وترتدي الـدرع وتحمل الحربة والترس ٠ وكآلهة للسلم كانت تحمل السعادة الى البيوت وتجيد اعمال الحياكة والتطريز ٠ ولذا كانت فتيات أثينا يقدمن لها في عيدها كل أربع سنوات ثوبا رائع الوشي وكانت أثينا أيضا آلهة الصحة والشفاء ٠ وكانت تعبد في كل أنحاء اليونان ولا سيما في مقاطعة أتيكا (حول أثينا) التي حصلت عليها مقابل شجرة زيتون قدمتها الى زوس بينما قدم له بوزيدون حصانا ٠ ومنذئـذ أصبحت شجرة الزيتون والبومة والديك والأفعى مكرسة لأثينا ٠ ولأنهـا بقيت عذراء لقبت (بارثينوس) و (بالاس) أي العذراء ٠ وكان معبدها الأصلي في البارثينون في أثينا المدينة التي خصصت لها وخلدت اسمها حتى الآن ٠ وكان البورجوازيون الأثينيون يقيمون عيدها كل أربع سنوات وقد وحدها الرومـان مع ميرفا ٠

أثينا في الفن : تعد أثينا الموضـوع المفضل عند قدماء الفنانين الاغريق الذين كانوا يصورونها محاربة متسلحة بالحربة والترس ومرتدية الدرع وعلى رأسها الخوذة ٠ وكانوا يرسمونها على آنية وهي تشارك في الحروب محـاربة او حكما ٠ وكان من هذه الآنية نوع يوزع كجوائز في احتفالاتها تبدو عليه مسلحة وواقفة بين عمودين مزينين بالديك ويرمز النصر ٠ ومن أشهر تماثيلها أثينـا

بارتيموس (٤٣٨) ق٠م في البارثينون وكذلك أثينا بروماموس وأثينا لامنيا في الأكروبول (٤٤٧ ق٠م) وقد فقد الأولان أما الثالث فقد عرف من رأس الآلهة الذي وجد في بولونيا بايطاليا ٠ أما مجموعة (أثينا ومارسياس) فقد نحتت في القرن الخامس الميلادي حسب اسلوب مدرسة ميرون ٠ وكذلك أثينا التي على معبد ايجين ٠ ومن تماثيلها الرومانية أثينا الباني وأثينا فارنيز وأثينا فيليتري ٠ وهنالك نقوش بارزة لها تمثلها حامية بيرسه على أفاريز من الطراز القديم في سيليونت (القرن السادس ق٠م) وكموازرة لهرقل على افاريز معبد زوس الأولمبي (القرن الخامس ق٠م) ٠ ويبدو أن النقش البارز المسمى (أثينا قرب الحدود) ينسب الى ميرون حيث تبدو فتاة منكسرة ومعتمدة على حربتها (٥٦٠ ق٠م) ٠ وظهرت صورتها على نقود أثينا وعلى الوجه الثاني صورة بومة ، وعلى أحجار كريمة من عصر أغسطس ٠ ومن النفائس صحفة فضية هيلينستية في مدينة هلدسهايم تبدو عليها جالسة ولابسة خوذة وقابضة بيدها اليسرى على ترسها ٠

□ آجاكس وباليونانية آياس :

١ ـ آجاكس الصغير وهو ابن أويليه ملك لوكريس ٠ أثناء حصار طروادة كان يعد أحد الابطال البارزين ولم يتفوق عليه في الجري سوى آخيل ٠ ولما سقطت طروادة سبى كاساندرة التي كانت في معبد أثينا ٠ فنال عقابه بأن غرق أثناء عودته الى بلاده ٠

٢ ـ آجاكس الكبير هو ابن تيلامون ملك سلماسيس ٠ كان أحد أبطال حصار طروادة البارزين مثل آخيل رد وحده حملة الطرواديين الذين هاجموا المعسكر الاغريقي وحاولوا احراق المراكب وبعد أن مات آخيل طمع في قيادة جيشه الا أن اوليس يدعم من اثينا ، بارزه وانتصر عليه فغضب آجاكس واتكأ على سيفه منتحرا ٠ وفي رواية أخرى أنه جن وأخذ يذبح أغنام الاغريق يحسبهم أعداءه ٠ فلما استرد وعيه انتحر خجلا مما فعل ٠ وقد استمد سوفوكليس من هذا الموضوع مسرحيته (آجاكس غاضبا) ٠

آجاكس في الفن : أكثر ما توجد صورة أجاكس على الأواني اما حاملا جثة آخيل أو مقاتلا دونها (٥٥٠ ق٠م) ٠ وقد صوره الفنان دوريس على اناء وهو يبارز هكتور ٠ وصوره اكزيسياس وهو يلعب بالنرد مع آخيل (٥٢٥ ق م) في متحف الفاتيكان ٠

□ **أجينور**

ابن بوزيدون آله البحر ووالد قدموس وأوروب وملك فينيقيا ٠

□ **اخيل :**

ابن بيليه وثيتيس ٠ لكي تجعله أمه غير قابل للفناء دلكته بطعام الآلهة نهارا ووضعته في النار ليلا ثم أمسكته من عقبه وغمسته في نهر ستيكس فأصبح ممتنعا على الموت الا اذا أصيب في عقب قدمه ولذلك مات عندما جرح في كعبه عند اقتحام طروادة ، ومن هنا جاء اصطلاح عقب آخيل ٠ وكان عليه أن يختار بين حياة طويلة خاملة وحياة قصيرة مجيدة فاختار الثانية ٠ وفي حصار طروادة كان على رأس الميرميدوتيين فكان أكثر الأبطال شهرة ومجدا ٠ وفي رواية أخرى أن أمه أرادت منعه من الاشتراك في حرب طروادة فخبأته في بلاط الملك ليكوميد في سيروس ٠ ولكن أوليس اكتشفه باحدى حيله ٠ وأثناء حرب طروادة أهانه أغاممنون بسلبه سبيته بريزييس فما كان من آخيل الا أن انسحب من الحرب ولم يعد اليها الا بعد مصرع صديقه باتروكليس حين انتقم له من هكتور ٠ ثم قتل على يد باريس ابن ملك طروادة والاله أبولون ٠ وخلفه ابنه نيوبتوليم في تتمة احتلال طروادة ٠ تدور أهم حوادث الالياذة حول غضب آخيل على أغاممنون وعودته الى الحرب وانتقامه من هكتور ٠ ويقال ان قبره يقع بالقرب من رأس سيجيوم ٠

آخيل في الفن : ينقش اليونانيون صورة آخيل على آنيتهم بمشاهد متعددة مثل لقائه مع ترويلوس ٠ وهي صورة على وعاء محفوظ في فلورنسا يعود الى سنة ٥٧٠ ق٠م ٠ وفي متحف الفاتيكان صورة له على جرة وهو يلعب النرد مع آجاكس ٥٣٠ ق٠م وفي متحف برلين صورة له على اناء وهو يعالج جراح صديقه

باتروكليس ٥٠٠ ق٠م وفي ميونيخ صورة لآخيل وبانتيزيليه على كوب اتيكي ٤٦٠ ق٠م٠ وكثير من الرسوم على الخزف تمثله في مشاهد من حرب طروادة ٠ وقد وجدت على أحد التوابيت لوحة مائية شهيرة تمثل سقوط طروادة حيث يختبيء آخيل خلف ينبوع متربصا بغريمه ترويلوس الغافل عن الخطر الذي يهدده ٠ وفي رسوم مائية وجدت في بمبي يشاهد آخيل مع أغاممنون يختصمان بسبب معظيته بريزييس ، وكذا يشاهد بين بنات الملك ليكوميد في سيروس ٠ أما في النحت فقد اشتهر تمثاله الذي صنعه اسكوباس لمعبد أثينا ٣٣٠ ق٠م وقد تلفت معظم أجزائه٠ أما في القرون الوسطى فقد ندرت رسوم آخيل واشتهرت مجموعة روبينز حوله ١٦٢٠ م ٠ وفي القرن التاسع عشر اقتبس لايتون وسواه رسومهم التاريخية من موضوع آخيل ٠

□ آخيلويوس :

اسم أشهر انهار اليونان ويسمى حاليا أسروبوتاموس ويفصل بين مقاطعتي اكارنانيا وايتوليا ٠ ويطلق هذا الاسم أيضاً على اله هذا النهر احد أبناء أوقيانوس وتيثيس ٠

قاتل هرقل لامتلاك الحسناء ديجانير ولكنه خسر المعركة بالرغم من تحولاته العديدة ٠

آخيلويوس في الفن يمثل بصورة شيخ ذي قرون أو تنين بوجه بشري أو ثور بوجه بشري ولحية طويلة وهذه الصورة الاخيرة تمثل بها آلهة الانهار بشكل عام وقد وجدت على النقود ومنها نقود جيلا في صقلية ، وقد وجدت نقوش خشبية من العصر الدوري القديم تمثل صراعه مع هرقل (القرن السابع ق.م) ٠

□ آدراستوس

١ ــ ملك أرغوس ٠ زوج بناته الى تيديه وبولينيس وقد طردا من طيبة ٠ ولأجل أن يمكنهما من العودة الى وطنهما قاد حملة من مبته الى طيبة ــ وفي خلال الحرب قتل جميع القادة ما عدا آدراستوس ٠ لكنه مات حزناً على ولده ايجياليه ٠ وكان يمجد في بعض المدن اليونانية كنصف اله ٠

٢ ـ ابن غورديوس ملك فريجيا . قتل أخاه بدون قصد منه وهرب الى ليديا ملتجئاً الى ملكها كريروس . ولما قتل بدون قصد منه أيضاً ابن كريروس انتحر يأساً .

□ **أدميت**

هي بنت أوريستيه . وقد سرق هرقل لأجلها زنار هيوليت ملكة الأمازونات وكانت هذه احدى أفاعيله الاثنتي عشرة .

□ **أدميتوس**

هو ملك فيريس في تساليا . وعندما طرد أبولون من الاولمب رعى غنم أدميتوس تسعة أعوام وجزاء على حسن ضيافته أعطاه حق اختيار من ينوب عنه في الهبوط الى عالم الأموات وساعده على تحقيق الشروط التي فرضها عليه بيلياس مقابل تزويجه اياه ابنته ألسيست فراح أدميتوس يبحث عنها على عربة تجرها الأسود والخنازير البرية . ولما دنت منيته تطوعت ألسيست لتنوب عنه في النزول الى عالم الأموات ولكن هرقل أنقذها وأعادها الى زوجها الحبيب .

□ **أدونيس**

كلمة آدون في الفينيقية تعني السيد . وأدونيس اله فينيقي يموت ويبعث باستمرار . وكانت مدينة جبيل الميناء الفينيقي مهد عبادته . وتقع على مصب نهر أدونيس (نهر ابراهيم) أما في الأساطير الاغريقية فهو فتى أخاذ الجمال عشقته أفروديت . قتله خنزير بري أثناء الصيد فحصلت أفروديت على ميثاق من زوس بألا يبقيه في عالم الأموات الا بعض العام . فكان يبعث في الربيع والصيف ليتابع رحلاته مع أفروديت . وكان يقام الحداد لموته والفرح لبعثه بأعياد سنوية فخمة في كثير من المدن ومنها الاسكندرية وقد وصف تيوقريطس هذه الاحتفالات .

□ **أدونيس في الفن :**

وجدت أقدم صور أدونيس على مرايا وآنية أتروسكية مثل صورة أفروديت وبرسيفون وهما بجانب نعش أدونيس على وعاء وجد في ايطاليا القديمة . وكذلك

تمثال أدونيس في كابوا (القرن الرابع ق.م) وينسب الى الفنان اليوناني أوفرانور. وكثيراً ما وجدت صور لأدونيس على رسوم جدارية كما هو الأمر في بومبي وعلى توابيت رومانية وفيما بعد استمد الفنانون مثل لوتيتيان وروبنز صوراً من رحلات أدونيس للصيد ومن أحزان فينوس عليه وكذلك عمل بعض النحاتين مثل دوروسي وكانوفا ودوفريس وشرولتزن . (والحديث هنا عن أدونيس اليوناني الروماني وليس عن الفينيقي) .

□ أراخنة :

فتاة ليدية كانت ماهرة في صنع السجاد بحيث فاقت الآلهة أثينا في احدى المباريات فما كان منها الا أن مسختها عنكبوتا حسداً منها .

أراخنة في الفن : « ظهرت أسطورة أراخنة على افريز في معبد الآلهة أثينا في روما وفي نقش على الرتك للفنان ستيفانو ديلا بيلا وفي لوحة للفنان فيلاسكيز وكلاهما من المدرسة الباروكية .

□ أرتيميس :

آلهة الصيد عند الاغريق . وهي بنت زوس وليتو وتوأم أبولون . ويرجح أن تكون ألوهتها للحيوانات والغابات قد أتت من أصول أقدم من الحضارة الأغريقية . كانت بارعة في الصيد . تجوب مع وصيفاتها الجبال والغابات في أركاديا ولاكونيا . وفضلا عن ذلك كانت ، كأخيها أبولون ، تعاقب الخارجين على النظام وتقتلهم بسهامها كما فعلت بالمتكبرة نيوبيه . وكانت مستعصية على الحب وآثرت أن تبقى عذراء ولذلك تعتبر حامية العفة . وملاذاً للأمهات في مرض أولادهن. وكما أن أخاها أبولون كان يعد آلهاً للشمس فقد كانت هي آلهة للقمر . وكانت تدعى في اسبارطة أرتيميس أورثيا وكان سكان هذه المدينة يخشون سطوتها ويرجون خيرها ويقدمون لها القرابين البشرية . وكانت في الشرق آلهة الخصب وبهذه الصفة عبدت في معبد ايفيز . أما الرومان فقد وحدوها مع الآلهة ديانا .

□ **ارتيميس في الفن :** « كانت تمثل أرتيميس كملكة للحيوانات في الآثار اليونانية الأقدم كما هو الأمر في آثر كورنثي في جزيرة ديلوس من القرن السابع ق.م وتمثل أحياناً بشكل آلهة لقمر في شعرها هلال وفي يدها مشعل . وهكذا صورت على احدى الميداليات . وتصويرها كصيادة يعود الى مستهل العصر الهيليني حيث تبرز متسلحة بقوس وجعبة وممسكة بيدها اليمنى قرون وعل (وعاء محفوظ في اثينا من القرن السابع ق.م) وهنالك رسم على افريز في البارثينوس يمثلها مستوية على العرش وسط عدد من الآلهة . ووجد لها في بومبي تمثال بلباس طويل يبدو أنه نسخة من أصل اغريقي من القرن الخامس ق.م. وله في اللوفر تمثال شهير باسم أرتيميس غابي ، ذو ملامح تجعله قريباً من أسلوب باراكسيتيل (القرن الرابع ق.م) . وغالباً ما تبدو أرتيميس في وقفة مفعمة باللطف ويدها تشبك رداء الصيد من فوق كتفها . أما أرتيميس فرساي فربما كان من صنع ليوشارس حيث تبدو صيادة رشيقة بأذيال قصيرة ومعها وعل . أما ديانا ايفيز فتظهر كآلهة للخصب باثداء كثيرة . وتبرزها الرسوم الجدارية في بومبي باشكال أخرى .

وفي الفن الحديث تذكر رسوم كوريج وروبنز وبوشيه وكورو وأعمال النحاتين غوجون وهودون وميلس ومالمير .

□ **آرغـــو :**

اسم لسفينة التي أقلت لأرغيين الى آيـا . وكان يقودها خمسون ملاحا ، وقد تلقت هذه السفينة من الآلهة أثينا قطعة من شجرة البلوط الناطقة جلبتها من غابة دودون وبها أصبحت السفينة قادرة على الكلام والتنبؤ بالمستقبل . وعندما انتهت رحلتها انضمت الى المجموعات الفلكية .

□ **آرغوس :**

عملاق ذو مائة عين كلفته هيرا أن يراقب ايو التي حولت الى عجْلة . الا أن هرمس قتله بعد أن ألقى عليه النوم . فنثرت هيرا عيونه على ذيل الطاووس .

□ **آرغوس في الفن :** « تبدو صورته على بعض الآنية اليونانية كحارس ،

من ذلك وعاء في ميونيخ يعود الى القرن السادس ق.م. وهناك رسوم جدارية لآرغوس في بومبي وروما . وقد رسم روبنز لوحة لآرغوس المتحول الى طاووس .

□ **الارغيون :**

هم الأبطال الاغريق الخمسون الذين أبحروا على سفينة الآرغو بقيادة جازون نحو الكولشيد (جورجيا) لأجل الاستيلاء على الفرو الذهبي . وكان الملك بيلياس قد اشترط على ابن أخيه جازون أن يأتيه بهذا الفرو ليعطيه مملكة ايولكوس وهو فرو الكبش الاسطوري الذي حمل في الهواء فريكسوس واخته هيليه وعندما تقربا بالكبش الى زوس أهدى فريكسوس فروه الذهبي الى ايتيس ملك الكولشيد فعلقه على بلوطة مقدسة يحرسها تنين مخيف . وكان بين الأبطال الخمسين امفياروس وهرقل وأورفيس وتيسيوس والأخوان ديوسكور ابنا زوس . ولم يقبل ايتيس أن يعطيهم الفرو الا بعد أن يقوم جازون بأعمال خارقة منها أن يحرث الارض بمحراث تجره ثيران تنفث اللهب وأن يبذر أسنان التنين ثم يستأصل المخلوقات الخبيثة التي تنبتها وأن يقتل التنين الحارس للفرو . وقد استطاع ذلك بمساعدة الساحرة ميديا بنت ايتيس ولم تكن عودتهم الى بلادهم خالية من المصاعب . وبعد مغامرات عديدة وصلوا الى ايولكوس .

الأرغيون في الفن : « من جملة الاثار المستوحاة من قصة الأرغيين رسم على وعاء أورفييتو يبدو فيه الأرغيون وهم يستعدون للابحار الى كولشيد (٤٦٠ ق.م). ويحتمل أن تكون هذه الصورة نسخة عن أثر فني لبولينيوت . وقد وجدت مشاهد من رحلتهم منقوشة على علبة زينة من القرن الرابع ق.م. وفي عصر النهضة استخدم هذا الموضوع في تزيين السقوف الايطالية وقد استمد الفنان بيرودي كاريمو من هذه الأسطورة احدى لوحاته .

□ **آركاس :**

هو ابن زوس من الحسناء الأركادية كاليستو . غارت منها هيرا فحولتها الى دبة وبينما كان ابنها آركاس يصطاد قابلها وهم بقتلها وهو يجهل حقيقة أمرها . وهنا تدخل زوس وحولهما الى مجموعتين من النجوم هما الدب الأكبر والدب الأصغر .

□ آريـان :

هي بنت مينوس ملك جزيرة كريت . ساعدت تيسيوس على قتل المينوتور . واعطته رأس الخيط الذي مكنه من معرفة طريق الخروج من التيه ثم هربت معه لكنه تركها في جزيرة ناكسوس حيث وجدها ديونيزوس نائمة فتزوجها . وقد استقبلها سكان الأولمب استقبالا حسناً .

آريان في الفن : « ظهرت صـورة آريان على وعاء شـهير موجود في فلورنسا يعود الى ٥٧٠ ق.م. وقد غادرها تيسيوس وظهرت لها رسوم جدارية في بومبي بصحبة ديونيزوس وأشهر تماثيلها آريان النائمة (الفاتيكان) وآريان المهجورة (في اللوفر) وآريان والفهد للفنان دانيكر ١٨٤٠ م .

□ آريثوزا :

احدى حوريات البحر . تبعها ألفيوس آلـه النهر الذي كانت تستحم به الى جزيرة أورتيجيا فطلبت مساعدة أرتيميس التي حولتها الى ينبوع بالقرب من مدينة سيراكوزا فاجتاز ألفيوس البحر ووحد مياهه بمياه ينبوع آريثوزا .

آريثوزا في الفن : « يبدو رأس اريثوزا على نقود سيراكوزا القديمه محاطاً بالدلافين وهي تضم شعرها بشبكة .

□ آريس :

هو آله الحرب عند اليونان . وهو ابن زوس وهيرا ولشدة بأسه واعتداده بنفسه أخذ يتطاول على سائر الآلهة ومنهم والده . وكان ذا قامة ضخمة وصوت يشبه الرعد وكان أسرع من كل الالهة يصحبه الخوف والرعب أنّى سار ولم يخضع الا لسحر أفروديت التي احبها . ويحتمل أن تكون منطقة تراس مهد عبادته التي لم تنتشر في الأوساط الشعبية اليونانية كثيراً وقد اتحد بمارس عند الرومان حيث لقيت عبادته اقبالا أكثر .

□ **آريس في الفن :** « كان آريس يمثل على الآنية الاغريقية في مطلع العهد

الهيليني بصورة محارب مكتهل ذي لحية يحيط به بعض الآلهة ويلبس درعاً وخوذة من ذلك رسمه على وعاء أتيكي في متحف الفاتيكان (٥٤٠ ق٠م) ورسمه على وعاء شهير في فلورنسا (٥٧٠ ق٠م) ٠ وفيما بعد أصبح يبدو في صوره أحدث سناً وأقل تجهماً ٠ وهناك آريس لودوفيزي الجالس على صخرة وقد شبك يديه على احدى ركبتيه وآريس بورجيا الموجود في متحف اللوفر وله تمثال من البرونز في متحف الفاتيكان يعود الى العهد الأتروسكي في القرن الرابع ق٠م يمثله لابساً درعاً وخوذة٠ وله رسوم جدارية تمثل حبه لفينوس ظهرت في أطلال بومبي ٠ أما رسامو عصر النهضة فكانوا يفضلون تصويره محباً لفينوس ثم عاد الباروكيون الى تصويره كآله للحرب وقد أصبح مارس أو آريس مصدر الهام لبعض نحاتي القرن الثامن عشر مثل كانوفا وثورفالسدن ٠

□ آريسب :

١ ــ بنت توسر وزوجة دردانوس ٠

٢ ــ زوجة بريام ملك طروادة قبل زواجه بهيكوب ٠

□ أريستوديموس :

ملك اسبارطة وحفيد هرقل ووالد أوريسيس وبروكليس ٠

□ أريستوماخوس :

هو حفيد هرقل ووالد كرسفونت ٠ حاول عبثاً أن يقهر البيلوبونيز (شبه جزيرة المورة) وتمكن أبناؤه من ذلك فيما بعد ٠

□ اريستايوس :

هو اله اغريقي قديم وهو بن أورانوس أو أبولون وكان يعتبر رب الزراعة والصيد وتربية المواشي ٠

□ آريون :

١ ــ ممن وشاعر من جزيرة ليسبوس ٠ صحب برياندر ملك كورنثوس

طويلا . وعندما غادر هذه المدينة في سفينة ذاهباً الى ايطاليا استولى البحارون على ثروته وقرروا قتله فطلب أمنيته الأخيرة وهي آن يسمحوا له بالغناء فاتجه الى حافة السفينة وغنى أحلى أغانيه ثم ألقى نفسه في البحر فاحتمله دلفين كان قد سحره غناؤه ، وأوصله سالماً الى رأس تيتار في الطرف الجنوبي من شبه جزيرة الموره ومن هناك عاد الى ملكه بريانذر . وكان البحارون قد أشاعوا أنه بقي في ايطاليا ففضح آريون كذبهم بظهوره غير المرتقب .

٢ ـ هو الحصان غير الفاني السريع كالبرق العائد لأدراستوس .

□ أسترباكوس :

بطل لاكونيا القديمة وجد ديمارات ملك اسبارطة . اشتهر في الحروب الميدية .

□ أسترايوس :

أحد المردة الجبابرة وهو زوج ايوس (الفجر) ووالد الرياح الأربع وهي بوريه (ريح الشمال) وزيفير (ريح الغرب) وأوروس (ريح الشرق) ونوتوس (ريح الجنوب) .

□ أسترايا :

هي بنت زوس وتيميس . أو بنت أسترايوس وإيوس . أقامت بين الناس أثناء العصر الذهبي الطيب . وعندما أخذ الشر يطغى رويداً رويداً على الخير اختفت من الأرض وصعدت الى السماء وسطعت نجماً يعرف بالعذراء .

□ أستياناكوس :

هو ابن هكتور وأندروماك ويدعى أيضاً أسكمندر . عندما سقطت طروادة ألقاه الاغريق من فوق الأسوار .

« **أستياناكوس في الفن** » : يظهر أستياناكوس في لوحات بولينيوت (القرن الخامس ق.م) . كما يظهر على العديد من الأواني الاغريقية . وكان موته مادة

للفن فعلى وعام من ليدوس صورة له ورأسه مدلى الى الأسفل بينما قبض نيوتوليم على رجله (القرن السادس ق٠م) ٠ وصوره بريغوس بالهيئة ذاتهـا على صفحة محفوظة في باريس ٠ وفي صورة مائية للرسام كليوفراديس محفوظة في مدينة نابولي (القرن الرابع ق٠م) يظهر بريام جاثياً على ركبتيه بجانب جثة أستياناكوس الدامية٠

□ **أستيريا :**

هي بنت المارد كوس وفيبيه ٠ استفزها زوس فألقت بنفسها في البحر فتحولت الى جزيرة تعرف باسمها ٠

□ **أستيريون :**

هو ملك كريت وزوج أوروبا ربى أبناء أوروبا من زوس مينوس ورادامانت كما لو كانوا أبناءه الشرعيين ٠ وقد عين مينوس خليفة له ٠

□ **أسكالافوس :**

١ ــ ملك أورشومين وابن آريس وأستيوش ٠ اشترك في رحلة الارغيين،وهلك بعدئذ في حصار طروادة ٠

٢ ــ ابن آشيرون وأورفنه ٠ فضح بيرسيفون التي أكلت في الجحيم من رمانة محرمة وعوقب على ما فعل بأن حول الى بومة ٠

□ **أسكاني :**

ابن اينيه وكريبوز ٠ هرب مع أبيه من طروادة المحترقة الى اللاتيوم وهناك أسس مدينة الب الطويلة وعرف فيها باسم ايول فكان جد الرومان ولا سيما الفرع اليولياني ٠

□ **آســيا :**

هي حورية بحرية اغريقية وهي بنت أوقيانوس وتيتيس ، وأم برومثيوس أو زوجته في بعض الروايات ٠

□ **أسيدالي :**

لقب لمينوس مشتق من اسم ينبوع في بيوتيا كانت تستحم فيه ·

□ **آسيس (آكيس باليونانية) :**

هو ابن فونوس · أحب غالاتيا · سحقه غريمه السيكلوب بوليفيم تحت صخرة فاستحال دمه نهرا يحمل اسمه في صقلية ·

□ **أشيرون :**

هو نهر في مقاطعة ابير يجري قسم منه تحت الأرض ولذلك اعتبره اليونان القدماء أحد أنهار الجحيم، وكان شارون يعبر بأرواح الموتى الى الجانب الآخر من النهر·

□ **أطلس :**

هو أحد المردة ابن جابيت · شارك في غزو السماء فعوقب بأن حكم عليه أن يحمل على كتفيه القبة السماوية أو الأعمدة التي تقل السماء · وهو والد البنات المعروفات باسم هيادس وبليادس ، وقد توحد منذ القدم مع سلسلة جبال الأطلس المعروفة في شمال أفريقيا لأن بيرسيه حولته الى جبل مستخدمة تأثير رأس ميدوزا ·

أطلس في الفن : « توجد صوره على العديد من الآنيــة الاغريقية وأشهر صوره على افريز في معبد زوس الأولمي حيث يبدو هرقل وقد أخذ عنه حمله بينما يقدم له أطلس تفاحات هيسبيريد · وله في نابولي تمثال من المرمر يمثله حاملا كرة العالم ·

□ **اطلنطيد :**

اسم البلاد الأسطورية المعروفة بأطلس · يروى أنها كانت تقع غرب أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) ومنها اشتق اسم المحيط الأطلسي·وقد أصيبت بالخسف والزلازل وغرقت في البحر لأن الآلهة عاقبت سكانها الخالدين · وقد وصفها أفلاطون في محاورته (كريتياس) وذكر تفصيلات عن موقعها ومكانتها السياسية وازدهارها وسقوطها · وقد أثارت هذه المحاورة كثيرا من الأعمال الأدبية الحديثة حول هــذه البلاد الاسطورية ··

ويطلق هذا الاسم في حالة الجمع على بنات أطلس هيادس وبليادس ٠

□ آغافيــه :

هي بنت قدموس ٠ تملكها هوس عبادة باخوس فضحّت بابنها ٠

□ أغاممنون :

هو ابن آتريوس ملك ميسين ٠ عندما قتل ثييستوس أبــاه هرب مع أخيــه ميلاوس الى اسبارطة حيث تزوجا بنتي ملكها تندار (كليتميستر وهيلين) ٠ وقد نجح أغاممنون بطرد ثييستوس وصار ملكاً على ميسين بينما اصبح أخوه ملكاً على اسبارطة وبعد أن هربت هيلين زوجة ميلاوس قاد أغاممنون الحملة الأغريقية على طروادة وكانت نقطة تجمع السفن ميناء أوليس حيث قتل اغاممنون أثناء الصيد وعلا يخص الآلهة أرتيميس فحمي غضبها وأسكتت الريح فلم يتمكن الاسطول من الاقلاع فأشار الكاهن كالشاس على أغاممنون بتضحية ابنته ايفيجينيا قرباناً لارضاء أرتيميس ٠ وأثناء حصار طروادة نشب نزاع بين أغاممنون وآخيل كان شؤماً على اليونان ٠ وبعد خراب طروادة وفي طريق العودة اغتاله زوجته كليتمنيستر وحبيبها ايجيست ثم انتقم ابنه اورست له ٠ وقد استوحى الروائي أسخيلوس قصة أغاممنون في ثلاثيته (اوريستي) ٠ وكان أغاممنون احد البارزين في الياذة هوميروس ٠

أغاممنون في الفن : « يصور أغاممنون بهيئة ملك ذي لحية كمــا في بعض الرسوم البارزة اليونانية في ساموتراس وعلى بعض الآنية الاغريقية يبدو أغاممنون وهو يقود السبية الحسناء بريزيس (باريس ٤٩٠ ق٠م) ٠ وعلى بعض الآنيــة الاغريقية في نابولي نجد رسوماً لأغاممنون أثناء تدمير طروادة وفي بعض الرسوم الجدارية في بومبي رسم لأغاممنون وهو يضحي ابنته ٠ ويشاهد منظر موت أغاممنون على جرار دفن أتروسكية ٠

□ آغاميــد :

هو ابن الملك أرجينوس البيوتي ٠ بنى مع أخيه تروفونيوس معبد ابولون في دلفي فتمنيا على الاله أن يحقق لهما خــير أمانيهما ٠ فكان أن أماتهمــا في المعبد

ذاته • وفي رواية أخرى أنهما بنيا للملك هيريوس بيت مال حصينا وصنعا فيه ممراً سرياً • وبواسطته سرقا كنوز الملك الا أن آغاميد وقع في فخ كان الملك قد نصبه فقطع أخوه رأسه وأخذه لئلا تعرف هويته •

□ آغانيب :

ابنة ملك الأنهار • كانت حورية تقيم في ينبوع كامن انبجس عندما ضرب الحصان بيجاس الأرض بحافره وكان ماؤه يلهم الشعراء •

□ أغديستيس :

مارد نصفه ذكر ونصفه أنثى من نسل زوس •

□ آغلوروس :

هي بنت سيكروس • لما دمرت مدينة أثينا في حروب طويلة ألقت بنفسها من فوق الاكروبول تحقيقاً لنبوءة زعمت أن المدينة لا تنجو الا بمثل هذه التضحية • وفي معبدها كان يقسم شباب أثينا الذاهبون الى الجندية يمين الاخلاص للوطن • وفي أسطورة أخرى أن الآلهة أثينا أودعت عند بنات سيكروبس الثلاث صندوقاً وحذرتهن من فتحه • وكان البطل إيريخته مخبأ في داخله ، وبدافع الفضول فتحت الأختان آغلور وهيرسيه الصندوق بالرغم من التحذير ولما وجدتا فيه الشاب أصابهما الجنون والقيتا بنفسيهما من فوق الأكروبول •

□ آفايـا :

هي آلهة اغريقية عبدت في جزيرة ايجين حيث بني لها معبد مشهور • وهي في الأصل من كريت •

□ أفروديت :

هي آلهة الجمال والشهوة والخصب عند الاغريق • وهي بنت زوس وديونيه• تروي الأساطير اليونانية أنها ولدت من زبد البحر (أفروس تعني باليونانية زبد

البحر) ويبدو أن أصل عبادتها شرقي لأن ثمة تقاربا بينها وبين عشتار . ولم تكن أفروديت آلهة للحب والجمال فحسب بل كانت آلهة الحياة الكونية وحامية البحارين . انتشرت عبادتها في الموانيء والجزر . وكانت قبرص المركز الرئيسي لعبادتها . ويروى انها خرجت من البحر الى هذه الجزيرة . وعبدت في أماكن أخرى مثل صقلية حيث بني لها معبد على جبل ايريكس . وكان الآلهة والرجال يخضعون لجمالها على السواء . وليس عجباً أن يعطيها باريس تفاحة الجمال التي خصصتها ايريس آلهة الفتنة لأجمل فتاة . وفي بعض الروايات انها كانت زوجة هيفايستوس. وتزعم رواية أخرى انها زوجة آريس اله الحرب ، وقد أسس أسطورة حب أدونيس لها من آسيا ، وكان انشيز أحد الفانين الذين نالوا الحظوة بها وولدت منه اينيه . وقد لعبت أفروديت دوراً هاماً في حروب طروادة وهي التي أعطت هلين الى باريس وأشعلت بالتالي الحرب الشهيرة التي ساعدت فيها الطرواديين وابنها اينيه بشكل خاص . وتعتبر الآهات المرح والحب والاحسان من حاشيتها . وكذلك ربات النظام الطبيعي والاجتماعي. وقد خصصوا لها من الطيور الحمائم ومن النبات الآس والرمان. وفيما بعد اتحدت بها فينوس ربة الربيع عند الرومان كما اتحد ابنها ايروس بكيوبيد.

أفروديت في الفن : « في عالم الآلهة الاغريقية تعد أفروديت من أكثر الموضوعات التي استأثرت بانتاج الفنانين . وكان الفنانون الاكثر قدما ـ ولا سيما على الخزف ـ يصورونها كاسية ما في الحقب الأخيرة وفي عهد الكلاسيكية فقد صورت عارية تماما أو عارية الصدر . وتوجد صورة لها على وعاء أيوني من القرن السادس ق.م محفوظة في ميونيخ تمثلها في أبهى حلة في مشهد تحكيم باريس . وفي بوسطن وعاء يعود الى بداية القرن الخامس ق.م وعليه صورة اختطاف هيلين . وعلى صحفة تنسب الى بيستوكسينوس ٤٩٠ ق.م تبدو أفروديت راكبة أوزة طائرة . ويذكر أن أبيل رسام الاسكندر الكبير صنع لها صورة أهداها الى معبد اسكالاقوس في جزيرة كوس تمثلها خارجة من الأمواج . وقد اختفت هذه الصورة بعد أن كانت سبب شهرة المعبد الذي احتواها .

أما في النحت فهناك أفروديت كنيد للمثال براكسيتيل (القرن الرابع ق.م) وللمثال فيدياس أعمال تمثلها كاسية . وهناك أفروديت اسكوباس التي تضاهي في الشهرة أفروديت كنيد . وقد اشتهرت في القرن الثالث ق.م أفروديت المستحمة للمثال ديد الساس ويوجد هذا التمثال في متحف اللوفر وهناك فينوس الكابيتول في روما وفينوس ميديتشي في متحف نابولي . ولعلهما نسختان عن تمثال هيلينستي وأخيراً يوجد تمثال شهير باسم فينوس دي ميلو (القرن الثاني ق.م) . وهناك كثير من التماثيل الآجرية لفينوس على غرار فينوس كنيد . وقد تناول موضوع فينوس ـ أفروديت فنانو العصور الوسطى مثل فرو ومابين الالمانيين فأظهروها بلباس فاخر واشتهر من رساميها في عصر النهضة بوتشيلي ورافائيل وكوريج وفي العصر الباروكي روبنز .

□ آفيرن :

اسم لمملكة بلوتون عند الرومان .

★ ★ ★

آراء في جورج لانز

لا يبرح « جورج لانز » منذ صدور ديوانه الأول « هنا ici » عام ١٩٢٠ ، الذي ضمنّه قصائد تغنّى فيها بمقاطعة الأردين ، يؤكد إرادتـه بأن يغدو ابن عصره الذي يعجّ بالآلية والسرعة ، معبّراً عنه في لغة موفّقة ·

معجم لاروس

بحث في الشعر الفرنسي لجان روسيلو

إن « جورج لانز » هو واحد من هؤلاء الكتّاب الذين امسوا شهوداً على العصر الحديث بوضوح قلّ مثيله · لي مولان

ضد الحرب ، ذاك بخاصة ما أعلنتـه « البيانات الشـعرية » التي نظم بعضها « جورج لانز » فطبّقت الآفاق ، والتي لا تني تثور على عجزنا عن كشف ما يعسر العثور عليه في العالم والناس · جان لوي فانهام

لقد شرح « جورج لانز » في سبع روايات لـه ، القلق الذي يساور الانسان المعاصر ··· فكانت بداية طيبة لشعره نوه فيه بذكر احساسنا «بصباح العالم الأول»·

جورج ماري ماثيجس

إن ما يروعنـا كذلك ، تلك اللهجـة « البروميثيوسية » التي عبّر فيهـا « جورج لانز » عن المدنيّة الحديثة ، مبشّراً بالمدنيّة المقبلة ، بكل ما فيـه من حيطة وحـذر · ج· لاكارس

إن أعظم هَمّ يساور « جورج لانز » هـو دراسـة العالم الحديث ، عبْر الطفولة ، والآلة ، والحرب التي لا تني نعلنها ··· تلك هـي المواضيع التي لم يخل منها اثر من آثـاره · دانييل ديبري

□●□

قصيدة

السلام الذي لا يُصدَّق

للشاعر البلجيكي : جورج لانسز
ترجمة : سعد صائب

Poème :

des « Je suis ... »

قصيدة :

ال « أنا ... »

أنا ،
أنا
لسورة الحرية
الحنون

□

أنا
للمعابد القوطية
مثلما أنا
للطائرات المسالمة ...

■

وبين الاثنين
يترجح قلبي
تبعاً للساعات
والفصول
وهما ابنان
من دم واحد .

□

أنا
للسلام
للعمال
للفلاحين
للنجوم
للغابات
للمدن
للبحار .
فماذا تبتغون مني

ـ أعيدوا عليّ ماتبتعوته !
ألا فلتهنأ
بالحياة
مع عصرها
ولتتعاطف
مع العالم •
أنا إذنْ ،
أنا ببساطة
من عصر
الحروب الكبرى
أنا من الدروب العريضة
من الآلات
من الكهرباء

وهي في منتهى شميّتها ...

□

بلى ،
إن ما قبل التاريخ ليبدأ
منتصفاً
ما كانَ جديراً به أن يسمي
حداثة غضّة
وبربريّة •
وإني لأشهد
لكل من يحيا
كما اشهد لنفسي
بيقظة حيّة
ولن يخالجني شك ،
في أني كنتُ على حقّ •

■■■

قصيدة :
« أقاربكَ ، أقاربكَ »
أو القـُربى الغريبة

Poème :
des « Tiens, Tiens »
ou de l'étrange parenté

أقاربكَ ، أقاربكَ ،
فلأكن في أحسن حال
عند شاطىء النهر العتيق ،

■

ولأكن في أحسن حال
وأنا أحلّق مصعّداً

وحـدي
في أعنان السماء

■

ولأكن في أحسن حال
آه !
لأكن في أحسن حال

وسط أثاث
وأوانٍ متخرفة
تبـدو
في شتّى الأرجاء
مرتقبةً اوبتي
مذعنةً لي
وكأن حبّها اياي قد ملّكَكَ قلبها :

□

الا إني لأبصر
من شمالي
مشـكاةً
تُبدي عظمتها
ويـدأ معتدكة
تُظهر قسوتها لصبّار فولاذيٍّ .

■

كما أبصر
من يميني
أيها الأصدقاء ،
ـ دعوني أزجره ! ـ
محرّكاً
يشبه كل الشبه
شكل جمجمتنا .

□

وإذ أفكّر في هذا المحرّك
تمروني هزّة
لأن
هذه التّربى البارمة
تمزج
سعادة جديدة
بشيء من خوف .

■

لذا أراني أطرح السؤال
عن كل شيء
حتى عن الحروب

■

دون أن أنسى
تبجيلي العميق
الريحَ
والأرضَ
والمـاءَ
والنـار .

□

وبدهي
تبجيلي كل شيء
لـه روح
حتى نُدْفة ثلج .

□■□

قصيدة :

القراءة الصحيحة
أو حول السرعة واللهو

Poème :

de la vraie lecture
ou de la vitesse et du jeu

السرعة
تُبْدِعنا ،

□

واللهــو
يُبْدِعنا
مادمنا ، بفضلهما
نحيا على نحو آخر ،
وكأنهما حرّرانا
من بعض سحر يستغلق على الفهم •

■

وحين نمعن التفكير فيهما
يتاح لنا الوقت
كيما ندخل
المدينــة
ونديم في الوجوه نظرنا ثانيةً
تلك الوجوه التي تحفّ بها
حجارة
بلّور
حلم
وآلات

□

بلى ، بلى ،
فنتحدّد في الوجوه نظرنا
ولنقرأها
ما أوتينا
لأن كل شيء كامن فيها •

□

أما نهجنا الذي ننتهجه في قراءتنا
فمن ميسوره أن يُفْضي بنا
الى أن نسوّغ
أعجوبة وجودنا •

■

وانه لعصر مؤزّر لنا
بخاصة
اذا كانت هذه العذوبة
تتمثّى فينــا
في اللحظة المؤاتية
السرعة واللهو ،
كما تعيد الثقة
الى شاعر
لايفتأ يراوده شيء من شرود
وَسَتط
أحاسيسه الداخلية
وغلوّه العادل •

Poème :

des nouveaux « ET SI ... »

قصيدة :

طرائف « ولو ان ... »

لو أن الملائكة
عاشت ،
ولو أنها تجلّت
حيالنا
على غرّة
كما تتجلّى السهام النارية
في آفاق السماء .

□

لو أن الناس
هبّوا من رقادهم
ذات يوم
فرأوا
شتيت آلاتهم
وقد سترها
جَسَدٌ حيٌّ ...

□

مُحال
أن لا يوجد دنيويٌّ
وأن تمسي الأعاجيب
أليفةً
أشدَّ ألفة
مما نبدعه
وهو نحن
تماماً .

□

أعلينا إذَنْ
أن نعيد القولَ
دوماً وأبداً ؟

□

لو أننا
كيما نبـدأ
راودنا الحلم هنيهة ،
ولو أننا أبدعنا
حضارة
باهرة السناء
ملوّنة
وصامتة ؟
ذات نوافذ مشرعة
وأبواب
لا أقفال لها .

□

الا إن مدن الغـد
كامنة فينا
وكأنها أجنّة
من بلّور واسمنت .

□

بيد أن
الوسواس ميظلّ مستحوذاً علينا
منذ أن تنبعث من الأرض
أوّلُ رائحة .

قصيدة : Poème :

الألف عـام
des mille ans

ـ ما الذي ستجنيه
خلال الف عام ؟
ـ مدنا عجيبة
أناسا شواذ
شعراء أغرابا .

□

ـ وبعد ألف عام ؟
ـ مدنا عجيبة
أناسا شواذ
شعراء أغرابا .

■

ـ وكذلك بعد ألف عام ؟
ـ ستظل نجني دوما
ـ مدنا عجيبة
أناسا شواذ
شعراء أغرابا .

□

أترى تمسي الغرابة
عندئذ
خالدة
بالقياس اليكم ؟

■

رويدكم ، رويدكم ،
أما ساوركم الشك قط
فيما تنزعون اليه ؟

□■□

قصيدة :
الحب
أو الشعر الشمولي

Poème :
de l'amour
ou de la poésie universelle

ــ أنـا ،
أحبّ الشيوخ •

■

ــ أنـا ،
أهوى الشباب

□

حَسَنٌ
هكذا
يتيح لنا عالمنا
تخوماً صحيحة •

■

ــ بيد أني
أبوح لكَ كما تبوح لي
بأني ،
أهوى الحديد
والنحاس
والرصاص
والقصدير

□

أهوى قسوة الأرض
المحروثة بأسرار عظيمة •

□

ــ أما الند ؟
لكأني بكَ لم تبح لي قطّ
بشيء عنه •

■

الا ليتكَ ترهف اليه
سمعكَ !

□

إن الند
درب ساحرة ،
انه خالد ،
تبدعه بصريات من قصائد
متلاحقة •

□

لأنه ، هو وحده ،
حتى هذه الساعة
لا يملك سوى حقيقته
وعليها في الواقع أن تمسي
عامة شاملة •
أأنتَ موافق ؟

□

ــ موافقٌ •

□■□

Poème :

d'une ultime fierté

قصيدة :

الزهو الأخير

وإذا
بالأرض
لا تعدو مدينة •

■

وعلى غيرةٍ
رأيتني وقد غلب على نفسي الزهو
اتفلل ممعناً
خلل الآلات
والحديد
والبلّور
والظِلام
كيما التقي
بنظرة طفل
تذكّرني
بالشجر
والعصور الممعنة في القِدَم •

□

هكــذا
يمزج
الشيءُ
العصــور
والســرعة
والأحاسيس •

□

فيا أيها الطفل ،
إني مزْجٍ إليكَ شكري !
إذ تهَبُ لي
هذا الزهو الأخير •

□

ــ فيم تقول :
زهو أخير :
ــ أني أقول .
زهونا الأخير ،
الكامن خلَل
الآلات
والحديد
والظِلام
والأزاهير
والأطفال ،
ولن يتيح لنا البتّة
الامعان في بحثنا
عن معرفة هذه الأرض
التي لا تعدو مدينة ذات اشعاع ،

■

بيد أنها ،
تصــون
في أعماقها
ذخيرةً لا تنضب

من الهـوام
والغابات
والأنهر الجديدة
كما ستمون ، بلا ريب ،
تلك القصائد

التي يجدر بنا
أن لا نغلو في البحث عن فهمها
وأن نكون يقظين
لأن الكلمات والأفكار
هي التي تكيّف مسلكنا •

■■■

قصيدة :
الثقب

Poème :
du Trou

يبـدو
أن ثمـة
ثقبـاً
في الفضاء
تتجمّع فيه
مئات الملايين من الشموس •
وانه ثقب عميق
كالغـد •

□

فراننا تمضي هاتفين به •
إلى أين ؟

□

لعلّ
هذا الثقب
يمسي

أقلّ شأناً
من فجر
فوق الأرض ،
من دخان
في السـهل

□

من غراب
يحلـّق
ملوّناً بالزرقة
وكأنه معدن ،
من أغنية ،
من تمثال ،
من موسيقا يعزفها انسان ،
من درّاجة

مسبيّة
متكّئة على جدار من الاسمنت صغير .

لعلّه أقلّ شأناً
من عجلة متقنة الصنع
تدور
من أجلنا
كمهدهدة عذبة
وإنه ليحيا
أفضل مما يحيا قلب .

قصيدة :
الفكرة المجنونة

Poème :
de la pensée folle

والعودة الصّارمة :
إني ساع
الى أن أعي
كذلك

أأظلّ أعي ؟
ما الذي أعيه ؟
فلأضرب مثلاً .
هلام
لا يظلّ
الانسان
والشجرة
ناميين أبداً ؟..
وفيم يتوقّفان عن نموّهما
ـ وما الدلالة
التي أعمدا فيها بالنموّ ؟

حقاً
إنها لفكرة مجنونة
بيد أن عليها
الفينة حدّ الفينة
ألا تدوم
إلا لكي تنقذ
المظاهر .

ألا إن الافكار المجنونة
ليست البتّة
هي التي تراود أذهان
هذا الضرب من الناس
الذي يفسد عالمنا
المكتظّ
في سجونه .

ها نحن
إذن

أسياد الحركات والمياه •

□

بيد أن عليكم أن تفسّروا لي

المـاء ،

عليكم ، أن تفسّروا

الحركة

ما دام ليس في ميسور الزمن

أن يُنسي

سوى السكون الأسمى •

□■□

قصيدة :

العِلْم

Poeme :

de la science

فلنعد القول •

ـ هيّا نسرع الخُطى •

إن الغـد

هو الابداع نفسه •

■

ثمـة ،

الأسرار كافـة

تترقّب منّا

صابرة كل الصبر

ذاهلة كل الذهول

أن نهب لها

اسما

وقدَراً •

ذلك

هو العِلْم •

□

ـ أوَ تقولون

ان ليس ثمة انسان

لا يساوره الدهش ؟

□

ـ ولكن كلاّ ،

لا انسان •

□

الا إن كل مرءٍ حقيّ

بكلامه ومنطقه •

□■□

قصيدة :

اللّذة الخارقة

Poème :

du plaisir extraordinaire

ـ يقول الانسان ،
أما أنا ،
فسعيد ،
غاية السعادة
إذ أحس أني أمسي
رويداً رويدا
أصمّ ،
أعمى ...

□

وعلى غيرة ،

أرهفتُ اليه سمعي ،
وردّدتُ فيه نظري .

■

الحقّ أقول ،
لعلّه كان مصيباً
ولا سيما انه كان حلواً
من تهج للسعادة
دقيق
تهج لن يتاح له لبتّة
في هذه الأزمان المحتدمة
أزمان الكهرباء والآلة .

■ ■ ■

قصيدة :

الليـل

أو التفاؤل العظيم

Poème :

de la nuit

ou du grand optimisme

كل الليالي
هانئـة ،

■

ـ حتى هذه الليلة التي تشتمل هيناء
هذه الليلة الاطول ؟

□

ـ طبعاً
هذه الليلة بخاصة .

□

أمضوا قدُماً
حتى عمق الأشياء
لتروا

أن ليس ثمة ممكن
لا يلتقي ما يغايره •

□

تـرى الى أي شيء
يُفضي ذلك ؟

□

ألا فلنمد إذ نْ
الى ليلنا القصير
الذي العناء ،
وانه لليل حالك ،
ليل غراب ،
ليل فحم حجريّ ،
ليل بوم ،

انه ليل يطفيء المحرّكات
الواحدة تلو الأخرى
مفضّلاً عليها
المصابيح
التي تحكي أطفالاً فوجئوا على غرّة

■

وبعد ؟
عليكم أن تطرحوا سؤالكم
على القادرين على التفكير
في الأراضي
في الأهداب
المطبقة
دون ركام
من الظلمات الحنون •

■■■

قصيدة :

بطوليـة

Poème :

héroïque

إني لأصدح
بقصائدي
جهير الصوت
بكل ما أملك
من شجاعة ،

□

هنـمـة ،

في زاوية من زوايا الكون
أعني
في هذه المدينة
التي تـُبْتـكَـر فيها
ضروب الآلات

■

آلة سمع ذائعة الصيت
وسناء بهيّ •

قصيدة :
الاتقان الطارىء

Poème :
de la perfection imprévu

احتلّت
على ميرّة
ذؤابة من شعرك الفاحم
مكانها فوق
جبينك الوضّاء
وكأنها اتقان مُهان

□

رثمة
الى جوارها
محرّك
تسعث منه تمتمة
جديدة غاية الجدّة
كأن لم يُخلق
أجمل منها
فوق ظهر البسيطة

□

لا ريب ،
في أن الاتقان
عام شامل
ما دام يتجلّى
الميتة حدّ الفينة

في أرجاء
متباينة كل التباين
وضمن أشكال طارئة •

□

ـ فيا أصدقائي
انها لحقيقة
جديرة بأن تعرفوها دوماً •

□

عبث
تكمن متوارية ،
لأن الاتقان
يبرز
دوماً
وكأنه قصيدة •

□

هلموا !
إنه هناك
وإن لم تدركوه •
ـ بلى ،
وإني لأراه •

قصيدة :

الحقيقة اليوميّة

Poème :

de la vérité quotidienne

ــ هو ذاك ،
إني لسمح
إذ أقول
إن الحيـاة
ثـورة
تنطـوي
على ذاتهـا

□

تتغيّر
ولا تتغيّر .

□

تتقدّم
ولا تتقدّم

□

وإنها بخاصة
تمضي
ولا تفنى البتّة .

□

إني لألوذ بصمتي
على الرغم من أن
لديّ الكثير مما أقوله لكم
عن هذه الأمور .

□

ما الذي يعنيه
كل هذا الهذيان ؟
هذه الثورة ،
هذا التغيّر ،
هذا التقدّم ،
هذا الفناء
الذي يطل دوماً ؟

□

أتـرى سيسمو
الشيء
إلى رؤوسكم ؟

□

ــ كلا ، كلا ،
فتلك هي
صغرى حقائقي اليوميّة ،
ولكن ما ضرّني ،
حسبي أن أنصح لكم
بأن تفكّروا
من آن إلى آن
في تعويذتي الحنون

التي أسعى ـ وقد داخلتني رقة عليكم ـ
الى أن أعلمكم اياها .

□

وبعـد ،
عـلام
لا نتيح للشعر المتسكع
أن يؤدي دوره
حين يحلو لنا أداؤه ؟

□■□

قصيدة .
منذرة

Poème :
prémonitoire

نحن
علال عام ٢٢٧٣
في صميم
عصرنا .

□

السماء زرقاء
في أحلى زرقتها .

□

قال أحدهم
للطفل ،
هلم
نأخذ سيمتنا
الى متحف
السلالات البائدة

□

فسأريك
مومياء قائد
في بزة مهرجان ،
ومومياء رجل أعمال
في ثوب سهرة ،
تقيمان وسط
أشياء عجيبة
بحيث لا ندري ماذا نصنع بهما ...

□

أيهـا الطفل ،
حـذار
أن تطرح سؤالك
عما آلت اليه
المدائن العسكرية الرحبة
ومعامل
هاتيك العصور

□

التـي
يحرم فيها
على الناس

أن يفكّروا .

□

والتي لم يتبقّ منها
أية ذرّة هيام .

□

ترى ، ما انتقامهم
آنذاك
بكل ماجئوه ؟

قصائد
لاتني
تتالى علينا
كأنها البحر ،
وستنسي
غيب ستة أشهر
في عام ٣٢٧٤

□■□

قصيدة :
بلا جواب

Poème :
sans réponse

لقد التمسنا
من ملاحي الكون
في شتى الارجاء
أن يحسنوا نيّاتهم بوحدتهم
كيما يحملوا لنا
ما وسعهم
وجوها طافحة بالبِشْر
وعلوما مجهولة
أو
قصائد جديدة .

□

« وبقد قلنا لهم :
لكم الشكر الجزيل ! »

فهذه السعادة الغريبة
لم توهب لنا قطّ
حتى اليوم .

□

وإذ يعوزنا الوقت
للترقّب
ترانا نعود
لتوّنا
الى التحرّي
عمّا تبقّى لنا
من الأرض
والأنهار
والغابات

والمدن
والأطفال الأبرياء
والظل الطبيعي
والضياء ...

□

ألا إننا ستستعين بكم ،
ومن المؤكد
اننا سنلم بكم
لو أن القلب ناجاكم ،
إذ ،
اننا لا نشتهي البتة
ان نؤخذ على غرة .

□

ألا إن الشعراء
لصابرون
وصدقوني ،
انهم في منتهى السماحة .

□

نذيبكم عن
أنهم ليسوا متواجدين البتة
في نظام شمسي
دون .

□

وانهم مهما غدوا في ابتعاد
فلن يفقدوا
صداقة
أوراق
ومعادن .

□■□

قصيدة :
للمعرفة الجيدة

Poème :
pour bien savoir

لدينا
جميعاً
صرف من حقيقة .

□

فتراانا نبدع
لأن
دون أن نعي جيداً
علام نبدعه ،
ونمضي نشيد مدناً
ونحلم أحلاماً
ونبتكر رقصات
ونحطم أغنيات ...

□

دعوا ، هيهة ،

كل ذلك
وتعالوا مسرعي الخطى
تعالوا مسرعي الخطى
وانظروا
الى جواد
يجوز الحقول ،
انه لمشهد
بين مطلع الفجر
ومغرب الشمس
نادر المثال ،
لا ينتسى

□

وإن شئتم
أن تسرّوا عني ،
بدوركم
إذ أني طلعة ،
في أن أعرف
ولأي شدّ ما الوب لهفان
باحثة
عن نظام عام ،

□

فرجائي اليكم ،
أن تقصّوا عليّ
في يسر
قصة حياتكم .

□

ـ حسَنٌ ، هاكم ،
اني أبـدأ ،
فالقوا بسمعكم الي .
« أنا عامل
ولدي يدان ضخمتان ... »

□■□

قصيدة :

نصائح

أو ضرب من الخلود

Poème :

des conseils

ou d'une sorte d'éternité

يتساءل الشعراء
عن كل شيء ،
عن عظائم الامور
من صغائرها
باذلين جهدهم
في معرفة

سـرّ العالم .

□

اتراهم يتساءلون
عن السرّ
أم عن الجمال ؟

■

حسبهما انهما الوجه نفسه ،
تمامـاً .

□

وتلك لعمري لذّة
لها مزية أختها
وكلتاهما تصنع
صبر زهرة .

□

الا ستدمنوا النظر
الى أوراق الخريف
التي تتساقط
مترجّحة
في أخاديد
المدن الحديثة

□

الا ستفكّروا
في أن آلات
ستُصنَع
فوق سطح الأرض
حتى نهاية العصور ،

وإن نحن شئناها
فستظلّ
ذات يـوم
حيّة كلّها
ولن تحتاج البتّة
الى الحلم بها .

□

تلك هي
السعادة المضحكة
التي تبدعونتا بها !.

■

لا ريب ،
لا ريب ،
لا ريب ،
في أن هذا الأمر قد حداني
الى أن أرجي اليكم نصحي
بأن لا تؤخذوا على غـرّة .

■

ألا إن كل شاعر
يعرف حقّ المعرفة
أن في أعمق أعماق
نبوءتـه
تظلّ صور يومه
هي الأفصح والأبلغ .

■

وان آفاقــه
لتلتفّ
حولــه
وكأنها حبال مسحورة .

■

رويدكم ، رويدكم
إن لديّ انطباعاً
انكم تتحدّثون
وكأنكم لن تحيوا
أمداً مديدا !

■

يالها من ملاحظة تبغتكم ،
أترى في ميسوركم
أن تفكّروا فيّ
على نحو لم تألفوه ؟

■

الا إن الشعراء
لن يموتوا البتّة
وان سنّتهم
لا تمتّ الى قصول .

□

ومن نحو آخر ،
فلعل الموت
ليس ســوى
تصوّر ساذج
لميلاد الكون .

□■□

قصيدة :
الشيخ الهرم

Poème :
du vieillard

يساورني اليوم
احساس ،
بأني شردت
في كهف
شَعْريّ الأشهب .
وانه لانطباع
نادر المثال :

□

وهو واحد من الانطباعات الجمّة
الذي أضيفه
الى شتيت تلك الانطباعات
التي تفتن اللبّ وتملك القلب في عذوبة
هنــا ،
فوق الثرى .

□

□■□

قصيدة

المحيّا

أو الغسيل العظيم

Poème :

du visage

ou de la grande lessive

ـ إن الزهو ليغلب على نفسي ،
وإني لأستشعر الغبطة
إذ أدعكم سعداء هانئين ،

□

ـ ألستم إذنْ
أهلاً لهذه السعادة ؟

□

ـ ياله من سؤال !
أوَلم تلحظوه قطّ
مرتسماً على محيّاي ؟

□

ـ تُرى ماذا ترغبون
أن تصنعوا بدوركم ؟

□

ـ قليل من اللهو
وسأروي
لمدبّرة شؤون البيت
ساعياً الى
أن أشرح لها
ما يساورني من تفكير
في الكون .

□

ـ عندها ؟
ـ عندها ؟
لعل الحلم سيراودها

فتنشر غسيلها
في مرج رحب مشمس
ثم تمضي
من نجم الى نجم ...

□

لا تدهشوا ،
إذ ليس للشعر
إيمان
ولا قانون
ولا حدود ،

□

وثمـة ،
كذلك ،
في هذا الزمن
بعض مدبّرات بيوت
ساذجات
كماء الصخرة

□

وأناس
وسط معامل ،
يؤمنون
بفضائل الجبال
وهم على أهبة
لأن يرووا للماء صاخبين ،
متمادين في صخبهم .

Poème :

des vitesses relatives

قصيدة :

السرعات النسبيّة

ـ أنــا ،
أدوى آلة
تسير
وئيدة لحظي

□

متقنعة الصنّع ،
توشك أن تتأنسن .

□

ـ أنـا ،
هوى آلــة
تســير
حثيثة الخطى

□

متجاوزة
لاتقان الاسناني .

□

ـ أنتَ مُحيقٌ
فكتاهما :
لسرعة
والتؤدة ،

شهوة الكون

□

وانهما لتتماثلان
وتمتزجان
فيـــه ،
وهما موجوتان
في ادنى فكرة
واقلّ مادة .

□

وانهما لتتصرّفن
حتـى
في القصيدة
حيث تحبو
الصــور
أو ترمض
في سحر البلّور
والحجارة .

□

هلاّ فهمتم ؟

□

كــلا .

قصيدة :

العجينـة

Poème :

de la pâte

أيـاد
تقطـر
أيامـاً
وليالي .

□

تعجن
عجينـة ،
كواكب حبرى
حيـة
أزاهـير ،
دوراً ،
آلات ،
أحداثاً
وأشياء أرضية
متماثلة كل التماثل .

■

ألا إن هذه العجينة
التي يستعملها الزمن
وكأنها خميرة
لتأخذ في نفسها
شـكلها
ولونها .

□

وطبعي
أن تأخذ حماسة مصيرها .

□

إن لها صداقة شاطئ ،
ولكن يبدو
أن بعضهم
يلقي بسمه الى غنائها ...

■

بيد أن هؤلاء
قلـة .

■

ــ ألا أرووا لنا ما طاب لكم
فإن ما ترونه
لم يعد كافياً .

□

ــ حَسَنٌ .
إني مبادر الى أن أعطي لكم
لغزاً
وسأضيف
كيما أعينكم ،
أن هذه العجينة
ليست إلا اسماً بالغ الصغر ...

■

ألا فلتبحثوا !

يجدر بكم إذَن" أن تبحثوا !

□

شريطة أن تعلموا تمام العلم

أن ما يهمنا

ليس دوماً

ما نعثر عليه .

□■□

قصيدة :
النـداء
وانـا

Poème :
de l'appel
et de moi

الشاعر مُغرَى"
بسر" العالم
لتراه لا يفتأ
يلوب باحثاً عنه ،

□

وما هو ذا اليوم
يمد" النظر
الى رأس عامل
حتى لتوشك قصبتُه
أن تبتسم له .

□

تستحوذ عليه
كزهرة بليغة الأثر
عند طرف ساقها الأزرق .

□

ترى ، ظلام
يرتدي العمل
هنـا
رداء" أزرق ؟

□

ألا إن الكون
في هذه الهنيهة
ليدعو الشاعر .

□

انه ليدعوه
من شتى الارجاء .
أما هو
لضائع
مستبعد ...

□

ألا رحّبوا بالشعراء !
رحّبوا بهم !

□

إن ترحيبكم ليحكي
برقاً لا يُقْهَر ،
يحكي حواراً ·
ولئن تمادى البرق والحوار
فمن المؤكّد انهما سيقيمان
حول الشاعر
كل صروب الامان
ويتيحان لـه

الهيهات الغريبة ·

□

لِم لا ؟
إن الشِعْر
طيف اشعاع
أما أنا
فمزيج بسيط
أجيدُ تقديره
بـزمن
بسـلام
بمضاء
بكهرباء ·

■■■

قصيدة :
الاعجـاب

Poème :
de l'admiration

ـ اني لمعجب
بالشجرة
التي أحْسَنَت رسمَ
شكل أوراقها ،

□

معجب بالساق
التي ابدعت
حدّ أشواكها ،

□

معجب بالعجلة
التي الِفَت أن تمسي
أكثر ليونة
وأشدّ وميضا ،

□

معجب بعينيكِ
الاشدّ سُمْرة ،

□

معجب بهذه الغمامة

ذات الرأس البشري
الأشدّ شرودا ·

□

معجب بزَبَده
مراوح سفينتي
وسط الغيشمّ ،

□

معجب بالشمس
التي تبدو ،
مع ذلك ،
وكأن مهارتها
ادنى من المهارة
التي تؤدّيها يدي ·

■

— نعمي
انك معجب
بكل شيء ·

□

— حقاً
اني لأوشك أن أعجب بكل شيء ·

□

مَن يدري
لعلّ فجراً سيطلع
على عالم
لن يتيح لنا الخَيار
إذ سيغدو مفعماً
بالكآبة الحقّة ·

■■■

قصيدة
العِلْم
والابداع
واللهـو

Poème :
de la science
de l'invention
et de l'amusement

— هو ذاك ،
انكم تقدّمون لنا
كل شيء تسوده الفوضى ·

□

لقد خططتم حولنا
كل ضروب الحدود
فصنعتم مياهاً
وعلوماً
وهو حس
دفعنا الى التفكير

في أُسَرٍ غريبة
من ملائكة
وشياطين •

□

وستمّحي
آلات الأمس
ما وسعها
كيما تحذو حذوكم •

■

ولم يتبقَّ لنا
إلا كلمات بالية
تنفسح بها
عن هذه الأشياء الحديثة •

■

وإذ أن
حاجتنا الى الابداع
لا تكاد تنقطع
فقد عدتُ الى مناجاة نفسي

■

ترى أين سيفضي بنا
كل ذلك •

■

أياً كان الامس ،
فاني أرجو
لأناس هذه الملايين
أن يمعنوا في لهوهم •

□

— هلاّ قلتم شيئاً ؟
— بلى ،
إن الحياة جميلة •

□■□

قصيدة :
الدهش العظيم

Poème :
du grand étonnement

الدم أحمر
الورقة خضراء
السماء زرقاء
الولد يشدو
البيت
تغمره الشمس

□

القمح ذهبيّ
الذهب ذَهَبٌ
الطائرة تترقّبني

الزهرة تفغم الجوّ باريجها
القصيدة جميلة
الارض تدور

□

العجَلة مدوّرة
البحر مُضنني
ويدك دافئة
ونحن نبصر
نجومـاً ،
أطياراً ،
كلاباً ،
حجارة ،
سمكاً ،
ضفادع ،
مذياعاً صغيراً
يتحدّث
وحـده

وكأنه حيّ

□

اننا لنستشف
القـد
أحياناً
فتبقيه
وقد ساورته رعشة •

■

لكَم يبدو العالم
مذهلاً !

■

ألا إن آلات تنمو •
وان انفجارات
تتناهى الى أسماعنا ،

■

واني لأفتح جُمْع كفّيّ
أوه !
فأبدع أنامل !•

■■■

قصيدة :
جورج
او « إني أبصر ••• »

Poème :
de Georges
ou des « Je vois ... »

ـ من خلال النافذة المشرعة ،
أبصر

كل شيء وقد غمرته الشمس ،
أبصر

لبلابةً
ومِدَقّةَ
اتّحدتا أيّما اتحاد
بحياتنا المعاصرة ٠

□

لكَ شكري
أيها الضياء ٠

□

لكِ شكري
أيتها اللبلابة
أنتِ يانبتتي الارجوانية
ونبتتي النهارية !
لكَ شكري
على صداقتكَ
يا برج الاسلاك الكهربائية
في شكلكَ
وضيائكَ ٠

□

إني لأبصر
ولـداً
يخبّىء لي ،
هنيهةً
النبتةَ
وإسمنتها المفرَّغ

□

أبصـر
جانبـاً
من مظهر ثلاثة رجال
يحملوننا
على خـرَقٍ
على درف دموعنا
وهم راضون

□

لكِ شكري
يادموعَ الجَمال ٠

■

ألا إنكَ يا جورج
لتهرم ٠

□

أجـل ،
إني لأهرم
بعذوبة
هنيهة إثر هنيهة !٠

□■□

قصيدة :
الحرب الجديدة
و « ربّاه ! »

Poème :
de la nouvelle guerre
et du « Mon dieu ! »

مختبر
هنا ،
مختبر
هناك .
نتحت فيهما
صابرين
وجه
الحرب الجديدة .

□

مشماع
هنا
مشماع
هناك .

□

بيد أنه الجحيم !
ربّاه !
ربّاه !
ماذا نصنع ؟

□

ـ لا تقل .
« ربّاه » ؟
فلعلّه

قد لها
مع ناره
فلم يحشر قطّ على ذاته
في لهبه
في كيميائه
في لوالبه
وجبْره ؟

□

فيا فقراءنا
إنكم لتعلمون
أن من العبث
أن نتمادى في الحادنا .

□

وبعد .
اذا لم يكن ثمة ماهو أفضل
فعلينا أن نجزم
مثلاً
« بأن الشيطان
يخرج
من أفواه الأطفال » .

□

هانحن
مطمئنّون غية لاطمئنان
في عالم
منظّم غاية التنظيم
حيث يبلغ
تتابع الاحداث
حدّ المنطق والاعجوبة
على نحو لن يتاح لنا فيه
التفكير ، قلّ أو كثُر

ردحاً من الزمن
بالقنابل الجبّارة .

□

إني لأسائل نفسي
عمّا اذا كان وعي ضميرنا
سيدرك ذات يوم
أعباء تلك القنابل
وجبروتها .

□■□

قصيدة :
الابناء الجُدُد
والحقيقة اللا مجدية
والخطر الذي لا بدّ منه

Poème :
des enfants nouveaux
de la vérité inutile
et du danger nécessaire

مَن منّا لا يعلم
أن كل حكمة
بريئة ؟

□

الا إن أبناء هذا العصر
قد ولدوا
من الماء
والنفط ،

□

ولدوا في دورٍ رحبة
تعجّ بالغضب .

□

وانهم من عِرقٍ غنيّ
بيد أنه عابر ...

□

لا ريب
لا ريب
في انكم لن تعلّموني شيئاً .

إن السعادة والشقاء
هما وحدهما
اللذان لا يطيقان
أيّ تحوّل
لأن لهما قِوى راسخة ٠

□

وأياً كان الأمر
فحين يُستفر الكون قليلاً
فان أسراراً أخرى
تأخذ لتوّها جانباً معيّناً
خلال خفاياها ٠

□

لكنّم قلنا
إن كل حقيقة
لا تجدي ،

□

وإن البحث
قد نابــه أسى
إذ يتشبّث بفراغ لامتناه
كما يتشبّث سمك سليمان
بمصبّات أنهار ملوّثة ٠

□

لكنّم قلنا
إن السر
مجدٍ ٠

□

ــ وبعد ،

ألا ليتكم تعلمون !

□

ولكي أثيبكم
أضيف
اننا دون جهالة
ودون سرّ
ودون ليل
لن يُتاح لنا
الشيعْر
ولن تتيسّر لنا
السعادة
حتى ليمسي في مقدور
انعدام المغامرات
وانتفاء الاخطار
أن يثيرا آلامنا ٠

□

تلك هي حياتنا
التي نحياها اليوم
في عالمنا الصغير ،
عالمنا الشادّ
الذي لمّا ينته ٠٠٠

□

أيها الابناء
أيّتها الكواكب
أيّتها الآلات
لأنتِ خالدة ١٠

□■□

قصيدة

الضاحية الحزينة
أو النصح الأخير

Poème :

du faubourg triste
ou du dernier conseil

أهبط
الى الضحية
التي تلتثم
عنقي
كما تلتثم مقصات باردة ٠

□

هنا ، وهناك ،
ثمة بعض مصابيح
مشوهة
ولن يخالجني شك في أنها
بعض هسمس صميرة
كأنها بقية من حياة

□

بلى ٠ بلى ٠
ومن قليل من هذه الهمة المستشاة
تمجم
آلات مألوفة
حلل البتور
والفولاذ
والحجارة ٠

□

لقد أثرت الحروب
في الضاحية
مرات لا عداد لها

■

وها هي ذي
حيرى
صابرة
رحبة
متكئة على سقوفها ٠

□

حتى لكأننا نبصر
فوق حجارة منقوشة
مخابيء مديدة
لأسماء موتى :
وتلك قصيدته أنشودة الذهبية ٠

■

بلى ،
إنه لعصر جنئذ
عصر مدن محترقة
عصر أناس فقراء ،
عصر فراش
عصر فولاذ معبود
وأنظمة مرقمة ٠

ألا إن الحرب التي هرمت
حيرى
متكئة
صابرة ،
أتراها تنشب ثانية ؟
رويدكم !
إن شيئاً لم يفتقد :
فثمة طفل يعدو
من رصيف الى رصيف .

□

وبعد ؟
انه فلذة من سعادة
توشك
أن تتوارى .

□

وكمثل ايماءة
فان الابناء كافة
عابرون
مهيأوون
للمثول بينكم
متزاحمين
لاتدين بالناس البواسل .
هيا للقضية !

■

أيها الابناء ، طاب صباحكم !
إني محاول

ألا أزج بكم
في أتون الحرب !
لأن الحقيقة
تتساب
فوق محياكم
وكأنها انعكاسات نور حية .

■

وتلك ولا ريب
بارقة أمل
حتى
لو أن الحزن الذي يعتري الضاحية
قلما يتسجم معها ،

■

وإخال
اننا لو أردناها
منذ اليوم حتى الغد
مع الشعر
الذي هو في الواقع
حلة العالم ،
لما أعيانا الامر ...

■

ما الشيء الذي لا يعيينا أمره ؟

□

انكم لتدركونه
أكثر مني ،
وإني تارك لكم ،

مرّةً أخرى ،
الاهتمام واللذة
اللتين تختمون بهما الافتتاحية
وتبدءونهما
كذلك ،
دون أن تعتريكم
ثورة عذبة .

■

فيا أيها الأصدقاء الأعزاء
ألا ترون
أن الشيءَ
كما يتناهى إلى سمعي
ليس إلاّ
حضوراً رحبا

□

وحين يرتفع
حُجُب النهار
وحُجُب الليل
ألا نفاجأ جميعاً
برؤية
ما يحفُّ بنا
من نظرة
وضياء
وشيء بسيط
أتقِنَ صنعُه
إنما يحمل لنا الفألَ .

دوماً وأبداً .

■

امضوا إذَنْ
امضوا مفسّرين لي ،
علام نحن مدعوون
لأن نقول لكم :
« إني أهواكم كلكم » ،
ولكن ماذا تراني أصنع
كيما آخذ بيدكم ؟

■

ماذا تراني أصنع
كيما أفسّر لكم تفسيراً وافياً
دموعكم
والدوائر المزرقّة التي تحفُّ بعيونكم
وآلامكم
وموسيقاكم
ورقصاتكم
وابتساماتكم ؟

□

ماذا تراني أصنع
كيما يمسي لكل فرد فيكم
وطن صغير جميل
غاية في الجمال
وغاية في الدفء
وغاية في الانسانية ؟ »

□

ألا فلنأمل
في يوم يجيء ،
يرفرف فيه
علم السلام الأكبر
فـوق
الضواحي كافة
تلك الضواحي التي لن ندين فيها
إلا لمعامل
أدق وأرهف ،
وإلا لساحة
أجن وأوضح !

□

وستمسي مجهدين
إن نحن أمنّا بهذا اليوم
ستضجّ بالصُراخ
من سعادتنا فيه !

□

منذ ذاك ،
ستدعه يحيا ...

□

ثمة نصح أخير أزجيه إليكم :
« شعروا أنفسكم جيداً
في معنى
دوران الأرض نفسه .

□

على ضوء هذا الوضع نخلد إلى النوم
وقد استحوذت علينا الغبطة
بالكون . »

□□□

قصيدة :
التركيب
أو الثِقل المقدّس

Poème :
de la synthèse
ou du lest sacré

لقد آن أوان
الاقناع .

□

ها أنذا احلّق اليوم
بطائرتي المعجزة
في سماء أوروبا
فيقع نظري
على جبال الألب

وهي بيضاء ناصعة
كأنها اقمطة .

■

ومن ثمّ ،
أرجي ايماءة صداقة
الى البارثينون(١)
الذي ظلّ تحت طائرتي
ممتداً في مداه
أمداً مديداً
وكأنه ثِقَلٌ مقدّس .

□

ورويدا رويدا
اراني محوّماً في سماء باريس
مصعب تحويمة
مرخياً العنان
لطائرة
التي لم تكن قطُّ
تشبه الكون
في تمام أبّهتها .

□

ثم احوّم
ميمّماً بطائرتي
شطر المدن الحديدة
محيلاً نظري
بعظمـــة
كيما أبصر بجلاء
غمامةً ،
دوني ،
جميلةً
جمال سلام لا يصدّق .

■

أنا موقن
بأن العلم
سيظل
في هذه الهنيهة
فتيّاً أبدا .

□

إذَنْ ،
لن يُدْرِك .
لحسن الطالع .

---

(١) PARTHENON معبد الالهة اثينا على الاكروبول في اثينا ... ريسه بالتماثيل والنقوش النحات الاغريقي فيدياس (القرن الخامس ق.م) .

من القصص الفيتنامي

ترجمة : عبد المعين الملوحي

بوي دين با

حارس المنارة

رسا مركبنا على بعد حوالي كيلو مترين من منارة (هوا لانغ) • وعرض علي العامل على الآلات (وونغ تانات) وهو صبي ـ فييتنامي أن نزور حارس المنارة الذي يسميه السيد (ستة) والذي كان صديقاً لوالده •

ووافق الربان ، وأخذنا زورقاً ، انتزع محركه منه ، ومضينا الى المنارة ، نسير بالمجاديف •

وساعدتنا الريح والموج ، وسرعان ما اقتربنا من غايتنا • كانت منارة (هوا لانغ) التي تهدي المراكب في مدخل المضيق ، مؤلفة من بيت صغير من الخشب مدهون باللون الرمادي ويقوم على أربعة أعمدة من (الاسمنت) فوق صخرة يلتصق بها برج للمشاعل يبلغ ارتفاعه ضعفي ارتفاع البيت •

إذا نظرت الى هذا البيت ـ المنارة من عرض البحر بدا لك أنه الصورة الكاملة للوحدة والعزلة •

الحق أن له في الجهة اليسرى أصحاباً يؤانسونه من أشجار الجوز الجبلية ، وأن له من ناحية خليج (الونغ) بضع جزيرات تنتصب فتخفف من عزلته . أما ما بعد ذلك فليس إلا عرض البحر . وتظهر الصخرة التي تقوم عليها المنارة ، وقد كساها الطحلب وتعفنت ، وكأنها غارقة في زبد الأمواج الصاخبة . والبيت الذي تغطيه الصفائح تنفث مدفأته المصنوعة من التنك خيطاً من الدخان .

هانحن أولئك نصل ، ولمست مؤخرة زورقنا صخرة هناك ... وهجم علينا كلب أسود ، وكأن نباحه ، في هذه اللوحة البحرية ، يبدو مقبولاً . وظهر من باب البيت رأس ، نصفه أصلع ، ونصفه ذو شعر أبيض ، وتطلع إلينا صاحبهمحدقاً فينا . ولم يلبث أن صاح :

ــ آه ... أهذا أنت يا (فونغ) ؟ ظننتك ــ ثم أمسك فلم يتابع ــ إذن فاربطوا الزورق أولاً ... أليس لديكم سلسلة ... خذوا ...

وأرفانا زورقنا ثم صعدنا الدرج ... ولم يكف الرجل عن تهنئة رفيقي على صحته وهندامه ، وهو يقودنا الى بيته الصغير فدخلنا واحداً بعد واحد . كان أثاثه فقيراً ، ولكن الذي أدهشني أنني وجدت بعض الكتب على منضدة هناك ، ووجدت عدداً من الصور معلقة ، منها صورة للعم (هو) ، وبعض زعماء الثورة الى جانب صورة كبيرة تمثل ثلاثة قادة في رتبة لواء ، جمالهم رائع : في وسطهم لواء يحمل سيفاً ويمتطي صهوة حصان أشقر ، ويمتطي الثاني حصاناً أبيض ، والثالث حصاناً كميتاً ، وسلاحهما حربة وسيف عريض الصفحة .

وقد أوقف الرجال خيولهم على شاطىء نهر تهز الريح قصبه هزة ناعمة .

وكأن اهتمامي بالصورة أرضى صاحب البيت فقال لي : ونحن نجلس على طرف سرير عسكري :

ــ وأنت أيضاً من بحارة المركب رقم ١٢ .

وأجاب (فونغ) عني :

ــ انه جديد ...

ــ صحيح فأنا أعرف كل بحارته ...

قدم (فونغ) للسيد (ستة) علبة من المحار المجفف ، ففتحها أمامنا وقال :

ـ أنت تدللني كثيراً يا ولدي ... هذا يكفيني شهرين ...

وجعل السيد (ستة) يدور حول الفرن القائم في زاوية الغرفة ، وبعد قليل امتلأ الجو برائحة المحار المسلوق . وجاء بجرة من الفخار وقال : « هذه الخمر أهدانيها ابن عمي » وجاء بصحن من المخلل وهو يعد الطعام . وقال : وهذه هدية ابنتي التي تبنيتها . »

ثم استأنف .

ـ الوحدة قاتلة ـ كما تعلم ـ ولكن لي ، لحسن حظي ، بنتي الصغيرة . تزورني كل يومين في زورقها . وربما شغلتها شؤون الزراعة أو اجتماعات الشبيبة فتبقى غائبة أربعة أيام أو خمسة . الحياة تنبثق شديدة الحرارة في القرية ، والفلاحون يؤسسون مزارع تعاونية . وأنا هنا دائماً وحيد ، أقضي حياتي في نسج الشباك ، وفي قراءة الحكايا القديمة وإعادة قراءتها . ويمكن أن أسمع ، علاوة على زمجرة الأمواج ، صرخات طيور البحر وصفير المراكب .

ولكنني لا أسمع صوت انسان . جرّب أن تعيش عيشتي أسبوعاً ، ثم انظر ما يحل بك . ومع ذلك فان الشيوخ يتحملون الوحدة أكثر من الشباب . أنت في ميعة شبابك وأنت تعيش عيشة طيبة مع الحبال والمحركات ، ولا حاجة لك لكي تعيش منفياً في هذه المناطق .

وملأ العجوز أقداحنا ، وهو يرفع كأسه :

ـ هذه خمرة أرز (كام) أصلية . في صحتكم ...

كان لهذه الخمرة لون الخوخ ، وطعم حامض ... وجرع العجوز جرعة ووضع محارة مسلوقة في فمه جعل يلوكها بالبقية الباقية من أسنانه .

ـ يا فتى ، في الماضي لم يكن لنا شيء نضعه تحت أسناننا ، والآن وقد انتهى عهد الشقاء وجاء الخير ، حنت بنا الشيخوخة فلم تبق لنا شهية . إن المجاعة هي التي انتزعتني من أرضي ومسقط رأسي . منذ عشرين سنة تركت كل ما هو عزيز علي لأعيش حياة الوحدة هذه في حضن الأمواج .

واعتدل العجوز في جلسته ثم تابع وهو يتنهد :

ـ لقد عرف أسلاق المجد، الصورة التي تأملتها تمثل اللواء (تران هونغ داو) وعقيديين من ضباطه - وأنا أنحدر من سلالة أحد هذين الضابطين ، من الضابط الذي يمتطي الحصان الكميت على يسار اللواء •

ورفعت عيني • غريزيا ، لأرى من جديد هذه الشخصيات التاريخية وسألته:

ـ من رسم لك هذه اللوحة ؟

ـ فنان من بلدنا وصفت له جدي القديم كما تصورته وأنا أقرأ أنساب أسرتنا ، وأتم الفنان اللوحة حسب خياله ، وقد وفق الى إعطاء هذه الشخصيات سيماء العظمة • ليست اللوحة سيئة ••• ماذا ترى ؟

ـ لا بأس ، ولا سيما بالنسبة الى فنان من قريتك •

وبدا السيد (ستة) فخورا ، وشرب جرعة أخرى من الغمس •

ـ نعم إن البؤس هو الذي طردني من مسقط رأسي • كنت في السادسة والثلاثين من عمري •• كنت في طفولتي قد ألممت بشيء من العلم • وبفضل تدخل أحد أعمامي نلت وظيفة في الأشغال العامة ، وجئت لأعمل في منارة (لونغ شو) وفيها عرفت والد (هونغ) هذا •• ياله من مسكين ، مات فجأة إثر برد أصابه • وبعد موته حللت في (هوا لانغ) وأنا فيها منذ عشر سنوات ••••

وهكذا فقد قضيت عشرين عاما في هذه العزلة •

ورددت رغم أنفي ـ عشرين سنة من العزلة ••• ذلك مخيف •

ـ كان العجوز سابحاً في أفكاره وجعل يتكلم كأنه يتابع حواراً داخلياً :

ـ الريح والأمواج ، والنجوم اذا حل الليل • هؤلاء هم أصدقائي • وهناك أيضاً النوارس وزمج الماء ••• وكلبي (موك) منذ سنوات •••

ولكني كنت أشتاق دائماً الى صوت إنسان ، ولا سيما بعد أن تركتني ابنتي وذهبت الى البر ••

آه ... ما أشد شوقنا هنا الى البر ...

لقد تمر الزمان ، وأنا أيضاً يداعبني الأمل في العودة الى الأرض ولكن فكّر في سنوات النفي الاولى التي كابدتها .

كنا تحت الحكم الفرنسي . كنت في الليل ، أفكر وأفكر ، وأنا أصغي الى الريح تزأر ، والى الأمواج تزمجر .. أرى الطفل الذيكنته ذات يوم ، شعره كأنه حوحة فوق رأسه ، يعود من المدرسة ، ويلعب في بركة القرية حتى الليل .

كنت أنبش ذكرياتي عن أعياد القرية بعد الحصاد ، على أنـوار المشاعل ، وأصوات الطبول ، والمسرحيات التي تقدمها الفرق الشعبية . كنت أتذكر كل زقاق في القرية ، وكل زخرفة في معبد الضباط الحمسة اللامعين في جيش (ترانهانداو) وأستمع الى صوت الراهب ، حارس المعبد يقص حكاية المعركة التي خاضها هـذا القائد ضد القائد الساحر (فام تاي) . وكانت أفكاري تذهب أيضاً الى أسرتي ... عندما باعت آخر ما تملك من حقول الأرز ، الى جدي الذي سقط من جذع شجرة التين العتيقة ، وهي رمز قريتنا ، ومات أثناء مجاعة مخيفة ...

من أعلى هذه المنارة يمكن أن ترى سلسلة من الجبال ليست جد عالية تختفي قريتنا (جيا لوان) وراءها ، ولا تظهر منها إلا ذروة تلك الشجرة الكبيرة . ولقد اخترت الحياة في هذا المنفى كيلا أموت جوعاً مثل جدي . ورويداً رويداً ألفت طلوع الشمس من البحر عند الصباح ، وغروبها في البر عند المساء . ومع ذلك ... في قلبي ألم عنيف لا يمكن أن يزول ... أتعرف ماهو ؟

إن هذا الالم يهاجمك كلما رأيت مركباً أجنبياً يمر أمام المنارة ويتجه نحو مضيق (باش دانغ) هذا المضيق الذي أباد فيه أجدادنا الغزاة المغول .

نحن في أرضنا ، هـذه المراقي العاليه مرافئنا ، ومع ذلك فان أمواجاً التي تدخلها ترفع علماً مثلث الألوان ..

في كل يوم كان يتكرر هذا المشهد أمام عيني ، وفي كل مرة كنت أرفع رأسي

نحو صورة جدي ورفاقه في السلاح ، فلا أكاد أحتمل نظراتهم ، وقد ملأها عتاب عنيف ، يدوي في أذني فلا يفارقني ٠

وأنا أرجوهم في أعماقي أن يعفوا عني ولا يؤاخذوني ، أنا حارس المنارة المسكين ٠ ماذا أستطيع أن أعمل لبلدي في هذا الساحل الموحش ؟٠٠٠

في ليلة من ليالي الشتاء في عام ١٩٤٩ سمعت صرخة استغاثة وأنا نائم ٠٠٠ ظننت أني أحلم ٠ وعند الصباح الباكر ، كنت أصعد المنارة لأتفقد الفنار ، فوجدت رجلاً يتمدد على الرمل وقد أمسك بصخرة ٠٠٠ وأسرعت في الهبوط ٠ كان الرجل ميتاً ٠٠ كان في الثلاثين من عمره ، وفي وجهه سيماء الطيبة والخير ٠ كان لايزال يمسك بيده المتشنجة الثانية طفلة في التاسعة من عمرها - كانت مغمضة العينين ، صفراء الوجه ٠ أسرعت فوضعت عند أنفها عوداً من الطحلب فجعل يهتز هزة خفيفة ٠٠ وأسرعت في إنقاذها من بين ذراعي الرجل ، وعرفت بعد ذلك أنه أبوها٠

حملتها الى غرفتي ، وخلعت ثيابها المبللة ، ولففتها بغطاء دافيء٠٠وأشعلت ناراًحامية لادفيء الغرفة ثم دلكت الطفلة بالكحول ٠٠٠٠ وعادت الى الحياة رويداً رويداً ، وفتحت عينيها البريئتين ٠ وصرخت فرحاً ٠٠٠ إنها أول مرة أشعر فيهـا بالفرح في هذا المنفى ٠

واعتدل السيد (ستة) في جلسته مرة أخرى ٠ وكان (فونغ) قد شرب كأسه الرابعة ، وكان خلال حديث صاحب البيت ، وكيلا يزعجه في رواية قصته ، يقوم بعمل كل شيء : يغلي بعض المحار ، ويصب الخمر ، بل يحمل الى العجوزغليونالماء٠

ــ وهكذا عادت الطفلة الى الحياة ٠٠٠ وفي عرض البحر ٠٠٠ كان حطـام المراكب يتجه الينا ٠٠٠ ولكن لـم تكن هنالك عاصفة ٠٠٠ وعلمت بعد ذلك أن بحارة الجيش الفرنسي المستعمر ، بعد عودتهم من عملية تمشيط لقوى الثورة ، صدموا ، عن عمد ، زوارق الصيد التي يملكها صيادون ، فأغرقوا ستة زوارقمنها وقتلوا كل من فيها ٠

لقد كـان المستعمرون الفرنسيون حانقين عـلى صيادينا ، الذين كانـوا مع المقاومة والذي ناضل عدد غير قليل منهم ضد الاستعمار ٠

والرجل الذي أوى الى جزيرتنا كان واحداً من الفدائيين وقد لقى الموت هو وزوجته في تلك الليل ٠

جاء في اليوم الثاني أهل الصيادين وأصدقاؤهم للبحث عنهم فطلبت منهم أن اتبنى الطفلة٠كانت تبكي كثيراً على أبيها وأمها ، ولكنني أحطتها بألف عناية وفعلت كل ما أستطيع لادخال العزاء الى قلبها الصغير ٠

لقد ادخل وجود داو ــ وهذا هو اسمها ــ البهجة الى منزلي٠٠٠بدا لي الشتاء منذئذ أقل قسوة ، والصيف أقل ثقلا ٠٠٠ بل بدا لي أن جدي القديم يبتسم،وأنه مسرور مثلي ، واقسمت على العناية ، قدر ما أستطيع ، بطفلة هذا الفدائي ٠٠٠ واقسمت نفسي أنني عندما أعتني بها فأنا أسهم ولو قليلاً في المقاومة٠كنا نعيش في شكل من الاشكال على ثلاثمائة قرش هندي ــ صيني أكسبها شهرياً ، فنأكل أرزاً في بعض الأحيان أو بطاطا حلوة ٠ وأخـيراً أهدتني أختي هذا الكلب (مرك) فتقاسمنا ، نحن الثلاثة ، هذا الكوخ الصغير الذي تزداد صداقتي له يوماً بعد يوم ٠

حارس المنارة ليس له عمل كبير ٠

يراقب ضغط الغاز ، يمسك اللائحة ، وعندما يهبط الليـل يوقد النار ٠ كنت أقضي كل أوقاتي في تعليم الطفلة القراءة والكتابة ونسج الشباك ٠٠٠ وكانت سرعان ماتلتقط تعليمي في مهارة ودون عناء ٠

وكانت الشباك التي تصنعها بيديها تباع في سهولة ٠٠٠ وكنت بما تكسب من مال ، أشتري لها حيناً منديلاً وحيناً قماشاً ٠٠٠ وهكذا عشنا ، نحن الثلاثة ، في صفاء وانسجام حتى أتى السلام في بلادنا ٠ كانت ابنتي قد بلغت الرابعة عشرة من عمرها ، وبلغت أنا الخامسة والخمسين ٠ ولاحظت من أعلى المنارة أن هنالك تغييرات خارقة للعادة ٠٠٠ في صباح يوم رائـع لاحظت أن البواخـر الفرنسية ، الصغيرة والكبيرة ، تنسحب في خط طويل لا ينقطع من مرفأ (تام تريو) ٠ وعند

الظهر رأيت من أعلى المنارة بساطاً أحمر وراء سلسلة جبال (رو) إنه علم كبير نصب على شجرة التين السامقة في قريتي (جيا لوان) • وبعد الظهر زارني مسئول من الثوار في زورق :

وقال لي •

ـ لقد تحررت البلاد من المحتل المستعمر • وهذه المنارة أصبحت لنا • احرص على أن يبقى لديك ما يكفي من الغاز لاشعالها • البواخر الأجنبية سوف تصل الى مرافئنا تباعاً •

كنت أريد أن أقول له : ـ ثق بي • سأقوم بواجبي حتى الرمق الاخير • ولكن الكلمات ـ واأسفاه ـ لم تسعفني • ولمعت عين الرجل العجوز ، وجعل يكور كرات من الدخان الفيتنامي بين أصابعه ويلقي بها في غليون الماء ثم يسحب نفساً وينفث سحابة من دخان •

ومن جديد رفع صوته المغلم الذي لم تستطع الريح ، التي تعول في صفائح سقف البيت ، ولا زمجرة الامواج المتكسرة على الصخور ، أن تتغلب عليه •

ـ وبعد أسبوع ، ولأول مرة في حياتي ، رأيت مركبين فرنسيين يبحران الى (هايفونغ) وعلى السارية الرئيسية في كلا المركبين يخفق علم أحمر وعليه نجم أحمر•

ومن أعلى هـذا البرج هزني هذا المنظر الرائع ولم أصدق عيني « هـذه الألوان ألواننا ، أنها تجسد مجد أجدادنا • » وناديت الصغيرة (داو) وطلت ، وقد استطارها الفرح ، تلوح بيدها للأعلام الحمر لتي تخفق في الريح ••• وظللنا ، من موقعنا هذا، نراقب كل ما يحدث في بلادنا من تطورات لم تشهد لها مثيلاً •

بعد سنة واحدة بدأت مداخن معمل الاسمنت تنفث دخانها • وفي السنة التالية ها هي ذي الأبراج في معمل محفوظات السمك تنبثق من الارض •

تابعت حياتي في البحر ، ولكنني كنت استقبل كل شهر أحد الرفاق الذي يأتي لينوب عني في العمل لأذهب الى البر وأحضر اجتماعات النقابة ••

وقال لي رئيس المصلحة ذات يوم :

يا جدي (ستة) لقد ظللت حارساً لمنارة عشرين عاماً • وهذا كثير • أتريد الآن عملاً على البر ••• »

وسكت • تذكرت سنواتي العشرين وأكثر من العزلة • لقد تركت البر وعمري ست وثلاثون سنة ، وأنا أناهز الآن الستين • شعري الأسود أصبح أبيض ، وفقدت ثماني أسنان من أسناني خلال إقامتي في المنفى •

كم مقتتني الايام ، وكم أوحشتني الليالي •

ليس لي امرأة ولا ولد • أنا ـ كما يقولون ـ شجرة لا تحمل ثمراً ••• وظللت ألتزم الصمت وأبكي •

هذه هي السلطة الشعبية ••• لقد فهمت آلامي ••• فكأنها سكبت في قلبي العطر والسكينة • ونظرت الى رئيس المصلحة شاكراً وأشرت برأسي لا ••• وعدت إلى صخرتي في البحر •

في مطلع هذا العام ، جاء السيد (ها) وهو حارس منارة مثلي ليحل محلي خلال العطلة الاولى في حياتي : خمسة عشر يوماً •

أخذت معي (داو) الصغيرة الى قريتي وممتعت رأسي • ياله من انقلاب حقيقي •••

نعم لقد سحقت قبابل العاثرات مجلس العرية ، ومعبدها ••• ولكن الناس ••• إنهم لا يأكلون الان حساء ليس فيه أرز ، ولا مخالب البحر وحدها••• كلهم أصبحوا ، والعزة تفيض وجوههم ، كلهم أصبحوا يتنفسون فرح الحياة • ولقد عرفني أهل القرية جميعاً • آه إن أصدقائي في الشدة لم ينسوني في الرخاء ، رغم غيابي الطويل عنهم • قالوا لي : عد إلينا وعش في القرية معنا • وقلت لهم : « شكراً • .ما أريد أن أقضي مابقي لي من عمري هناك في المنارة قبل أن

أسلم اليها مظامي . ما تزال هنالك نيران أريد أن أشعلها ، إن عملي مهم جداً . أشعل النار لأهدي الى شواطئنا ومرافئنا البواخر القادمة من البحار الصديقة . »

قلت ذلك وعدت الى صخرة المنارة مع صغيرتي (داو) . ولكن فكرة خطرت لي فعكرت مزاجي . لقد أصبحت (داو) صبية .. عمرها خمس عشرة سنة ، ويجب التفكير في مستقبلها . وقررت أن أرسلها الى بيت أختي في القرية . وذلك ما فعلته في السنة التالية .

قبل سفرها قصصت عليها تفصيلات المآسي التي أصابت أباها وأمها كما جمعتها وعرفتها . وظلت في أول الحكاية صامتة لا تبكي ، وأخيراً انفجرت في البكاء وظلت تبكي طوال الليل .

إنها الآن في القرية منذ أربع سنين . لقد أصبحت صبية جميلة . إنها تنسج الشباك وتشترك في حركة الشبيبة . لطيفة دائماً ومبتسمة . وما تزال ـ كما كانت ـ تحبني . تزورني في قارب كل يومين ... من بعيد ترتسم بتسامتها على وجهها كأنها تقول لي : « ما أسعدني بلقائك ياجدي . »

وسكت الجد (ستة) ونظر من النافذة ... كانت الامواج صاخبة بعدالظهر، وجعل القارب يهتز وترن سلاسله .

هذه ساعة زيارتها . ربما عاقتها بعض الاعمال هنـاك ... الناس عندنا يتجمعون في تعاونيات . ويذبحون غزلاناً صادوها في جبل (رو) ليقدموها وليمة في حفلة الافتتاح .

و « بلد ياتي » تذكروني فأرسلوا إلي مع صغيرتي (داو) لحم غزال . كل من في القرية يعمل الآن حسب طاقته . الرجال يذهبون الى الحقول أو الى البحر ، النساء يعملن في تربية المواشي أو في نسيج الشباك . وابنتي عضو في مجلس القرية وفي منظمة الشباب . وأنا الذي علمتها صنع الشباك أصبحت عضواً في مجموعتها . إنها منهمكة في العمل ، ومع ذلك فهي تجد دائماً الوقت الضروري للعناية بي . جاءت مرة ونادتني من تحت ، ولم أستطع أن أرد عليها . كنت محموماً ، وصعدت

مسرعة ، لتضع يدها على جبيني الملتهب ، وجعلت تبكي فأغرقت الدموع خديها . وقلت في صوت خافت « لا تبكي .. ياصغيرتي .. ما أزال حيا ... » ولم أكد أقول لها ذلك حتى شاركتها في البكاء . ثم قالت لي

ـ أنت عجوز ، ياجدي . ولك الحق في الراحة . اطلب إحالتك على التقاعد ، وأنا أتطوع لنعمل مكانك . »

ـ ولكنك يابنتي محمومة .. أنت صبية ويجب أن تفكري في الزواج .

وقالت ،

ـ ليس الآن ... ما يزال من واجبي أن أعتني بك .. وبعد موتك ، نعم ، سأتزوج .

لقد مست هذه الكلمات الساذجة حبة قلبي . وقلت لها في ابتسامة

ـ وماذا لو عشت عشرين سنة أخرى . كلا ، يا (داو) ، علي أولاً أن أشهد عرسك .. وبعد ذلك أموت .

يا للطفلة المسكينة .. لقد أدركت مشاعرها ... إنها تريد أن تبقى سيدة نفسها ومالكة لأوقاتها ، حتى تستطيع زيارتي ، كلما أرادت ، وترقيع ثيابي ، وإعداد طعامي المفضل ، حساء المحار .

ولكن حدث ما كان يجب أن يحدث . بعد عيد رأس السنة جاءت ، وهي أكثر ما كانت فرحاً ، تضحك في كل مناسبة وتنط كأنها عصفور . لم تكن في حياتها كلها في مثل هذا الصخب . وسألتها

ـ ماذا حدث لك ياصغيرتي فجعلك سعيدة الى هذه الدرجة ؟

ـ لا شيء ... لا شيء .

ـ ولكني أشعر أنك تخفين عني شيئاً .

وارتبكت (داو) ، واحمر وجهها ، وقالت :

ـ لقد انتخبوني عاملة ممتازة في التعاونية •

ـ ولكنك قلت لي ذلك من قبل •

وحدقت (داو) في عيني وقالت :

ـ ولكني أخشى أن تغضب •

ـ كلا •• كلا

ولما رأيت أنها ما تزال تتردد قلت لها :

ـ هيا يا صغيرتي •• أخبريني خبرك السعيد • هل خطبك أحد الشباب ؟

ولم تجب (داو) ، وتركت رأسها يسقط على كتفي ، كأنها ارتكبت ذنباً ، وحاولت جاهداً أن أخفي عنها حزني العميق

ـ هل وافقت يا صغيرتي ؟

ـ لا

ـ ولماذا ؟

ـ لا أعلم

ـ ومن هو ؟

ـ ....

ـ أليس هو (كانغ) ؟ إنه هو •• إذن فأنا أهنئك ياولدي • ولكن عديني أن تزوريني كلما سمحت لك الفرصة •

ولم تجب (داو) •• وذهبت الى المطبخ لاعـداد طعامي المفضل • كانت عيناها حزينتين ، ولكني كنت ألمح فيها شرارات صغيرة تترقص •وأنا أيضاً كنت حزيناً وسعيداً في وقت واحد • لقد حدثوني كثيراً عن هذا الشاب (كانغ) • كان فتى قويا وعاملاً ممتازاً ، وإنساناً شريفاً ، وكان مرشحاً للحزب •

لم أعرفه شخصاً ، ولكن أن يكون مرشحاً لحزب فهذا يعني شيئاً غير قليل ٠٠ لقد وثقت بالحزب ٠٠٠ وسيكون (كانغ) و (داو) سعيدين في أسرة رائعة ٠

وسمعنا صوت زورق يضرب الصخرة ، وتبعه صوت فتاة بلوري (يا جدي جئت) ٠

وقفز العجوز ، كأنه لولب ، نحو الباب :

ـ آه ٠٠ أنت ؟ لقد كنت أنتظرك ٠

وتبعنا الجد (مته) الى أسفل السلم ٠ وعرفنا الفتاة ٠٠ لقد كان من الممكن، حتى في الليل إدراك ملامح وجهها الجميل المدور وقد لمعت فيه عينان كبيرتان سوداوان وحلوتان ٠

عدنا الى الزورق ، كانت الريح ناعمة ، وكان الزورق يرقص فوق الامواج القرمزية ٠٠٠ ومنارة (هوا لانغ) تضيء طريقنا بأنوارها الخضر ، ثم تنطلق في شعاع يجوس خلال البحر الواسع ، وقد تصاعدت منه أبخرة خفيفة ، كان يشمس٠٠

١٩٥٨

★ ★ ★



كان الأفق تحجبه مرتفعات وتلعات تكتنفها الأشجار • قضيت ساعات طويلة أخوض وحول الخنادق ، قطعت السهل الواسع الأجرد من أقصاه الى أقصاه • ان الوسيلة الوحيدة للنجاة من طلقات المدفعية الفجائية ، ومن قنابل الطائرات المعادية هو أن تلتزم السير في الخنادق والحفر •

ولكن الخندق مع ذلك أصبحت سطحية فتركتها وانا آمل أن أقطع مكشوفة في سرعة كبيرة ، الشقة التي تفصل بين الخنادق والغابة • ولكن المنظر الذي رأته عيناي صعقتني بدلا من السهل الاجرد الذي كنت أتوقعه ، بدا لي بحر متحرك هناك في مواقعنا الدفاعية حفرت قنابل المدفعية لماديه لأرض ، فكأنها أصبحت وجهة أصابه الجدري • هنا يبدو لسهل وكأن الأمواج تهزه ••• المتفجرات والقنابل التي تزن خمسمائة كيلوغرام ، أو ألفا حفرت في الأرض حفراً واسعة كأنها مستنقعات • يظهر أن العدو ركز على هذه البقعة كل ما يملك من قنابل ومتفجرات •

وفي وسط هذا البحر المتحرك اكتشفت بعض قطع المدفعية المضادة للطائرات ، وقد رفعت أعناقها الى السماء • كنا ، هنالك ، نجهل كل ما حدث في هذا الموقع •• أما الآن فقد عرفت ••• لقد تكالبت الطائرات المعادية على هذه البقعة من الأرض عندما اكتشفت المدفعية المضادة للطائرات •

كانت المدفعية في ظاهر الأرض وتكاد تكون دون حماية ٠٠ كان رفاقنا هنا معرضين للقذف أكثر منا بكثير ونحن في خنادقنا ٠

ربما تعرضوا لخسائر فادحة في هذه الأيام ٠ كانت الأرض التي أمشي عليها تموج تحت قدمي كأني أسير فوق الرمال ٠

وسرت الى جانب المدافع ، وأصحابها ، بعضهم تغطي رؤوسهم الخوذات ، وبعضهم حاسرو الرؤوس ، يدورون حولها ويعملون ٠ ولم يلاحظني أحد ٠ كأنهم كانوا يبحثون عن قاذفة قنابل يمكن أن تخرج من وراء الجبل لكي تقوم بالهجوم عليهم عمودياً ٠ كانت المدافع وأصحابها يشبهون زوارق صغيرة تمخر عباب البحر في أوج عاصفة هوجاء تهددها كل لحظة بالغرق في أحشائها ٠

كما قبل معركة (ديان بين فو) عندما ظهرت المدفعية المضادة للطائرات نتذاكر في جدواها ومدى فائدتها ٠ قضينا ثماني سنوات من الحرب يلاحقنا « العراة الذين يعملون في وضح النهار » ونحن لا نستطيع أن نرد عليهم بضاعتهم: ولكن هؤلاء هم إخواننا يستعدون للرد عليهم ، وسيرون ما سيكون ٠

للمرة الأولى يقف على أرضنا رجال لا يهربون اذا ظهرت الطائرات ، انهم يترصدونها ويسقطون عدداً كبيراً منها ٠٠٠

كنت اظن ، وانا أرى الطائرات تنقض عمودياً على الأرض ، واسمع زمجرة المدافع المضادة ، أن مدفعيتنا الميدانية أكثر تعرضاً منها للخطر ٠ أما الآن فأنا أعتقد أن الخطر الذي يتعرض له رفاقنا في المدفعية المضادة لا يمكن أن يقارن بالخطر الذي يتعرض له رجال المدفعية الميدانية ٠

كانت المدفعية تغطي كل التلعة ، وعندما رأيت هؤلاء المقاتلين الشباب ، في ألبستهم الجديدة وقبعاتهم المستديرة ، عرفت أن هذا المكان هو معسكر وحدة من وحدات المدافع المضادة للطائرات ٠٠٠ كانت ملاجئهم واسعة توحي بالاطمئنان٠ أيمكن أن تكون هذه الأزهار البيض التي تتفجر في السماء مما يسدل على هذا المكان مظهراً مختلفاً عن مظهر مدفعية الميدان ، في السهل المجاور ٠

وفجاة وقفت مستغرباً ... الى يساري عند مدخل أحد الملاجيء وجدت لوحة معلقة وقد كتب عليها في حروف ، مرسومة في عناية ، الاعلان الآتي :

(دكان لتصليح الساعات مجاناً)
(الجناح رقم ١ ـ ديان بيان فو)

إنها نكتة من نكات مدفعي ولا شك . ولم تطربني هذه النكتة ولعلها ساءتني قليلا ، لأنها ذكرتني بساعتي الخربة منذ عدة أيام . كنت في حاجة ماسة اليها في عملي كقائد سياسي مكلف باحترام مواعيد الوحدة . وكنت مرهقاً بموضوع ضبط الوقت . كنت في الليل والنهار أسرع للسؤال عن الساعة وأضيع وقتاً طويلا ، دون ساعة ، كان من الممكن أن أصرف هذا الوقت في أمور هامة . وقد حاولت أكثر من مرة أن أقذف بها لكيلا أفكر فيها . ومع ذلك فقد بقيت ، وهي دون فائدة ، في جيب من صداري ، كأنها علامة نحس .

وظللت أنظر الى اللوحة وأنا أدمدم

ـ يا لها من نكتة !

وسمعت صوتاً .

ـ ليست نكتة ... ان وحدتنا تملك فعلا وبالتمام والكمال ، دكاناً لتصليح الساعات .

والتفت لأرى من يتكلم ، فاذا هو يخرج من ملجأ . كانت يداه في جيبي سرواله ، وعلى رأسه قبعة ، وفي عنقه منديل ، من حرير المظلات .

ثم أضاف :

ـ اذا كنت تريد زيارة الدكان فتعال معي .

ـ لم أستطع معرفة محدثي ، وهل هو من ملاكات الجيش : كان شاباً صغيراً رغم شاربيه الناعمين ، ولكن مظهره الرصين ، وطريقة حديثه المطمئنة أوحيا لي أنه قد يكون قائد الوحدة .

وقلت له :

ــ ساعتي تخربت منذ عدة أيام ، وحرماننا من ساعتنا في عملنا في الجبهة يعدل حرماننا من عينينا ٠

ــ تعال إذن وهات ساعتك للتصليح ٠

كان يتكلم في بساطة جعلتني واثقاً ومطمئناً ٠ أتراني جئت الى هذا المكان لأصلح ساعتي ، بعد أن طلبت من الجميع ، ولاسيما من أصدقائي سائقي السيارات اصلاحها فذهبت جهودي عبثاً ٠ لم يكونوا يذهبون الى أبعد من مركز التموين في الجبهة ، بينما كان من الضروري أن يذهبوا الى المؤخرة لكي يجدوا ساعاتياً ٠٠٠ ومضى المحارب الشاب الى الملجأ الذي يحمل اللوحة ، وألقى نظرة الى الداخل ثم التفت الي

ــ تفضل ٠ أنا معك ٠

ولحقته ودخلت الملجأ ٠٠٠ ورغم أني كنت أعرف أني سأرى ساعاتياً فلم أكن أقل دهشة حين رأيته يجلس في زاوية ويشتمل ٠٠٠ كان يستضيء بمصباح كهربائي له عاكس للضوء ، ويضع على عينه اليمنى مكبراً ، وعلى المنضدة علبة للأدوات الصغيرة تغطيها رقعة من حرير المظلات ٠ كان الساعاتي يفحص ساعة ويحرك اللولب بمسك صغير ، وكان مستغرقاً في عمله ، حتى إنه لم يرنا عندما دخلنا ٠٠٠٠

ونظر الي المحارب الشاب وابتسم ، لعله يتلهى بدهشتي ٠ لم أستطع تفسيراً لوجود هذه الدكان في هذا المكان ٠ هل أقامتها لجنة الخدمات ؟ ولكن ذلك غير ممكن في الخط الأول للمدفعية المضادة للطائرات ، ولو كانت هذه الدكان تابعة للجنة الخدمات لخضع تصليح الساعات لبعض الشكليات ، ولم يجر على النحو الذي جرى : « تعال اذن وهات ساعتك للتصليح ٠ »

وفحص العامل الساعة التي كانت بين يديه ، ثم التفت الينا وابتسم ، وهز رأسه يحيينا ، ثم قال للمحارب الشاب :

ــ هذه الساعة تزعجني ٠٠٠ كنت أظن أن الميزان وحده خارج عن جرنه ،

ثم اكتشفت أن محور الابرة الكبيرة مكسور .. أخاف أن يكون ذلك فوق مستوى ما لدي من وسائل ...

وقال المحارب الشاب :

ـ جئتك بزبون ...

ثم التفت الي وقال :
ـ أقدم اليك الرفيق (فونـغ) ، مدير المشروع ، وهـو في الوقت نفسه ساعاتي الجناح رقم ١ في (ديان بيان فو)

وهكذا أطلق على (الدكان) اسم (المشروع) ...

ـ حسناً نفخ قليلا لنستريح ...

وتمدد في زاوية وأخـذ غليون الماء والصق شفتيه بـه ، ثـم سحب سحبة طويلة ... وملأت الملجأ فرقعة طنانة ، ونظر الي (فونغ) وقال :

ـ أتحب الغليون ؟

وعندما أعلنت أنني لا أحبه انفجر الساعاتي والمحارب الشاب ضاحكين وفسر لي الشاب سبب الضحك :
ـ من حسن حظك أنـك لا تحب الغليون ، ولو أحببته لأضعت تبغك ... ليس لدى الرفيق (فونغ) تبغ ، انه لا يملك الا غليونه وهـو طنان يثير اهتمام الهواة ... فيقدمون اليه علبتهم ، فلا تعود .

ومد (فونغ) يده الى قطعة المظلة التي تغطي المنضدة وسحب علبة رقيقة ، وقال ضاحكاً :

ـ لا تصدق . أنا أقدم لزوار الجناح الغليون والتبغ معاً . وأخذ قليلا من التبـغ وضعه في الغليون وأشعل النار وسحب نفساً طويـلا ... وجعـل الغليون يفرقع في فرح ، و (فونغ) يطلق ، وهو سعيد ، غيمة من الدخان تملأ كل الحجرة. وصرح لي المحارب الشاب :

ـ خدعة بسيطة . ان تبغه' أوراق من الخيزران منقوعة بالماء .

وقال فونغ وأشفع كلامه بضحكته :

ـ خدعة ؟ كلا انه تبغ من انتاج الصباح رقم ١ .

ولقد أشعرني مرح الشابين أني لم ازعجهما .

ـ وسأل (فونغ) :

ـ عندك ساعة معطوبة ؟

ـ نعم

ـ هات

أخرجت ساعتي من جيبي ، وقدمتها له ، فأخذها ونظر اليها ثم قال :

ـ نيكلس ... تباع بالكيلو ..

وأدار المقمص ثم قال : اللولب اما مكسور أو خارج عن جرسه ... وأشعل (فونغ) المصباح ووضع الساعة بين راحتيه وأدارها عكسياً لكي يخرج آليتها ... وجعل يفحصها .

كنت آمل أن يكون العطل طارئاً ، فلم أكن أستطيع الانتظار .. وقال الساعاتي :

ـ اللولب مكسور .

ورنت هذه الكلمات في أذني كأنها وتر مكسور في قيثارة .. وتضايقت .

ـ دعها لي ... سأردها اليك خلال أسبوع . رقمك ٩ ... وانا أشتغل بالرقم ٣ ... تذكر جيداً : الرقم ٩ .

وفرحت ولم أدر كيف أشكره ، سأجد ساعتي سالمة عند عودتي من جلسات العمل ... لن أعيرها لأحد ، مهما كان ، ما دامت المعركة دائرة .

وسألني (فونغ) : ما هي وحدتك ؟

ـ الفرقة الثانية ... نحن نؤمن الدفاع عن الشاطىء المحروق ... وأضاء وجه (فونغ) فجأة :

ـ نعم إنكم عندما تقاتلون هناك نصعد نحن الى المرقب لنراقب معرككتم ، فلا نترك منها شاردة ·· أنا أعرف أنك في حاجة الى الساعة ···

ـ اقول لك اني منذ أيام لا أستطيع أن أنام ، بسبب هذه الساعة المعطوبة · اخشى دائماً أن أصل الى الاجتماع متأخراً ويزعجني أن أسأل عن الساعة في كل وقت·

وفكر (فونغ) قليلا ثم قال :

ـ سأعطيك الرقم ٦ ، الساعتان رقــم ٤ و ٥ لرجلين من المدفعية وهما في حاجة قصوى اليهما · أما الساعات الباقية فهي لرجال يقومون باصلاح السلاح ·· وهم يستطيعون الانتظار ··· عد بعد أربعة أيام ·

هززت يد (فونغ) في قوة وقلت له :

ـ شكراً يا رفيق ، شكراً ··· أنت تقدم الي خدمة كبرى ··· ثم لم أجد ما اقوله زيادة فأضفت ·

ـ شكراً يارفيق شكراً ··· ساعود بعد اربعة أيام ·

والتفت الى المحارب الشاب ··· كان واقفاً ويداه في جيبيه ، هادىء الوجه، يحمي ابتسامة بــين شفتيه · كان منذ قليل يضحك مــن دهشتي ، ولعــل سروري الظاهر جعله يبتسم ·

وقلت له في حماسة :

ـ وشكراً لك أنت

خرجنا من الملجأ ووصلنا الى الخندق المركزي ، فسألته :

ـ ماذا يعمل الرفيق (فونغ) في وحدتك ··

ـ سائق سيارة ··· نقل مدفعه الى هذا الموقع ··· وهو الآن حر ، ولكنه فكر في فتح «دكان» لتصليح الساعات ·

وأثارني الفضول فسألته :

ـ ولكن كيف استطاع الحصول على الآلات ؟ هذه دكان ساعاتي حقيقي ···

وتهلل وجه المحارب الشاب واهتزت الشعرات القليلة في شاربيه :

ـ صنعها بيديه من مخلفات ساعات الأعداء ···

وافترقنا ، ولم أكد أقطع عدة كيلومترات حتى ظهر في السماء سرب من الطائرات وبدأت المدفعية تعمل ...

عدت بعد خمسة أيام الى الجناح رقم ١ ، وكنت قد جمعت من هنا ومن هناك قليلا من التبغ لكي أقدمه الى (فونغ) .

لم اجد اللوحة أمام الدكان ، وكدت أعود عندما رايت قطعة من الورق معلقة بدبوس ، على جذع شجرة خيزران .. واقتربت منها فقرات هذه الكلمات :

« من أجل الساعات ... راجعوا الملجأ المجاور »

ومضيت اليه ...

رايت رجلا ينام ، وعندما اقتربت فتح عينين محمرتين من النعاس وقلت له :

ـ اريد الرفيق (فونغ) .

واستوى جالساً ثم سألني :

ـ هل أعطيت فونغ ساعتك لاصلاحها .

ـ نعم

وتناول صندوقاً وجعل يعد الخيطان فأخرج عشر ساعات من أنواع مختلفة :

ـ ما رقمك

ـ ٦

ـ مصلّحة ...

أخذت الساعة وأدرتها ووضعتها على أذني وسمعت صوتها في سرور :

ـ عظيم وأين الرفيق (فونغ) ؟

ـ في مهمة ...

ـ متى

ـ أول أمس

ـ متى يعود ؟ أريد أن أراه ولو دقيقة .

ـ لن تلقاه ... سافر الى مكان بعيد .

اصبت بخيبة أمل ، وصاحبي هذا قليل الكلام ، ما أشد الفرق بينه وبين الرفيقين السابقين ، كنت أريد أن أسأله أين سافر (فونغ) ولكني لم أجرؤ على ذلك .

وتذكرت هديتي فأخرجتها من جيبي :

ـ أرجوك أعط علبة التبغ هذه للرفيق (فونغ) وألقى المحارب نظرة الى العلبة ثم قال دون أن ينظر الي :

ـ دعها معك ··· لا يمكن أن توصلها اليه · ودفعتني هيئته المجهدة الى اختصار الكلام ··· لعله نعسان ، وشكرته وخرجت ···

وفي مكان آخر لقيت المحارب الشاب (كان) ، انه الرئيس المساعد لكتيبة : وأخرجت من جيبي علبة التبغ ومددتها اليه :

ـ الى أين سافر (فونغ)

ونظر الي (كان) في دهشة

ـ ألم يقل لك الرفاق ؟·· لقد قتل ··

وفهمت لأن كلمات الرفيق في الملجأ وفسرت موقفه ·

وقص علي (كان) ما حدث ·

ـ تلقت وحدة (فونغ) الأمر بالتحرك الى الداخل ··· ومضى قائد الوحدة يستطلع ويمهد الطريق ·

كانت الآليات المنقولة تسير دون صعوبة في الأرض التي مهدهـا رجال المتفجرات ··· ولم يبق عليهم الا ربع ساعة لكي يصلوا الى المقر الجديد··ولكن الضباب الذي كان يغطي الطريق انقشع فجاة ···

وتلقى السائقون الأمر بالاسراع الى أقصى حد ··· ولكن العدو اكتشف السيارات، وأطلقت مدفعيته في (مونغ شان) مدافعهـا فقطعت القافلة ، وأصيبت السيارة الاولى اصابة كبيرة فقطعت الطريق ·

كان (فونغ) في السيارة الأخيرة الى جانب (كان) وعندما رأى السيارة التي أمامه تقف صاح بالسائق الذي أمامه :

ـ خذ يسارك وامش فوق الحاجز

ولكن دولاب السيارة أصيب بقنبلة ...

والتفت (فونغ) الى (كان) عندئذ وقال له :

ـ نتجاوزهم ... نعم ؟

وخفض (كان) رأسه ، وانحرف (فونغ) الى اليسار ، واجتاز الحاجز، وسار الى جانب السيارات المعطوبة ثم رجع الى الطريق التي حررها الرجال ونجا من الضرب ووصل مع قطعته الى مواقع المدفعية .

ولم تكد مهمته تنتهي حتى سأل (فونغ) رئيس الكتيبة أن يسمح له بالعودة بحثاً عن المدافع في السيارات التي أصابتها القنابل .. واستطاع أن يأتي بقطعتين من المدفعية . ولكنه أصيب وهو يحمل القطعة الثالثة بشظية في رأسه وقتل فوراً .

وتجهم وجه (كان) ، وسكت دقيقة ثم تابع .

ـ كان الضرب شديداً ، وكنت أرتد قرب حاجز وقلت له ـ فونغ ... انتظر قليلا . عد الى ...

وأجابني : دعني أتابع ... والا دمروا مدفعيتنا ... كان ذلك صحيحاً .. كان كل مدفع عزيزاً لا يستغنى عنه ومع ذلك لو لم يذهب ...

وانتقل (كان) الى موضوع آخر :

ـ ستفتح في وحدتنا دكان حلاق ... وسيلبس الحلاق ثوباً أبيض ،وسيكون من نصيب الزبون قطرات من العطر ... من « النوع الممتاز » والخدمة مجانية .

وتوقف (كان) قليلا كأنه يتذكر شيئاً ثم أردف :

ـ قال (فونغ) ان اللولب الجديد قصير ... ولكن اطمئن فساعتك سوف تسير أكثر من أربع وعشرين ساعة ... ولكن عليك أن تربطها في رفق .

★ ★ ★

رؤى سيمون ماشار

مسرحية

تأليف برتولت بريخت
ترجمة صباح الجهيم

الشخصيات

فيليب شافز : عمدة ناحية «سان مارتان» (في الأحلام هو الملك شارل السابع)
هونوري فيتان : نقيب ، ملاك كرمة كبير (وهو في الأحلام دوق دي برغوني)
هنري سوبو : صاحب المنزل ، المعلم (وهو في الأحلام أمير الجيش)
ماري سوبو : أمه (وهي في الأحلام الملكة الوالدة إيزابو)
سيمون ماشار : في الأحلام هي جان دارك

روبير :
موريس :
سائقون
جورج :
العم غستاف :
مستخدمان في المنزل
السيدة ماشار : أم سيمون
السيد ماشار : والد سيمون
عقيد :

عريـف :
قائـد ألماني :
مـلاك :
أشخاص ثانويون :

تقع الأحداث في حزيران ١٩٤٠ في مدينة صغيرة من وسط فرنسا على حافة طريق ذاهبة من باريس الى الجنوب .

يمثل المسرح فناء « نـزل الربط » في صدر المسرح بناء بعض طبقات هـو نزل . الى يمين المشاهد يقوم النزل مع مدخله من جهة الفناء . الى اليسار مخزن المؤن وغرف السائقين . وبـين المخزن والمرآب بوابة ضخمة تفضي الى الطريق . والمرآب شديد الاتساع لأن النزل يقوم أيضاً بعمليات النقل .

أولاً : الكتـاب

(الجندي جورج ، ذراعـه اليمنى معصوبة بضماد ، يدخن سيجارة ويجلس قرب العم غستاف العجوز الذي ينهمك في إصلاح اطار . الأخوان موريس وروبير سائقا النزل يحدّقان في السماء .

يُسمع صوت الطائرات ، الزمن مساء ١٤ حزيران) .

روبـير : الطائرات ، هذه المرة ، طائراتنا .
موريس : هـذه ليست طائراتنـا .
روبـير : (بصوت قوي وباتجاه جورج) يا جورج أهي طائراتنا ام هي طائرات المانية ؟
جـورج : (يحاول بحذر ان يحرك ذراعه المصابة) ها ان العضد هو الآخر لم اعدأحس به الآن.
العم غستاف : لا تحرك ذراعك ، فهذا لا يلائمها .
(تدخل سيمون مشار وهي ما تزال طفلة تأتزر بوزرة مفرطة في طولها وتنتعل حذاءين مفرطين في ضخامتهما وهي تجر قفة غسيل ثقيلة جداً) .
روبـير : اهـي ثقيلة ؟
(تجيب سيمون « نعم » براسها وتتابع جر القفة حتى القاعـدة الحجرية لمضخة الوقود (البنزين) يتبعها الرجال بأبصارهم وهم يدخنون .)

جـــورج : (للمعلم غستاف) أتظـن ان السبب يمكن ان يكـون مـن الضماد ؟ ازداه تصلب ذراعي منذ البارحة .

المعلم غستاف : افعل ما ينصحونك به . (تخرج سيمون)

روبـيـر : (لجورج) الا تستطيع ان تجاوبني ؟ تلبس بزة عسكرية ولا ترفع بصرك عندمـا تاتي الطائرات بامثالك من الجنود . انما نخسر الحرب .

جـورج : ما رأيك أنت يا روبير ؟ العضد ما زلت احسه ولكنه لا يطاوعني . يظـن المعلم غستاف ان السبب هو الضماد وحده .

روبـيـر : سألتك عن هـذه الطائرات ما هـي ؟

جـورج : (من غير ان ينظر الى الخارج) طائرات المانية ، طائراتنا لا تطلع . (تعود سيمون ومعها زجاجة نبيذ ابيض ، تصب لجورج وللجنتي .)

سيمـون : أتعتقد اننا سنخسر الحرب ياسيد جورج ؟

جـورج : ربحناها ام خسرناها فسوف أكون بحاجة الى ذراعي لاثنتين على أقل تقدير .
(يرى السيد هنري سوبو صاحب النزل ، المعلم قادما من الطريق ، تخفي سيمون زجاجة الخمر بعجلة . يقف صاحب النزل لحظة تحت البوابة وينظر الى المناء ثم يومي الى شخص في الطريق . يطل رجل في لبس الميدان . يرافقه المعلم صاحب النزل حتى يقطع المناء وهـو يجهد عـلى نحو مفضوح في أن يستره عـن أعـين المستخدمين ويتوارى وإياه داخل الفندق) .

المعلم غستاف : هل رأيتم الرجل الذي بلباس الميدان ؟ هذا ضابط ، عقيد آخر يمر من الجبهة . هؤلاء لا يحبون أن يراهم الناس فاذا جاء الطعام أكل الواحد منهم عن اربعة .
(تمضي سيمون الى قفتها وتجلس على قاعدة مصحة المولود ، ولا تلبث أن تستغرق في كتاب موضوع على القفة) .

جـورج : (مائلا على كاسه) .. يضايقني روبير ، ففي رأيه ان الحرب خاسرة بامثالي من الجنود . ولكن قبل ان تقع الخسارة فقد وقـع الربح عن طريقي . ذلك لا شك فيه . ان حذاءي مثلا در مالا على سيد من « تور » ، وخوذتي درت مالا على سيد من « بوردو » ، ومعطفي الفرو قصرا على الشاطيء اللازوردي ، ولفافتي الفرنسا سبع أحصنة سباق . وهكذا عاشت فرنسا ايامها الحلوة على ظهري . فعل الناس كل ذلك وما انتظروا الحرب ليفعلوه .

المعلم غستاف : اما الحرب فهم في طريقهم الى خسرانها ، وهؤلاء السادة يعملون ماهو ضروري لذلك .

جـورج : صحيـح . فعندما بانتا حظيرة فيهـا ألف طائرة مقاتلة ينمق عليهـا مطاريهـا وفنيـيها وهي جاهزة للاقلاع . وعندما تحدق ساعة الخطر بفرنسا تظل رابضة على الارض . خط ماجينو كلف عشرة مليارات ثمن الاسمنت والحديـد وحدهما .

طوله في الأرض المكشوفة ألف كيلومتر وعمقه سبع طبقات وعندما تبدأ المعركة يستقل عقيدنا هذا سيارة ويمضي الى المؤخرة ومعه سيارتا شحن ممتلئتان خمراً وموزاً ، مليونا رجل كانوا ينتظرون أمراً ويستعدون للموت ولكن اذا بصاحبة وزير الحرب تختلف وصاحبة رئيس مجلس الوزراء واذا بالأمر لا يصدر • نعم ان تحصيناتنا مغروزة في الأرض غرزاً مكيناً ولكن تحصيناتهم متحركة وهي تمشي على أجسادنا • لا شيء يمكن أن يوقف دباباتهم ما دام فيها وقود ، والوقود انما يتناولونه من مضخاتنا • لن يمر صباح غد حتى تريهم امام مضختك يا سيمون، وسيأخذون وقودك • شكراً على النبيذ •

روبير : لا تتحدث عن الدبابات (مع اشارة من رأسه باتجاه سيمون) وهي هنا • فأخوها في الجبهة •

جورج : هي مستغرقة في كتابها •

الموغستاف : ما رأيك بمعيه بيلوت •

روبير : حس بوجع في رأسي ، فقد كان عليّ ان أخوض طوال النهار في طوابير النازحين لأواكب براميل الخمر التي للنقيب • كان نزوح الناس هجرة جماعية •

الموغستاف : خمر النقيب أهم من النازحين جميعاً • ألا تعوم ؟

جورج : هذا الرجل فاشستي • وكل الناس يعرفون ذلك • لابد أنه تحسس بمصل أصدقائه في الأركان أن الأحوال ساءت مرة أخرى على الخطوط الأمامية •

روبير : موريس ساخط • ويقول انه شبع من جرجرة هذه البراميل اللعينة وسط زحمة النساء والاطفال • أنا ذاهب لأنام • (يخرج)

الموغستاف : هذه الطوابير من النازحين كارثة على سير العمليات • فالدبابات تعبر أي تكوم ، أما التكوم البشري فهي تغوص فيه • تبين الآن أن السكان المدنيين نكبة بالنسبة الى الحرب ويجب التخلص منهم منذ البداية تخلصاً جذرياً ، فهم عقبة ليس غير • إحدى اثنتين : فاما أن نلغي الشعب واما أن نلغي الحرب •

جورج : (يجلس قرب سيمون ويجس الغسيل في القفة) ولكنك فككت غسيلك وهو رطب•

سيمون . (من غير ان ترفع رأسها عن الكتاب) : لأن النازحين يسرقون الاغطية دائماً •

جورج : لا شك أنهم يصنعون منها لفائف للصغار ، أو انهم يلفونها على أرجلهم •

سيمون : (متابعة القراءة) : ولكن السيدة تعلها •

جورج : (مشيراً باصبعه الى الكتاب) : ما زلتِ تقرئين في « جان دارك » •

(تجيب سيمون « نعم » برأسها) •

جورج . ومن أعطاك هذا الكتاب ؟

سيمون : المعلم ولكني لا أجد وقتاً للقراءة • ولم أزل في الصفحة الثانية والسبعين عندما

كسرت جان دارك الانكليز وارادت تتويج الملك في « رانس » . (تتابع قراءتها).

جـــورج : ولم تقرأين هذه القصص البالية ؟

سيمـــون : اني أتشوق لمعرفة تتمتها ... أصحيح أن فرنسا أجمل بلاد العالم يا سيد جورج ؟

جـــورج : كتابك يقول هذا ؟ (تجيب سيمون «نعم» برأسها) .

جـــورج : لا أعرف العالم كله ولكن يقال بحق أن أجمل البلدان هو البلد الذي نعيش فيه.

سيمـــون : « الجيروند » مثلا كيف هي ؟

جـــورج : أعتقد أن فيها كرمة كما هو الحال هنا . فرنسا أعظم شاربة للخمر كما يقال .

سيمـــون : وهل في السين مراكب كثيرة ؟

جـــورج : نحو ألف مركب .

سيمـــون : « وسان دنيس » حيث كنت تشتغل ، كيف كانت ؟

جـــورج : سان دنيس ليست متميزة .

سيمـــون : ومع ذلك فليس هناك بلد أجمل من فرنسا .

جـــورج : هي حسنة بخبزها الابيض بخمرها ، بصيد السمك . والمقاهي الراقية ليس لي ما يقال عنها . وليس لي ما يقال أيضا على أسواق الخضرة بكل ما فيها من سمك وفواكه ولا سيما في مطبخ الصباح . ولا اعتراض لي أيضا على دكاكين الخمور حيث يشرب المرء قدحا على الماشي . وحتى دكاكين المعارض و نزال البواخر وسط صخب الموسيقى فكل ذلك مقبول . ومن ذا الذي يخطر بباله أن يتشكى من ممرات الصفصاف حيث يلعب الناس بالكرات الخشبية ؟ عليك أن تعملي اليوم أيضة الى النازحين في باحة المدرسة وجبتهم الصباحية .

سيمـــون : لكن ليت جنود الهندسة يصلون قبل أن أضطر الى الذهاب .

جـــورج : أي جنود هندسة ؟

سيمـــون : انهم ينتظرون جنود الهندسة في المطبخ . ضاعوا عربتهم بين أفواج النازحين . وهم من الكتيبة ١٣٢ .

جـــورج : أهي الكتيبة التي أخوك فيها ؟

سيمـــون : نعم وهم ماضون الى الخطوط الامامية .. يقول كتابي أن الملاك أمر العذراء « جان دارك » بان تقتل كل أعداء فرنسا . لأن الله يريد ذلك .

جـــورج : ستحلمين من جديد احلاما مرعبة ان قرأت هذه القصص الدامية . وقد منعتك قبل من قراءة الجرائد .

سيمـــون : أصحيح أن دباباتهم تغوص في جموع الناس ياسيد جورج ؟

جـــورج : نعم . وقد قرأت ما يكفي من هذه القصص .

(يحاول أن ينتزع الكتاب من يديها . يظهر المطعم على باب النزل .)

المسـم : يا جورج ، لا تدع احـدا يدخل الى قاعة الطعام . (لسيمون) ما تزالين تقرئين بدلا من ان تشتغلي . ما اعطيتك الكتاب لذلك .

سيمـون : (التي أخذت تعد الاغطيـة كالمحمومة) : كنت اعد الغسيل والقيت نظرة خاطفة الى الكتاب فمعذورة ياسيدي .

العمغستاف : لو كنت مكانك لما أعطيتها هذا الكتاب ياسيد هنري ، فهو يقلبها رأسا على عقب.

المعلـم : حماقات . ففي مثل هذه الايام لا بأس عليها من ان تلقي نظرة على تاريخ فرنسا. لان هذه الشبيبة لم تعد تعرف ما فرنسا (يوجه الكلام من فوق كتفه الى الداخل): يا جان خذ المقبلات الى قاعة الطعام . (ينظر مرة اخرى الى الفتاة) اقرؤوا انتم وسترون الروح السائدة في ذلك الزمـان . يا الهي لربما حتمنا اليـوم اشـد الحاجة الى جان دارك .

العمغستاف (متصنعة السذاجة) : ومن اين يمكن لجان دارك ان تاتي .

المعلـم : من اين يمكن لها ان تاتي ؟ من كل مطرح . يمكنها ان تكون اي انسان . انت . او جورج . (مشيرا الى سيمون) . او هـي . لم لا ؟ اي طفـل يمكنه ان يقول ما يجب فعله . الأمر بسيط جدا . بل حتى انها يمكن ان تقوله للبلد كله .

العمغستاف : (ينتقل بصره في سيمون ،) لعلها اصغر قليلا من أن تصلح لتكون جان دارك . اصغر قليلا ، اقتى قليلا ، اطول قليلا ، اكبر قليلا - فاذا لم تتوفر الروح فيها تعللنا اسـدا بعذر . (من فوق كتفه الى الداخـل) اهـو السردين البرتقالي ما اخذته يا جـان ؟

العمغستاف : (لسيمون) ما رأيك ؟ ايسرك ان تتحولي الى جان دارك ؟ لكن الذي اخشاه مما عدنا نرى كثيرا من الملائكة يظهرون في ايامنا .

المعلـم : كفى ياعم غستاف،احب لو تحتفظ بقفشاتك لنفسك عندما تكون هذه الطفلة هنا. اتركها تقرأ كتابها دون أن تضيف اليه ملاحظاتك الوسخة . (وهـو على وشك التحول الى النزل) ولكن تدبري امرك قدر الامكان حتى لا تكون قراءتك اثناء ساعات العمل ياسيمون . (يخرج) .

العمغستاف : (مقهقها) هذه هي الطامة اذن ياجورج . سيكون من واجبنا الآن ان نربي غسالتنا الطفلة لتصنع منهـا جـان دارك ؛ في ساعات الراحة وحدها طبعا . انهم يحشون اولادنا وطنية ، اما هم فانهم يختالون في بزاتهم او انهم يخفون مخزوناتهم من الوقود في احد معامل الآجر بدلا من أن يسموه الى الجيش .

سيمـون : المعلم لا يفعل أبدا ما لا يليق فعله .

العمغستاف: صحيح فهو ولي نعمتنا • واذا كان يعطيك فرنكاتك العشرين في الاسبوع فلكي لا يبقى اهلك معدمين •

سيمون : بل انه يحتفظ بي لكي لا يفقد اخي عمله هنا •

العمغستاف: وهذا ما اتاح له ان يحصل على عاملة ضخ وخادمة وغاسلة صحون في الوقت نفسه.

سيمون : كان ذلك لاننا في حرب •

العمغستاف: وهو لا يجد باسا في ذلك • اليس صحيحا ؟

المعلم : (يظهر عند باب النزل) ياعم غستاف هات زجاجة شابلي ١٩٢٧ للسيد الذي طلب سمك التروته (يدخل الى النزل) •

العمغستاف: اي للسيد الذي يلبس بزة عسكرية • اذا كنت احسن الفهم فان السيد العقيد يرغب في زجاجة شابلي قبل ان تهلك فرنسا• (يتوارى العم غستاف في مخزن المؤن) (بينما يستمر الحوار نراه يعبر الفناء ومعه زجاجة الشابلي التي يحملها الى النزل)

صوت امراة: (صوت امراة آت من المطبعة الاولى) : يا سيمون اين الاغطية ؟

(تاخذ سيمون القفة وتهم بالدخول الى النزل عندما يظهر عريف وجنديا هندسة يقدمون من الطريق ومعهم قدر كبيرة) •

العريف : يبدو أن هذا هو المكان المقرر لوجبتنا • قالوا لنا في البلدية انهم اخبروكم بالهاتف•

سيمون : (مبادرة مشرقة) لا شك انها جاهزة • اذهبوا راسا الى المطبخ (للعريف • بينما يذهب الجنديان الى المطبخ) اخي اندريه ماشار هو ايضا من الكتيبة ١٢٢ فهل تعلم ياسيدي لم انقطعت اخباره عنا ؟

العريف : كل شيء منقلب راسا على عقب ونحن ايضا فقدنا اتصالنا برؤسائنا منذ ٤٨ ساعة•

سيمون : وهل خسرنا الحرب ياسيدي ؟

العريف : كلا يا آنسة وانما دفعت المدرعات العدوة ببعض طلائعها المتقدمة هنا وهناك • ومن المقدر أن هذه الوحوش لا تلبث أن يعوزها الوقود وعند ذاك فسوف تتوقف على حافة الطريق لا اكثر ولا اقل •

سيمون : قيل لي انها لن تبلغ اللوار •

العريف : لا • لا كوني مطمئنة • فالبعد شاسع بين السين واللوار • والطريق الوحيدة هي هذه الطوابير من النازحين • فلا يستطيع المرء أن يلتحق بالجبهة الا بشق النفس • ولابد من اصلاح الجسور المقصوفة والا فكيف يمكن للاحتياطي ان يمر •

(يعود الجنديان ومعهما القدر • ينظر العريف الى ما فيه •)

العريف : هذا كل شيء ؟ هذا صار تطلعي الى القدر يا آنسة ، الى نصفها ، بل اقل . وهذا

هو المطعم الثالث الذي يرسلونا اليه • في المطعم الثاني لم يعطونا شيئاً • وهنا يعطونا هـذا •

سيمـون : (تنظر الى القدر مشدوهة) لابد انهم غلطوا • فعندنا كل ما يلـزم من العدس واللحم ايضا • ساذهب حـالا لاقابل المعلم ذاته • وستملا قدركم • انتظروني لحظة • (تدخـل)

جـــورج : (يقدم السجاير) عمر اخيهـ سبعة عشر عامـا بالضبط • كان المتطوع الوحيد من « سان مارتان » وهي شديدة التعلق به •

العـريف : قبح الله هذه الحرب ، بل انها ليست حرباً • فالجيش يعامل وكأنه في بلد عدو • ومع هذا فرئيس الوزراء يقول لنا في الاذاعة : « الجيش هو الشعب » •

العمغستاف : (الذي خرج ثانية) الجيش هو الشعب والشعب هو العدو •

العـريف : (بلهجة عداء) ماذا تعني ؟

جـــورج : (وهو ينظر الى القدر الفارغـة الى نصفها) ولم تسكتون عـلى ذلـك ! اغضبوا وقابلـوا العمدة

العـريف : العمد نعرفهم • لا يرجى منهم خير •

سيمـون : (تخرج ببطء ولا تنظر الى العريف) يقول المعلم ان النزل لا يستطيع ان يفعل اكثر مما فعل وقد اخذ على عاتقه جميع النازحين •

العمغستاف : النازحين الذين لا نستطيع ان نعطيهم شيئاً لان كل شيء يذهب في زعمهم الى الجند •

سيمـون : (يائسة) المعلم غاضب لان العمدة يسرف في طلباته •

المعلـم : (يظهر عند الباب ويناول سيمون قائمة الحساب مطوية) اذهبي وقدمي القائمة للسيد ذي الشروة قولي له ان الفريز سجل بثمن الكعكة التي اشتريته به من أهلك (يدفعها الى الداخل) ما الأمر ؟ فهؤلاء السادة غير راضين • هلا تفضلتم ووضعتم أنفسكم موضع الاهالي لحظة •

المعلـم : ••• منص دم الاهالي • ومع ذلك تتوالى الطلبات الجديدة بلا انقطاع • ما من انسان أكثر حساسية مني لما يمس فرنسا • يشهد الله على ذلك • ولكن ها أسفاه ! (حركة طويلة تنم على العجز) • انما حافظت على هـذه الدار بفضل اسطحيات الجسام وحدها • وانظروا قليلا الى المعاونين الذين في عهدتي (يشير الى العم غستاف وجورج) شيخ وكسيح • ثم هذه الصبية • وانا اشغلهم لكي لا يموتوا جوعاً • ولا استطيع فوق ذلك ان أطعم الجيش الفرنسي كله •

العريف : وانا لا أستطيع ان اطلب الى رجالي ان يذهبوا ويقاتلوا من اجلكم ومعدهم خاوية • اصلحوا جسوركم بانفسكم وسانتظر عربتي سبع سنوات اذا اقتضى الأمر • (يخرج هو وجندياه) •

المعلم : ما حيلتي في ذلك ؟ لا يستطيع الانسان ان يرضي الناس جميعا (يقوم ازاء مستخدميه بدور رب العائلة الحدب) آه يا اولاد ، أنتم لا تقدرون سعادتكم لانكم لا تملكون نزلا • يجب ان نحمي انفسنا من الذئاب أليس كذلك ؟ وحين افكر في العذاب الذي تعذبته لكي تسجل النزل في دليل ميشلان ••• (وعندما يرى العم غستاف وجورج لا يبديان اي تعاطف يغضب •) لا تبقيا واقفين هنا كالاوتاد (الى داخل النزل) ياسيلي لم يبق احد في الفناء •

العقيد : (وهو السيد الذي يلباس الميدان ، يخرج من النزل ويتجه صوب المعلم الذي يرافقه من الفناء الى الطريق) اسعارك فاحشة ، ١٦٠ فرنكا ثمن غداء •

جورج : (في هذه الاثناء يمضي جورج الى داخل النزل ويخرج منه سيمون التي تخبيء وجهها بيديها) •
انصرف الجنود من زمان • وان كنت تواريت بسببهم فلا ضرورة لذلك لانه لا حيلة لك في الامر •

سيمون : (ماسحة دموعها) ذلك لانهم من الكتيبة ١٣٢ اتفهم ؟ ثم ان الذين في الجبهة ينتظرون المساعدة ولاجل ذلك لابد اولا ياسيد جورج من ان يصلح جنود الهندسة الجسور •

المعلم : (عائدا من الطريق) كبد دسمة ، لروته ، فخذ خاروف ، هلبون ، شابلي ، قهوة مارتيل ممتاز - في مثل هذه الايام •• وعندما تقدم قائمة الحساب تثور ثائرتهم - اما الوجبة فهم يريدونها في لمح البصر لانهم لا يطيقون التاخير منذ اللحظة التي يتركون فيها منطقة العمليات • ضابط ، اتفهمون ، عقيد !• مسكينة فرنسا ! (وقد راى سيمون يؤنبها ضميرها) وانت لا تتداخلي في شؤون المطبخ • (يعود الى النزل) •

جورج : (للعم غستاف مع اشارة نحو سيمون) تحس بالخجل بسبب ما جرى لجنود الهندسة •

سيمون : ماذا سيقولون عن النزل ياسيد جورج ؟

جورج : (لسيمون) غيرك ينبغي ان يخجل في الحقيقة لا انت • الفندق يبتز الناس كما ترسل السماء المطر وصاحب النزل يحدد اسعاره كما يفعل الكلب حاجته • ولكنك لست النزل ياسيمون واذا مدح الناس خموره فلا حق لك ان تفرحي وانا انهار

سفه فلا حق لك ان تبكي • لم تختاري انت قماش الغطاء وانت لـــم ترفضي اطعامهـم • أتفهمين ؟

سيمـون : (بلا قناعة) نعم ياسيد جورج •

جـورج : أسديه على يقين من أنك هنا لكي تحافظي له على عمله • هـذا كل ماقي الأمـر • والآن مضي الى ساحة المدرسة والتقي فرنسوا الصغير • ولكن لا تصغي الى امـه التيستخوفك مـن طائرات « شتدكا » • والا قضيت معظم الليل تحلمين انـك تدرين • (يدفعها الى داخل النزل ، للعم غستاف) آه من الخيال •

العمغستاف . (وهو يصلح الاطار) وايضا فهي لا تحب ان تذهب الى باحـــة المدرسة • فهـي تستقبل فيها بالشتائم لان الوجبات باهظة الثمن •

جـورج : (بتنهد) وبحسب معرفتي بها فسوف تعود الىالدفاع عن المعلم•فسيمون ينتمستقيمة

المعلـــم : (خارجا من النزل ينادي صوب المخزن وهو يصفق بيديه) موريس • روبير •

صوتروبير : (صوت روبير الساخر شيئا ما اتيا من المخزن) ماذا ؟•

المعلـــم . اتصل النقيب فيتان هاتفيا قبل حين • وهو يود لو تستانف السير حالا الى «بوربو» ومعك بقية براميل الخمر •

صوتروبير : هذه الليلة ؟ ولكن هذا غير ممكن ياسيد هنري • فمنذ يومين ونحن نسير •

المعلـــم : اعرف ، اعرف ، ولكن ماذا تريـد ان افعل ؟ النقيب يرى ان نقل البراميل شديد البطء • وهذا طبيعي في هذه الطرق المزحومة •• وصدقني انني لا احرمك النوم عن طيب قلب (يشير اشارة تنم على العجز) •

صوتروبير : الطرق مزحومة في الليل وفي النهار • ولابد من السير والاضواء معتمة •

المعلـــم : انها الحرب • ونحن لا نستطيع أن نعادي افضل زبائننا • ثم ان امـي شديدة الحرص عليه • فعجّل اذن • (للعم غستاف) : اما انتهى هذا الاطار بعد ؟ (يصل السيد شافيز العمدةمنالطريق ومحفظته تحت ابطه وهو ظاهر الاضطراب•)

العمغستاف : (يلفت انتباه المعلم) السيد العمدة •

العمـدة : علي ان اكلمك مرة أخرى بشان سياراتك وانا الح هذه المرة • يجب ان تضعها تحت تصرفي من اجل النازحين •

المعلـــم : ولكني قلت لك اني تعهدت بنقل خمر النقيب فيتان • ولا استطيع ان ارفض له ذلك • وامي والنقيب صديقا طفولة •

العمـدة . « خمر لنقيب » ياهنري انت تعلم كم يشق علي ان أتدخل في هذه المسائل ••• ولكن بعد أن وصلنا الى هذا الحد فمن غير الممكن اطلاقا ان اراعي العلاقات التي تقيمها مع هذا الفاشي فيتان •

(تخرج سيمون وقد ضمت في صدرها سقطا عليه اكياس من الورق هـي وجبات النازحين وفي كل يد سلة ممتلئة ايضا اكياسا •

المعلـم : (مهددا) : فيليب انتبه لنفسك عندما تنعت النقيب بانه فاشي •

العمـدة : (بلهجة مرارة) • انتبه لنفسك ، هذا كل ما عندكما انت وبقيتك في الوقت الذي يكون الالمان على اللوار ••• ان فرنسا في طريقها الى الدمار •

المعلـم : ماذا تقول ؟ اين الالمان ؟

العمدةبقوة : على اللوار • اما الجيش التاسع الذي كان مقدرا له ان يرسل لتعزيز فقد وجد الطريق العامة رقم ٢٠ يسده النازحون • ان سياراتك مصادرة ككل سيارات « سان مارتان » جهزها لصبح غد حتى تخلي النازحين من باحة المدرسة • هـذا هو امر السلطة • (يخرج من محفظته اعلانا احمر صغيرا ويشرع في الصاقه على بـاب المرآب) •

سيمون (بصوت متقطع • ساخطة ، لجورج (• وصلت الدبابات يا سيد جورج •

جـورج : (يطوق كتفها بذراعه) : نعم ياسيمون •

سيمـون : وهي على اللوار وستتقدم الى « تور » •

جـورج : نعم يسيمون •

سيمـون : وسيأتون الى هنا اليس كذلك ؟

المعلـم : الآن فهمت لم كان النقيب مستعجلا• (منفعلا جدا :) الالمان على اللوار • لكن هذا رهيب ! (يقترب من العمدة الذي ما يزال منهمكا في وضع اعلانه) : دع هذا يافيليب ولنتحدث • يجب ان احدثك على انفراد •

العمـدة : (غاضبا) لا ياهنري ، انتهى الامر ، ولن نتحدث بعد على انفراد • وعلى رجالك ان يعلموا ان سياراتك مصادرة ووقودك ايضا • فقد غمضت النظر كثيرا •

المعلـم : اجننت ؟ في مثل هذا الوضع تصادر سياراتي ! اما الوقود فلا وقود عندي ما عدا القليل في المضخة هنا •

العمـدة : (اليس لديك مخزونات لم تصرح بها ؟!

المعلـم : ماذا ؟ تتهمني بتخزين الوقود خلافا للقانون ؟ (خارجا عن طوره) : ياعم غستاف هل عندنا هنا مخزونات وقود ؟ (يتظاهر العم غستاف بانه لم يسمع ويهم بدفع الدولاب الى المرآب) •

المعلـم : (يصرخ) ياموريس ، ياروبير ! تعالا حالا ! ياعم غستاف •• (يقف العم غستاف) تكلم : أعندنا وقود لم نصرح به نعم أم لا ؟

الموغستاني : (لا علم لي بشيء (لسيمون التي تحدق فيه بعينين واسعتين) : امضي انت الى عملك بدلا من ان تظلي هنا تتبعين الى ما يقال .

المعلـــم : ياموريس ! يارويير ! أين تتسللان ؟

العمــدة : اذا لم يكن عندك فضلة من الوقود فكيف تفعل اذن لتنقل حمر النقيب ؟) :

المعلـــم : اهو فخ أيها السيد العمدة ؟ اذن ساجيبك بمـا يلي : انني انقـل خمر النقيب بوقود النقيب . ياجورج ، هل علمت ان لدي وقودا لم اصرح به ؟

جـــورج : (وهو ينظر الى ذرعه) منذ اربعة ايام لا غير عدت من الجبهة .

المعلـــم : طيب ، انت لا تستطيع ان تعلم شيئا . ولكن هناك موريس وروبير . (في هذه الاثناء يصل موريس وروبير) موريس ! روبير ! السيد شافيز يتهم النزل باخفاء الوقود . اني اسألكما بحضور السيد شافيز هل هذا صحيح ؟ (يتردد الاخوان)

العمــدة : يا موريس ويارويير ! انتما تعرفانني فانا لست فرنسيا . ولا احب ان اتداخل في هذه المشاكل . لكن فرنسا بحاجة الى الوقود في هذه الاونة وانا اطلب اليكما ان تؤكدا لي وجود الوقود هنا . اتوجه الى ضميريكما .

المعلـــم : ماذا تقولان ؟

موريس : (عابسة) لا علم لنا بالوقود .

العمــدة : طيب هذا كل ما عندكما ؟ (سيمون :) انت لـك اخ في الجبهـة أم لعلك انت أيضا لا ترغبين في ان تقولي لي ان الوقود موجود هنا .

سيمـــون : (التي كانت متماسكة اول الامر ، تاخذ في البكاء ..)

المعلـــم : وهكذا اذن . تريد ان تجر اطفالا لشهدوا علي . لا حق لك أيها السيد العمدة في ان تقوّض الاحترام الذي تحمله هذه الطفلة لمعلمها (لسيمون) امضي ياسيمون

العمدة يضجر : (ما تزال تبتز نازحي المدرسة بثمن وجباتك . امـا جنود الهندسة فقد تركتهـم يتصرفون ولم تملأ صحافهـم الى نصفهـا . ولانك تسلخ النازحين آخر فلس من فلوسهم فهم لا يستطيعون التحول عن هذا المكان .

المعلـــم : هذا المكان ليس مؤسسة خيرية وانما هو مطعم .

العمــدة : طيب ، طيب . المعجزة وحدها يمكن ان تنقذ فرنسا . فرنسا متعفنة حتى مخ العظم (يخرج ، صمت) .

المعلـــم : امضي ياسيمون امضي .

(تنصرف سيمون بخطى بطيئة مترددة وهي تتلفت ابدا الى البوابة ، واثناء سيرها يقع الكتاب الذي كانت تخفيه في السفط على الارض . فتلتقطه بوجل ثم تخرج من النزل ومعها الوجبات والسلتان .)

حلم سيمون ماشار الأول

ليلـة ١٤ ـ ١٥ حزيران

(موسيقى • ومن الظلام ينبعث الملاك ويقف على سطح المرآب • ذهب وجهه يمحوه كل تعبير فيه • يمسك بيديه طبلاً وينادي ثلاث مرات بصوت مرتفع «جان» ثم تستضيء خشبة المسرح وترى سيمون في فناء النزل • ترفع بصرها نحو الملاك وقفة المسيل تحت ذراعها •) •

المـــلاك : يا جان ، حان وقت العمـل • والا فإن فرنسا ، بلادنا العظيمة تهلك بعد فترة قصيرة ، ولهذا فتش الرب عن عون فاتجه ببصره اليك انت خادمتـه المتواضعة وها انا احمل اليك بأمر الرب طبلاً • خذيه ، وانتزعي الشعب الطيب من همومه الصغيرة وعلمي ان الطبل لا يرن الا اذا وضعته على الارض • فكانك انما تدقين ارض فرنسا نفسها • دقي دقـة التجمع ، ولترافق بفرنسا جميع ابنائها كباراً وصغاراً اغنياء وفقراء •

احشدي نوتية المراكب على السين وليسيروها مراكبهم •
احشدي فلاحي البجبروند لان الحيز والخمر ينقصانها •
ليصنع لها تجاسو « سان فيس » دبابات للمعركة • وليمص نجارو ليون في غفلة عن العدو ليفكوا الجسور • قولي لهم ان فرنسا امهم التي حملتهم في احشائها والتي استهزؤا بهـا وجدوها في وجههـا ، فرنسا العاملة العظيمة ، وشاربة الخمر العظيمة ، بحاجة اليهم في محنتها ، امضي ولا تتاخري •

سيمـــون : (تنظر لترى ان كان قريبه شخص آخر) : وهل من الواجب ان اقوم انا بذلك يا سيدي • الست اصغر بكثير من ان اكون القديسة جان •

المـــلاك : لا •

سيمـــون : اذن سافعل ما امرتني به •

المـــلاك : سيكون الامر شاقا •

سيمـــون : (بحياء) انت اخي اندريه ؟

المـــلاك : (لا يجيب)

سيمـــون : كيف حالك ؟

(يتوارى الملاك ، يخرج من الظلمة جورج يجر قدميه جراً وهو يحمل الى سيمون خوذة من خوذ الجيش الفرنسي وبندقية قصيرة •

جـــورج . (الخوذة والسيف فسوف تحتاجين اليهما • لم تخلقي لهـذا ولكن المعلم ليس في عهدته الا كسيح وطفلة • لا تحملي هموما بشأن عملك • اصغي الي : الدبابات تمر وتسحق كل شيء كأنها هاشماب اسحم • ليس غريباً ان يكون اخوك قـــد صـــار ملاكـاً •

سيمـــون : (تتناول الخوذة والبندقية) : أتريد ان احفظهما لك يا سيد جورج ؟

جـــورج : لا ، فهما لك • انت التي ستحتاجين اليهما فأنت جان العذراء •

سيمـــون : (تضع الخوذة على رأسها) : نعم ، صحيح • يجب أن أذهب الى أورليان حالا لأرى الملك وهي تبعد ثلاثين كيلو متراً•الدبابات تجري بسرعة ٧٠ كيلو متراً في الساعة وحذائي مثقوب ولن يتوفر لي حذاء آخر قبل الفصح • (تتهيأ للذهاب) لوح لي على الاقل بيديك لكي لا اخاف لان هذه المعرك قصص بالية دامية جداً •

(يلوح لها جورج بيده المعصوبة كما يتفق له • ثم يختفي • تشرع سيمون في السير على طريق أورليان فتدور على خشبة المسرح دوراناً) •

تغني بصوت عال :

عندما ذهبت الى « سان نازير » •

لـم أكن لابســة سروالي

عند ذاك أخذ الجميع يصرخون

أين تركت سروالك ؟

فاجبتهم : أمام سان نازير

شديدة الزرقة كانت السماء

والشوفان شديد الجنون

وبالله شديدة الزرقة السماء

(يأخذ موريس وروبير السائقان في الخب وراءها خباة وهما يلبسان قطعا من دروع العصور الوسطى فوق بذلات العمل الزرقاء •)

سيمـــون : ماذا تفعلان هنا ؟ لم تتبعانني ؟

روبـــير . نتبعك لاننا حرسك الشخصي • ولكن ، رحمة بنا ولا تغني هذه الاغنية • فهي غير لائقة أبداً • نحن خطيباك فتصرفي على هذا الأساس •

موريس : نعم سراً •

(يقبل العم غستاق عليهم ، وعليه سلاح بسيط من العصر الوسيط • يسير كأنه لا يرام ويريد أن يمضي في طريقة) •

سيمـــون : عم غستاق !

العمغستاق: أنت لا شغل لك معي • في مثل سني وما زلت أجبر على حشو المدفع • لا حمد لعسارتهم • امصي ، عيشي من الحلوان ، وموتي من أجل فرنسا •

سيمـــون : (بصوت منخفض) ولكن فرنسا امك وهي في خطر •

العمغستاق : امي كانت السيدة بوارو ، المسالة • كانت في خطر ، تعرضت لخطر ذات الصدر ، وماذا كنت أستطيع أن أفعل لها أنا ؟ كان يجب أن تتناول كميات من الأدويـــة ولكني لم أكن أملك المال •

سيمـــون : (صارخة) في هذه الحالة آمرك باسم الله والملاك أن تعود من حيث أتيت وان تأخذ المدافع على عاتقك وأن تصوبها على العدو • (ملاطفة :) وسوف أنقلها لك •

العمغستاق : على هذا الأساس اختلفه الأمر • هاك خذني رمحي •
(يضع الرمح على كتفها ويسير في إثرها •)

موريس : كم بقي من الوقت يا سيمون ؟ على كـل حال ، كل هـذا لا يفيد غير رأس المال •
« يا كادحي كل البلدان اتحدوا » •
« اذهبوا واصلحوا جسوركم بأنفسكم أما نحن فسننتظر عربتنا • »
(تجيب سيمون هي الأخرى بلغة الحلم التي لا يفهمها المشاهد • وهي تتكلم بقدر عظيم من قوة القناعة) •

موريس : (الذي فهم ما تقول) •• بالفعل • هذا صحيح • طيب • فلنتابع طريقنا •

روبـيـر : انت تمرجين يا سيمون فهذه الحدائد أثقل من أن تحمليها •

سيمـــون : (وقد أنهكها التعب فجأة) معذرة • ليس هذا شيئاً ذا بال • انما لم آكل في الصباح وهذا هو السبب • (تقف لتجفف عرقها :) ستتحسن حالي بعد لحظة • ياروبير هل تتذكر ما ينبغي أن أقوله لعمك •

روبـيـر : (يقول شيئاً بلغة الحلم ، شيئاً لا يفهم لم) هذا كل شيء •

سيمـــون : شكراً جزيلاً • بكل تأكيد • انظر هناك • لقد تراءت أبراج أورليان •
(يظهر المقيد بلأمته وفوقها لباس الميدان • يعبر الفناء خفية •)

العمغستاق : بداية حسنة • فالمارشالات يغادرون المدينة ويهربون ••

سيمـــون : لم الشوارع مقفرة الى هذا الحد ياعم غستاق ؟

العمغستاق: لعل الناس جميعاً يتغدون •

سيمـــون : ولم لا يدقون أجراس النفير عندما يصل العدو ياعم غستاق ؟

العم غستاق . لابد انهم ارسلوا الاجراس الى بوردو بناء على طلب النقيب « فيتان »

(يظهر المعلم في مدخل النزل • وهو يلبس على راسه خوذة علقت عليها ريشة حمراء وعلى صدره قطعة من الفولاذ اللماع •)

المعلـــم انهبي حالا وابتزي بازحي المدرسة بثمن وجباتنا •

سيمـــون ولكن يا سيد هنري ان فرنسا امنا في خطر • والالمان على الدوار • ويجب ان اذهب لاكلم الملك •

المعلـــم غريب ! النزل يفعل في الحقيقة كـــل ما يستطيعه • لا تنسي ما يعلمك عليك من الاحترام •

(يبدو في المرآب رجل بلباس ارجواني •)

سيمون بمخر اترى يا سيد هنري ، هذا هو شارل السابع • (يتضح ان الرجل ذا اللباس الارجواني انما هو العمدة الذي يلبس الرداء الملكي فوق بذلته •)

العمـــدة : صباح الخير يا جان •

سيمـــون : (دهشة) انت اذن هو الملك ؟

العمـــدة : نعم انا السلطة وانا اصادر السيارات • يجب ان احدثك عـــلى انفراد ياجان •

(يتوارى في الظلمة السائقان والعم غستاف والمعلم • يجلس العمدة وسيمون على القاعدة الحجرية لمصحة الوقود •)

العمـــدة : انتهى كل شيء يا جان • سافر المارشال ولم يتركه متوانا • وقد كتبت الى امير الجيش اطلب مدافع ولكن الرسالة المختومة بالخاتم الملكي عادت الي دون ان تفتح • اما المسؤول من جياد الملك فيعلن انه جرح في ذراعه وان في هذا ما يكفيه • مع ان احدا لم يشاهد جرحه قط • كل شيء متعفن حتى مخ العظم • (يبكي) لاشك انك اتيت لتلوميني على ضعفي • واني لضعيف حقا • ولكن انت ما شانك ؟ اقبل كل شيء اريد ان تقولي لي اين الوقود ؟

سيمـــون : في معمل الآجر بالتاكيد •

العمـــدة : قد غضضت النظر اعرف ذلك • ولكنك انت تستدين من النازحين آخر فلس من فلوسهم بوجباتك الممتازة •

سيمـــون : إن كنت افعل ذلك فلكي احتفظ للملاك عمله ايها الملك شارل •

العمـــدة : والسائقون ؟ امن اجل المحافظة على عملهم ينقلون خمر النقيب فيتان بدلا من ان ينقلوا النازحين •

سيمـــون : وهؤلاء ايضا لان المعلم طلب ان يحتفظ بهم مستخدمين خصوصيين • وعليه فلا يذهبون الى الجبهة • اتفهم ؟

العمدة : (آه نعم • تبحي من التجار الإشراف • أنا مدين لهم بجيادي البيضاء • النبلاء ضد الملك • على كل حال هذا مكتوب في كتابك • أما انت فالشعب خلفك•ولا سيما مورس • يا جان ألا نستطيع أن نعقد اتفاقا انت وأنا ؟

سيمـون : لم لا أيها الملك شارل • (مترددة :) لكن يجب أن لا تزعج نفسك فتتداخل في هذه المسائل • وهكذا تصبح الصحاف ملأى الى حافاتها •

العمدة : سارى ما يمكنني فعله • لا بد لي من أن أكون حذرا وإلا الغوا مخصصاتي السنوية• لم اني عند الجميع الرجل الذي يغض النظر • ولذا فعندما أصبح أمرا لا يحتمل له أحد • وعلي تقع كل المضايقات • انظري الى جنـود الهندسة : فبدلا من أن يستولوا عنوة وبكل بساطة على ما يحتاجون اليه من النزل جاؤوا الي وقايضوني : وفي هذه الظروف يجب ألا ندهش اذا تركني الدوق « دي برغوني » أسقط وانحاز جهارا الى الانكليز •

العم : (يبدو عند الباب) انت مستاء أيها الملك شارل عـلى ما اسمع ؟ هلا تفضلت فوضعت نفسك موضع الاهالي • مصت دماؤهم • ما من انسان أكثر احساسا مني لما يمس فرنسا ولكن واأسفاه • (يشير إشارة عجز ويختفي) •

العمـدة : (مذعنا) العبي بعد هذا واكسري الانكليز !

سيمـون : علي الآن أن أدق الطبل •• (تجلس على الارض وتدق الطبل الذي لا يرى • ترن كل ضربة وكأنها تنبعث من الارض نفسـها) اظهروا ياأتوتية الســين • اظهروا يانحاسي « سان دنيس » وانتم يا تجاري ليون • اظهروا ها أن العدو يجيء !

العمـدة : ماذا ترين ياجان ؟

سيمـون : لقد وصل الاعداء • اثبتوا في مواقعكم • على رأسهم يتقدم الطبال الكبير وصوته صوت ابن آوى • وجلد طبله جلد يهودي • وعلى كتفه يجثم عصاب رأسه كراس الصراف فوش من « ليون » • ووراءه بالذات المارشال مشعل الحرائق وهو راجل وانه لمثل مهرج كبير • وهو يلبس سبع بزات ولكن ليس له في واحدة من السبع هيئة انسان • وفوق هذين الشيطانين تترأقص مظلة مصنوعة من ورق الجرائد مما يسهل تعرفهما • وخلفهما في سيارة الجلادون و لمرشالات وقد وسمت جباههم بميسم الصليب المعقوف • ووراءهم تتابع تتابعة لا نهاية له المدرعات والمدافع و لقاطرات والشاحنات تحمل المذابح وسر القربان المقدس وغرف لتعذيب • لأن كل شيء مجهز تجهيزا آلية وهو يمضي بأقصى سـرعته • تأتي أولا العربات المحملة بالمتاه

وورائها العربات المحملة بالغنائم • أما الناس فيكتفون بحصدهم واء القمح فجمعونه • وهكذا فحيثما حلوا انهارت المدن واذا رحلوا خلفوا الصحراء • لكنهم لن يتقدموا بعد الآن • فها قد حصر شارل ملك فرنسا وحضرت خادمة الرب وخادمة الرب أنا •

(في هذه الاثناء يتجمع جميع المرسيين الذين ظهروا على خشبة المسرح او الذين سيظهرون فيما بعد • وكلهم مسلحون بأسلحة العصور الوسطى وبقطع من دروع •)

سيمـــون • (مشرقة) أترى أيها الملك شارل • لقد جاؤوا جميعا •

العمـــدة لم يأتوا جميعا يا جان • لا أرى أمي ايزابو مثلا • وامير الجيش انصرف غاضبا •

سيمـــون • لا تخف أبدا لانني سأتوجك ملكا كيما تقوم الوحدة بين الفرنسيين • انظر لقد جئت بتاجك •

(تخرج تاجا من قفتها) •

العمـــدة . ولكن مع من سالسب بالورق اذا لم يعد أمير الجيش •

سيمـــون • سيعطونه اجازة •

(تتوج سيمون رئيس البلدية • في المؤخرة يظهر جنود الهندسة يدقون على قدورهم بمغارفهم صخب شديد •)

العمـــدة • ما هذه الاجراس ؟

سيمـــون : هذه أجراس كاتدرائية ريمس •

العمـــدة . أم لعلهم جنود الهندسة الذين ارسلتهم الى النزل طلبا للطعام ؟)

سيمـــون : تماما • فهم لم يعطوا شيئا حتى ان قدورهم ظلت فارغة • وقدورهم الفارغة هي أجراس تتويجك أيها الملك شارل •

العمـــدة • مازلتم تدقون ! اقلعوا !

الجميـــع . يعيش الملك وجان العذراء التي توجته •

العمـــدة . (لسيمون) شكرا عظيما يا جان فقد أنقذت فرنسا •

(يظلم المسرح • ووسط الوسيقى المشوشة ينطلق صوت مذيع في المذياع •)

٢ ـ المصافحة

في أول الصباح يجلس موريس وروبير السائقان ، والعم فستاق والجندي جورج يتناولون فطورهم .. يُسمع صوت المذياع آتياً من الفندق .

المذياع : نعيد عليكم قراءة البلاغ الذي أذاعته وزارة الحرب هذا الصباح في الساعة الثالثة والثلاثين دقيقة : « على أثر عبور تشكيلات مدرعة عدوة نهر اللوار عبوراً مباغتاً انتشرت طوابير من النازحين على الطرقات ذات الأهمية الستراتيجية في مقاطعات وسط فرنسا . ان الحكومة تطلب بالحاح الى الأهلين أن يبقوا حيثما وجدوا كيما تخلي الطرقات من اجل تسيير التعزيزات .

موريس : حان الوقت لنسحب .

جورج : هرب مدير الخدم والخدم منذ الساعة الخامسة من هذا الصباح بعد ان قضوا الليل يعبئون الآنية الخزفية في صناديق . وقد هددهم صاحب الفندق بانه سيجعل الشرطة تتعقبهم . ولكن هذا لم يفده شيئاً .

روبير : (لجورج) ولم لم توقظنا في هذه الساعة ؟

(جورج لا يجيب .)

موريس : لا شك أن صاحب الفندق هو الذي أسكتك ؟ (ينفجر ضاحكاً .)

روبير : جورج الا تريد انت أن تنسحب كبقية الناس .

جورج : لا سأنزع بزتي وابقى . فعلى الأقل سأجد هنا ما آكله . الآن فقدت الأمل في شفاء ذراعي .

(يخرج المعلم من المنزل بادي الانهماك أنيق المظهر وخلفه تنحب سيمون وهي تسحب حقائبه .)

المعلم : (ضارباً بيديه) ـ موريس ـ روبير ـ فستاق هيا . فعلينا تحميل الآنية الخزفية. كل ما في المخزن يجب ان ينقل الى الشاحنات . يجب تغليف لشرائح اللحمية . ولكن قبل كل شيء، حمّلوا الخمور الممتازة . قهوتك تشربها فيما بعد ، اما الآن فنحن في حرب . سنرحل الى بوردو .

(يتابع المستخدمون فطورهم . وينفجر موريس ضاحكاً .)

المعلم : ما بكم ؟ الم تسمعوا ؟ يجب أن تحزموا وتتحمّسوا .

موريس : (بتهوين) السيارات مصادرة •

المعلم : مصدرة ؟ حماقات (بحركة طويلة) قرار المصادرة من امس والديانات الالمانية تتقض عي سان مارتان • وهذا من شانه ان يغير كل شيء • فما كان صحيحاً أمس لا يصح اليوم •

العمغستاف : (هامسا) • صحيح •

المعلم • ارفع فنجانك عن فمك عندما اكلمك •

(تضع سيمون الحقائب وتنسل اثناء الاجوبة الاخيرة الى النزل •)

موريس : اتريد فنجانا آخر ياروبير ؟

روبير . طبعاً فلا يعلم المرء ما يصيبه غدا •

المعلم : (بالغا غضبه) هيا ، كونوا عاقلين وساعدوا معلمكم على تجميع العفيل الذي يملكه • (وعندما لا يرفع أحد راسه :) ياعم غستاف اذهب انت حالا واشرع في حزم الآنية الخزفية •

العمغستاف : (يقف نصف وقفة •) لم أفرغ من فطوري بعد • لا تنظر الي هذه النظرات فانها لم تعد تنجع • (بقسوة :) اعرب عني الآن انت وآنيتك الخزفية•(يجلس)•

المعلم • وانت أيضا اصبت ما أصابهم ؟) وفي مثل سنك ؟ (ينقل بصره من واحد الى آخر ، يشاهد الدراجة النارية ، بلهجة مريرة :) فهمت • انتم تقولون في انفسكم، لم يبق الا أن ننتظر الالمان • فالمعلم نفذت قواه • أهذا حبكم واحترامكم لمن يطعمكم • (للسائقين) وقعت بامضائي ثلاث مرات لأشهد انه لا يستغنى عنكم في عمليات النقل لدي • ولولاي لكنتم الآن في الجبهة • وهكذا تكافئونني ؟ هذا مريح من متصور أنه يتكوّن مع مستخدميه عائلة صغيرة (من فوق كتفه :) سيمون، أعطني قدح كونياك فقد خارت قواي • (وحين لا نتلقى جوابا) سيمون ، ابن اختبات ؟ ها هي ذي الاخرى تتصرف !

(تخرج سيمون من الفندق لابسة سترتها ، متهيئة للانصراف • وهي تسعى أن تمر من غير ان يلحظها المعلم •)

المعلم : سيمون !

(تستمر سيمون في طريقها •)

المعلم • (انت مجنونة فلا تحاوبين ؟)

(تاخذ في الركض وتتوارى • يهز المعلم كتفيه ويلمس باصبعه جبهته •)

جورج : ماذا جرى لسيمون ؟

المعلـــم : (يلتفت الى السائقين) هكذا اذن : ترفضون الطاعة ؟
مـوريس : ليس هذا هو الموضوع • سننطلق بعد أن نفطر •
المعلـــم : والآنية الخزفية ؟
مـوريس : سننقلها على شرط أن تحملها انت نفسك
المعلـــم : أنـــا
مـوريس : نعم أنت • أليست لك ؟
روســي : (مخاطبا موريس) وبديهي اننا لا نستطيع أن نضمن وصولها الى بوردو •
مـوريس : ومن يستطيع أن يضمن شيئا في مثل هذه الايام •
المعلـــم : لكن هـــذا فظيع ! اتعلمون ما الذي يكلفه رفض الطاعة هنا في مواجهة العدو • أجعلكم ترمون بالرصاص هنا •
(يصل والدا سيمون •••)

المعلـــم : ماذا جئتما تفعلان هنا انتما ؟
السيدةماشار: ياسيد سوبو جئنا بشأن ابنتنا سيمون • يقال ان الالمـان سيصلون بين لحظة واخرى وانك سترتحل وسيمون صغيرة ، والسيد ماشار قلق بشان المشرين فرنكا •

المعلـــم أتصور انها انصرفت • لا ردها الله •
جـــورج : أليست سيمون في البيت ياسيدة ماشار ؟)
السيدةماشار: (لا ياسيد جورج)
جـــورج : (غريب) •
يصل العمدة ومعه شرطيان • وخلفهما تستتر سيمون •

المعلـــم : (وصلت في اللحظة المناسبة يافيليب • (وبحركة طويلة :) يا فيليب ، أنا بازاء عصيان ! فتك ، فاتت السلطة •
العمـدة : (هنري ، سمعت من الطفلة ماشار ان في نيتك ارسال السيارات الى مكان أمين • وساحاول دون هذه المخالفة للقانون بكل الوسائل بما فيها القوة •)
(يشير اشارة باتجاه الشرطيين)

المعلـــم : سيمون أتملكين الجرأة على هذا العمل ؟ ياسادة انما هذه مخلوقة آويتها عندي رحمة بأهلهـا !
السيدةماشار: (تهز سيمون) ما الذي فعلته أيضا ؟ (تظل سيمون صامتة) •
مـوريس : انا ارسلتها •
المعلـــم : واصغيت الى ما يقوله موريس هذا ؟

السيدماشار: سيمون كيف استطعت ؟..

سيمـون : فعلت هذا لأساعد السيد العمدة يا أمي فهناك حاجة الى سياراتنا .

المعلـم : سياراتنـا !

سيمـون : (سيمون وقد اخذت ترتبك) ولكن الطرق مسدودة في وجــه القرية (لا تجـد ما تقوله : ! من فضلك ياسيدي للعمدة اشرح لهم أنت .

العمـدة : ياهنري حاول ان تضع حـدودا لانانيتك . لقد احسنت صنعاً هذه الطفلة انهـا جاءت لمقابلتي . ففي مثل هذه الايام التي نعيشها يعتبر منك كل واحـد ميراثا لفرنسا . ولداي في الجبهة وهذه حال اخيه ايضــا . ذلك يعني ان اولادنا لـم يعودوا لنا .

المعلـم . (خارجا عن طوره : اذن لم يعد هناك نظام ؟ ولم يعد للملكية وجود أليس كذلك ؟ لم لا تضم النزل هـدية لعائلـة ماشار ، مـا دمت فيه . ولعل السادة السائقين يرغبون في اقتسام صندوقي ؟ تلك هي الفوضى ! لا بد ان اذكرك ياسيد شافيز ان أمي والسيدة زوجـة المحافظ كانتا في مدرسة داخلية واحــدة . وما زال مـن الممكن الاتصال بها هاتفيا .

العمـدة : (ملطفا لجهته) انني لا افعل سوى واجبي .

المعلـم : قليلا من المنطق يافيليب . تحدثت عـن ميراث فرنسا . مذخـورتي آنية السفرة الغرفية الجميلة ، الآنية الفضية أليس ذلك ميراث فرنسا ؟. وهل ينبغي أن تضع كل ذلك في قبضة الالمان ؟ لا ينبغي أن يقع في قبضتهم اي فنجان قهوة ، ولا اية شريحة لحـم ، ولا ايــة علبة سردين . الصحراء هي ما ينبغي أن يجدوه لدى وصولهم . أنسيت هذا وانت العمدة ؟ كان عليك أن تاتي لتمساي وتقول لي : ياهنري واجبك أن تضع أرزاقك في مأمن من الالمان . وأجيبك انا على هذا الكلام: يا فيليب ، من اجل ذلك انا بحاجة الى سياراتي .

(تصل من الشارع ضوضاء جمهور . يدق الجرس عند مدخل النزل ويضرب على أحد الأبواب) .

المعلـم : ماذا يجري ؟ اذهب ياجورج وانظر ما الأمر ؟ (يذهب جورج الى النزل) .

المعلـم : عليك ان تقول للمستخدمين الذين أمعوا في سبيان واجبهم اذ ارادوا ان يذهبوا ويتركوا كـل أرزاقي : عليك ان تقول لهـم : (يلتفت الى السائقين .) ايهـا السادة أهيب بوطنيتكم احزموا الآنية .

جـورج : (الذي عاد) هؤلاء نازحو المدرسة ياسيد هنري . سمعوا أنك تريـد ان تبعث

السيارات الى مكان امين • وهم هائجون ويريدون الكلام الى السيد العمدة •

المعلـــم : (وقد شحب فجاة) احسنت عملا يافيليب • وكل هذا من سيمون ! أسرع ياجورج واغلق البوابة • (يذهب جورج ليغلق البوابة) استعجل ! اركض ! تلك هي عاقبة تحريض الناس على ثمن الوجبات الدهماء • (للشرطيين) اعملا شيئا ! فورا ! يجب ان تطلب نجدة يافيليب بالهاتف • انت مدين لـي بهـذا • انا في خطر يافيليب • أرجوك يافيليب ساعدني •

العمـدة : (للشرطيين) اذهبا واحرسا البوابة (للمعلم :) انت تقول حماقات • فانت لا خطر عليك وقـد سمعت انهـم يريدون مقابلتي (يبدأ الضرب على البوابـة ايضا :) ادخل وفدا منهم • لا اكثر من ثلاثة •

(يشق الشرطيان الباب ويفاوضان الجمهور ثم يدخلان ثلاثة أشخاص : رجلـين وامرأة تحمل رضيعها) •

المعلـــم : ما الأمـــر ؟

(أحد النازحين في هياج بالغ) سيادة العمدة نحن نطالب بالسيارات •

المعلـــم : هذا مع أنكم سمعتم جيدا أنه يجب اخلاء الطرقات •

المـــرأة : اخلاؤها لكم ؟ اما نحن فعلينا من غير شك ان نبقى هنا ننتظر القاذفات الالمانية•

العمدةللنازحين: ايها السيدات والسادة اياكم والذعر • وقد اتخذت كافـــة الترتيبات بشـان المركبات • وكل ما يرغب فيه النزل هو ان ينقذ بعض الحاجات الثمينة من خطر يهددهـا به العدو •

المـــرأة : (ساخطة) أترون ، هذا ما توقعناه ! سوون ن يملوا الصناديق بدلا من الناس•

(يسمع صوت الطائرات)

أصواتمنالخارج، طائرات شتوكا •

المعلـــم : انهـــا تنقض •

(يتزايد الصوت تزايدا مرعبا • تنقض الطائرات فينبطح الجميع على الارض •)

المعلـــم : (بعد أن ابتعدت الطائرات) هنا يجازف المرء بحياته • وأنا ذاهب •

أصواتمنالخارج: هاتوا السيارات • هل نبقى جميعا هنا لنقتل ؟

المعلـــم : وما حمل شيء بعد يافيليب !

سيمـــون : (غاضبة) ليس هذا وقت التفكير بالمؤن • لا حق لك في ذلك •

المعلـــم : (مذهلا) ماذا ؟ أتتجرئين !

سيمـــون : المؤن نستطيع ان نوزعها على هؤلاء النازحين •

نــــازح : اه ، اهي مؤن ؟ اهي مؤن ما تتحدثون من نقله •
مــوريس : تماما •
المــرأة : تصوروا اننا لم نستطع الحصول على وجبة الصباح !
مــوريس : انه لا يريد أن يحمي مدخراته من الالمان بل من الفرنسيين •
المــرأة : (تندفع الى البوابة) افتحوا البوابة (وعندما يوقفها الشرطيان تصرخ من خلف الجدار) ما سيحملونه على السيارات هو مؤن النزل •
المعلــم : فيليب لا يجوز لك أن تدعها تصرخ بهذا الصراخ •
اصوات من الخارج: انهم يمررون المؤن خفية • اخلعوا البوابة • اليس بيننا رجـال ؟ ينقلون المؤن ويسلموننا نحن الى الدبابات الالمانية •
(يخلع النازحون الباب • يتوجه العمدة الى ملاقاتهم)
العمــدة : ايها السادة والسيدات • اياكم والعنف • كل شيء سيسوى •
(وبينما يفاوض العمدة النازحين عند البوابة ينشأ في الفناء شجار كلامي فتتكون جماعتان : المعلم واحد النازحين والمرأة واهـل سيمون من جهة ، ومن الجهـة الاخرى سيمون والسائقون والنازح الثاني والعم غستاف • يظل جورج على حدة ويتابع تطوره • وفي هذه الاثناء تخرج العجوز السيدة سوبو من غير ان يلحظهـا احد • وهي امرأة طاعنة في السن وكل ثيابها سوداء) •
المــرأة : بقي ما لا يقل عن ثمانين شخصا لا يملكون وسيلة تنقلهم •
المعلــم : ولكنك تحملين معـك صرتك ، ياسيدتي فكيف يتحتم علي انا ان ادع كـل شيء اليست هذه السيارات لي انا •
العمــدة : الى كم محلا تحتاج ياسيد سوبو ؟
المعلــم : احتاج لما يستوعب ستين صندوقا على الاقل • اما السيارة الثانية فيمكن أن تتسع بعد ذلك لثلاثين نازحا •
المــرأة : أنت تنوي اذن أن يبقى هنا خمسون نازحا ، أهذا ما تنويه ؟
العمــدة : لنقل انك تكتفي بنصف سيارة لنستطيع على الاقل نقل الاطفال والمرضى •
المــرأة : تريد ان تقسم كل عائلة شطرين ؟ اي عمدة هذا !
المعلــم : ويمكـن لثمانية أو عشرة أشخاص ان يتخـذوا اماكنهـم عـلى الصناديق (للسيدة ماشار) الفضل في ذلك لأبنتك •
المــرأة : في هذه الطفلة من المروءة أكثر مما فيكم جميعا •
السيدة ماشار: اعتبر طفلتنا سيمون ياسيد هنري • اخوها هو الذي حشا راسها بهذه الافكار وتلك كارثة حقـا •

سيمـون : انتم تعرفون المنطقة • يمكنكم ان تسلكوا الطرقـات الفرعية • وتتركوا الطريق الرئيسية العامة سالكة للقوات •

روبـير : لا ننوي أن نعبر مياه الطوفان بمؤنه •

سيمـون : ولكنكم تنقلون المرضى والاطفال •

روبـير : النازحون ، هذا شيء آخر

العمغستاف : لا تتداخلي في هذه الامور ياسيمون • هذه نصيحتي لك •

سيمـون : ولكن بلادنا الجميلة فرنسا تتعرض لخطر مميت ياعم غستاف •

العمغستاف: وهذا الكلام أيضا جاءك من ذلك الكتاب اللعين « بلادنا الجميلة فرنسا تتعرض لخطـر مميت » •

روبـير : نزلت السيدة سوبو وهي تومىء اليك • (تمضي سيمون نحو السيدة سوبو) •

المـرأة : (للجمهور الذي يزدحم عند البوابة) ما علينا الا ان نستولي عـلى كل شيء : السيارات والمـؤن •

السيدةسوبو: دونك المفتاح ياسيمون • خذي من المدخرات واعطيهم ما يشتهون • عم غستاف ، جورج ساعداها •

العمدة : (بقوة) مرحى يا مدام سوبو ، عظيم جدا •

المعلـم : كيف تفعلين هذا يا امي ؟ وقبل كـل شيء كيف خطر ببالك ان تنزلي ؟ تعرضين نفسك للموت في مثل هذا التيار من الهواء هت • هذا عدا ما عندنا في القبو من خمور معتقة ومن مدخرات بقيمة ستين الف فرنك •

السيدةسوبو: (للعمدة) كـل ذلك في خدمة النازحين • (لابنهـا بجفاف) هل تفصل نهبـا بحسب الاصـول ؟

سيمـون : (للمرأة التي تحمل رضيعها) ستوزع المؤن عليكم •

السيدةسوبو: ياسيمون ان ابني يأخذ باقتراحك ويضع كل مدخرات الفندق تحت تصرف الناحية• ولا يبقى بعد هــذا الا الاواني الخزفية والفضية • وهي لن تربككم • وسـوف تحملونها • اليس كذلك •

المـرأة : ومحلاتنا داخل الشاحنات ماذا سيصيبها في هذه الحالة •

السيدةسوبو: سننقل كـل الناس الذين يمكننا نقلهـم • ويرى النزل من دواعـي كرامته ان يتكفل بمؤونة من يمكثون •

صوت آخر : (أحد النازحين يصرخ باتجاه البوابة) غاستون ؟ هل يقبل العجوزان « غرافيل » وعائلة « ميتيبي » ان يبقوا هنا اذا امنت اعاشتهم •

صوت من الخلف: (يصرخ) هذا محتمل جدا يا جان •
المـــرأة : مهلا ! اذا موتونا فانا ايضا اقبل ان ابقى !
السيدة سويو: اهلا بك •
العمـلة : (صوب البوابة) ايها السادة والسيدات ، احتمـوا انفسكم • مدخرات الفندق تحت تصرفكم •
(يدخل بعض النازحين الى المخزن مترددين) •

السيدة سويو: واحملي الينا بعض زجاجات الكونياك ياسيمون من صنف مارتل الممتاز •
سيمـون : نعم ياسيدتي • (تومىء الى النازحين ويدخل معهم الى المخزن العم غستاف وجورج •
المعلـم : انت تشتهين موتـي •
(يسحب احد النازحين الى خارج المخزن بمساعدة جورج صندوقا مـن المـؤن • يقوم وهو مشرق بدور البائع الجوال •

احد النازحين: فواكه ، شرائح لحمية ، شوكولاته ، وجبات للسفر ، مجانا في هذا اليوم !
المعلـم : (يخرج عن طوره وهو يتأمل علب المحفوظات التي حملها النازحون مع جورج عبر الفناء والى الطريق) ولكن هذه بقالة فاخرة ، كبد دسمة ؟••

السيدة سويو: (تهمس اليه بصوت خفيض) هـلا سكتت ! (للنازح بتودد كبير) ارجـو أن تعد ذلك من ذوقك ياسيدي •
(النازح الآخر يجر عبر الفناء بمساعدة العم غستاف سللا ملأى بالمؤن •)

المعلـم : (يئن نادبا) خمري من صنف « بومار » ١٩٢٣ ولكن هذا هو الكافيار ، وهذا ••
العمـلة : هذه ساعة التضحيات ياهنري (بلهجة مؤثرة) المطلوب أن نرى مروءتك •
مـوريس : (مقلدا تعجب المعلم) خمري من صنف « بومار » (يربت على كتف سيمون وينفرب في الضحك) يا سيمون ، في مقابل المتعة التي انال هذا المشهد فانا اقبل أن احمل لك صناديق الآنية الخزفية •

المعلـم : (مغتاظا) الحقيقة اني لا ارى في ذلك ما مضحك • (مع اشارة نحو السلل التي تختفي) ها قد وقعنا في لنهب بحسب الاصول •
روبيـر : (ملاطفا وهو يحمل سلة) لا تدع نفسك تنهار• فبالمقابل سنحمل لك آنيتك الخزفية•
السيدة سويو: موافقة (تاخذ بعض العلب والزجاجات وتحملها لأهل سيمون) خذوا ، خذوا أنتم ايضا • وأنت ياسيمون أعطي اهلك اقداحا •
(سيمون تنفذ الأمر ثم تذهب وتاتي بمنضدة تضعها بملاصقة الجدار ثم تغرق من السلة مؤنا وتناولها من فوق الجدار للنازحين الذين في الخارج) •

السيدةسوبو: موريس ، روبير ، عم غستاف خذوا القداحة أنتم أيضاً (بإيماءة نحو الشرطة) أرى القوة المسلحة قد خدمت نفسها . للمرأة التي تحمل الرضيع) وأنت أيضاً اشربي جرعة معنا . (للجميع) سيداتي سادتي ، لنرفع أكوابنا على شرف مستقبل بلادنا الجميلة فرنسا .

المعلم : (وقد بقي وحده بمعزل من الشرب) وأنا ؟ أتشربون نخب فرنسا بدوني . (يصب لنفسه قدحا وينضم الى الجماعة)

العمدة : (للسيدة سوبو) ياسيداتي باسم ناحية سان مارتان أشكر النزل على الهبة السخية التي قدمتها (يرفع قدحه) على شرف فرنسا ، على شرف المستقبل .

جورج : ولكن ماذا تفعل سيمون .

(تظل سيمون منهمكة في توزيع الاطعمة على النازحين من فوق الجدار)

العمدة : سيمون ! (تقترب سيمون لاهبة الخدين مترددة) .

السيدةسوبو: هنا ياسيمون ، خذي قدحاً أنت أيضا . الناس هنا مدينون لك بالجميل . (يشرب الجميع) .

المعلم : (للسائقين) ها قد عدنا أصدقاء من جديد . أتظنون حقا ، أتظنون حقا انه كان من الممكن أن أفكر للحظة واحدة في ترك النازحين هنا . ياموريس وياروبير ان لي طبعي ولكنني قادر تماما على تقدير الدوافع الرفيعة حيثما وجدت . وأعرف كيف أعترف بأخطائي . فذلك لا يخيفني . اصنعوا صنيعي . ولننس خلافاتنا الشخصية الصغيرة . فهي تواقه . أجدر بنا أن نكوّن جميعا كتلة متماسكة تجاه العدو المشترك . أتعدونني بذلك ؟ (يمد اليهم يده ، يمدها لروبير الذي يهزها وعلى وجهه ابتسامة بلهاء . بعد هذا يمد جورج يده اليسرى . ثم يتقبل المعلم المرأة ذات الرضيع . يناوله العم غستاف الذي ما زال تحت وطأة الغضب ، يده وهو يدمدم . ثم يلتفت المعلم الى موريس السائق الذي لا يبدي استعداداً لأن يمد يده).

سيمون : (بلهجة الملامة) موريس !

موريس : (يمد يداً مترددة ، ساخراً) عاشت قديستنا الجديدة جان التي تعمل على توحيد جميع الفرنسيين .

(يصمم السيد ماشار ، سيمون)

السيدةماشار: (تشرح) هذا لتتعلمي كيف تعاندين معلمك .

المعلم : (للسيد ماشار) لا تفعل هذا . (يجذب سيمون من كتفها ويواسيها) فسيمون طفلتي المفضلة ياسيدتي . هذه ناحية الضعف فيّ . (للسائقين) ما فعلنا كل

شيء بعد يا اولاد • بقي علينا تحصيل الآتية • انا واثق ان السيد ماشار سيماوسا هو ايضا •

العمدة : (للشرطيين) وانتما ايضا ستساعدان السيد سوبو اليس كذلك ؟•

المعلم : (ينحني امام المرأة ذات الرضيع) سيدتي !•

(تتفرق الجماعة • يبدأ الجمهور في الخارج يبتهج • لا يبقى على المسرح سوى المعلم والعمدة والسيدة سوبو وسيمون والسائقين وجورج) •

المعلم : هذه لحظة عظيمة يا أولاد • ما كنت احب ان تفوتني على الاطلاق • لا رد الله الكافيار ولا الخمر • ما احبه هو ان ارى الجميع يتفاهمون •

موريس : ومة مصير معمل الاجر من ذلك كله ؟

العمدة : (حذرا) صحيح ياهنري • فمعمل الاجر ايضا لابد من تدبير امره •

المعلم : (وقد تاثر المستاء) ماذا ؟ ما الذي تريدون بعد ذلك ؟ ارسل الى المعمل اذا شئت سياراتك التي ليس فيها وقود وتستطيع أن تملأ خزاناتها منه • رضيتم الآن؟

روسير : في « ابميل » كانت الدبابات الألمانية تتزود بالوقود من المضخات على جانب الطريق• وعلى هذا فقد كان تقدمها سريعا •

جورج : لم تكد الكتيبة ١٣٢ تجد وقتا ترتد فيه حتى لحق الالمان مؤخرتها فابادوا سريتين بسهولة •

سيمون : (مرتعبة) ولكن السابعة لم تصب ؟

جورج : السابعة ، لا •

العمدة : مدخرات البنزين يجب أن تدمر ياهنري •

المعلم : لعلكم تستحلون قليلا ؟ فنحن لانستطيع أن ندمر كل شيء منذ الآن • ومن يعلم ؟ لقد تنجح في صد العدو • صحيح ياسيمون ؟ قولي للسيد شافيز ان فرنسا ليست وشيكة الضياع • (للسيدة سوبو) والان وداعا ياأمي • التركك وبالي مشغول• ولكن لديك سيمون لتكون سندا لك • وداعا ياسيمون • لا اخجل من ان اقول لك شكرا •

المعلم : •••• انت فرنسية حقيقية (يعانقها) فما دمت هنا لن يقع شيء بين ايدي الالمان انا واثق من ذلك • يجب الا نترك لهم من النزل الا الجدران العارية • اتفقنا ؟ اعلم انك ستفعلين ما كنت افعله انا نفسي • وداعا يافيليب ايها الاخ القديم • (يعانقه ، وياخذ امتعته ، تحاول سيمون مساعدته) •

المعلم : (يرفض يده) خلي عنك • الأولى أن ترى انت وأمي ما يجب عمله فيما بعد بمدخراتنا • (يخرج باتجاه الطريق) •

سيمـون : (متعلق بالسائقين) موريس ، وروبير ! (سيمون تقبل كلا منهما على خديه ثـم ينصرف موريس وروبير بدورهما نهائيا) .

صوتمذياع : علمنا في هذه اللحظة أن تشكيلات مدرعة عدوة وصلت الى « تور » (يتكرر هـذا النبأ مرات حتى نهاية المشهد) .

العمـدة : (شاحبا ، فاقدا اتزانه) وإذن فقد يصلون الينا هذه الليلة .

السيدةسوبو: ما لك يافيليب ، كن رجلا .

سيمـون : سيدتي سأسارع الى المعمل الآجر انا والعم غستاق وجورج لتدمير مدخرات البنزين.

السيدةسوبو: سمعت مع هذا تعليمات المعلم ؟ طلب الينا الا نعمل شيئا بعجلة . على كل حال فهناك أشياء يجب أن تتركي لنا مباشرتها ياصغيرتي .

سيمـون : ولكن موريس يقول ياسيدتي أن الالمان يتقدمون بسرعة .

السيدةسوبو: كفى ياسيمون ! (تتهيأ للانصراف) ففي هذا المكان تيار هوائي شديد . (للعمدة) اشكرك يافيليب على كل ما فعلته اليوم للنزل . (عـلى عتبة الباب) في الواقـع ياسيمون بما أن الجميع انصرفوا الآن فمن المحتمل ان اغلق النزل . فارجعي لي مفتاح مخزن المؤن .
(سيمون مهزوزة ، تعيد اليها المفتاح) .

السيدةسوبو: اظن الافضل لك ان تعودي الى بيتك بين اهلك . وما علي الا ان احمد لك خدماتك

سيمون : (لا تفهم) لكن الن تحتاجوا الي عندما تاتي البلدية لتسلم المدخرات.
(تعود السيدة سوبو الى الفندق دون أن تنبس بكلمة .

سيمـون : (بعد فترة صمت ، ملجلجة) قد صرفت من الخدمة أيها السيد العمدة ؟

العمـدة : (مواسياً) اخشى ذلك . ولكن لا يجوز لك أن تخجلي . فلقد سمعتها تقول مـا علي الا ان احمد لك خدماتك . وهذا الكلام من فمها له شانه .

سيمـون : (بصوت خاب) نعم ياسيدي .

(ينصرف العمدة بادي الذهول . تتبعه سيمون ببصرها) .

حلم سيمون ماشـار الثاني

ليلة ١٥ حزيران

موسيقى مشوشة ذات إيقاع رسمي . من الظـلام تنبعث جماعـة سمرّهـا الانتظار . العمدة بالرداء الملكي ، والمعلم والعقيد كلاهمـا يلبس لأمة وبيد كل منهما عصا القيادة . يلبس العقيد فوق لأمته لباس الميدان .

العقيـد : استولت قديستنا جان عـلى اورليان ورانس بعد ان اخليت الطريق العامـة لعبور التعزيزات صار من الواجب منحها بعض الاوسمة . هذه بداهة .

العمـدة : هـذا من شاني ، من شان الملك . وسيقبل الارض بـين يديهـا أصحاب المراتب والعائلات الكبيرة في فرنسا كانما كل هذه الشخصيات كانت تتجمع في هذا المكان .

العمـدة : في الواقع علمت انهم صرفوها من الخدمة (خافضا صوته) بناء على طلب السيدة الوالدة ايزابو الجبارة ملكتنا . على ما قيل لي .

المعلـم : لا علم لي بذلك ، ولم اكن متواجدا في مكان الحادث ، في الحقيقة لـم يكـن ذلك فرضـا ملازمـا . سيمون طفلتي المفضلة . ومـن الطبيعي أن تبقى في خدمتي . يقول العمدة في لغة الحلم شيئا لا يتفهم كانه ملاحظة ليغير الحديث .

العقيـد : ها هـي ذي !

تتقدم سيمون بخوذتها وسيفها وامامها حرسها الشخصي الذي يتكون من موريس وروبير والجندي جورج . يلبس ثلاثتهم دروعا . ومن الظلام ينبعث ايضا اهـل سيمون ومستخدمو النزل وجمهور الناس.يرد الحرس الشخصي الجمهور بالرماح.

روبيـر : افسحوا المكان للعذراء .

السيدةماشار: (تلوي عنقها لترى) هاهي تلك . لا بأس بالخوذة عليها .

العمـدة : يمشي خطوة نحوهـا ، ياعزيزتنا جان ، مـاذا نستطيع ان نفعل لك ؟ تمني أمنية نستجب لك .

سيمـون : (تنحني) أيها الملك شارل ارجوك أولا ان تعمل على أن تستمر مدينتي الغالية في تلقي غذائها من مدخرات النزل انت تعلم انني ارسلت لمؤاساة الفقراء والمعوزين، وعليك ان تعفيهم من الضرائب .

العمـدة : لا جدال في ذلك . وغيره ؟

سيمـون : ثانيا عليك أن تستولي على باريس . يجب أن تشرع من غير تأخير بمعركة فرنسا الثانية أيها الملك شارل .

المعلـــم : (دهشا) معركة فرنسا الثانية ؟•

العقيـــد : ولكن ما رأي السيدة سوبو في ذلك ، ايزابو الجبارةملكتنا •

سيمـــون : ارجو أن تؤجـرني جيشا أستطيع بـه أن أكسر العدو وذلك قبل أن ينقضي العام أيها الملك شارل •

العمـــدة : (باسماً) ياعزيزتنا جان ، ما علينا الا أن نحمد لك حماتك • وهذا الكلام من فمنا له شأنه • ولكن لنقف عند هذا الحد • فهناك أشياء يجب أن تتركي لي أمر العناية بهـا • في الوقت الحاضر ساغلق النزل وستعودين الى أهلك • وقبل ان تذهبي سترفعين ولا شك الى مرتبة النبلاء • أعطني سيفك • لا أعلم أين تركت سيفي • ذلك لكي أجعلك سيدة فرنسا العظيمة •

سيمـــون : (تناوله سيفها وتركع) هاهو ذا المفتاح •
(الموسيقى المشوشة بارغنهـا وجوقاتهـا تذكر باحتفالات دينية مهمـة ، يمس العمدة بحركة احتفالية كتف سيمون بالسيف •

الحرس الشخصي والشعب: (عاشت العذراء • المجد لسيدة فرنسا العظيمة •)

سيمـــون : وقد رأت العمدة يهم بالانصراف) لحظة أيها الملك شارل لا تنس أن تعيد الي سيفي•
(مستحثة) لم يغلب الانكليزي بعد و « بورغوني » يجمع جيشا جديداً أرهب من الاول • أشد المصاعب تبدأ الآن •

العمـــدة : شكراً جزيلا لهديتك • وشكراً جزيلا على الاشياء الاخرى ياجان • (يعطي سيف سيمون للمعلم) اذهب الى بوردو احمله الى مكان أمين ياهنري • وعلينا نحن الآن ان نكلم على انفراد العجوز السيدة سوبو ايزابو الجبارة ملكتنا • الوداع ياجان وشكراً على صحبتك لنا •
(يخرج هو والمعلم والعقيد)

سيمـــون : وقد استبد بها خوف عظيم) ولكـن العدو يصل ، ما لكـم ؟ تتحول الموسيقى الى مجرد ضوضاء جمهور ، يخفت الضوء ويتوارى الشعب في الظلام •

سيمـــون : تظل برهة من غير أن تستطيع الحركة ، ثم ••) النجدة ! ساعدني ! اهبط ياملاكي كلمني ! الانكليزي يجمع جيشا • « وبرغوني » أخل بالعهد • أما جماعتنا فقد تشتتوا • يظهر الملاك على سطح المرآب • وبلهجة الملامة) ماذا فعلت بسيفك ياجان؟

سيمـــون : (مضطربة تعتذر) اخذوه مني ليرسموني سيدة الطبقة النبيلة ولم يعيدوه الي (بصوت خفيض وهي خجلى) صرفت من الخدمة •

المــــلاك : فهمت؟ (بعد صمت) ياخادمــة أمنا فرنسا • لا تقبلي ان تصــرفي • أصمدي • فرنسا تريد ذلك • تنتظري قبل ان تعودي الى اهلك • سيموتون حزنا ان رأوك مصروفة من الخدمة • ثم انك وعدت اخاك ان تحافظي له على عمله في المرآب ، لانه سيعود ذات يوم • ابقي ياجان ! كيف تتركين عملك الان في حين أن العدو يمكن أن يفاجئنا بين ساعة واخرى •

سيمـــــون : وهل نحب ان نتابع القتال حتى لو انتصر العدو ؟

المــــلاك : (هل يهب النسيم هذا المساء ؟)

سيمـــــون : (نعــم) •

المــــلاك : (ألا ترين شجرة في الفناء ؟

سيمـــــون : (بلى ، الصفصافة •

المــــلاك : وعندما تمر الريح عليها هل تسمع خشخشة في أوراقها ؟

سيمـــــون : نعم ، وبوضوح •

المــــلاك : لابد اذن من متابعة القتال حتى لو انتصر العدو •

سيمـــــون : (وكيف أحارب وليس معي سيف ؟

المــــلاك : اصغي !

(في اليوم الذي يدخل فيــه الغازي قريتك فليكن الامر كما لو انه يحتل شيئا • لا ينبغي ان يوجد بينكم من يسمه مفتاحا • لان الذي جاءكم ليس ضيفا نرحب به وانما هو حشرة تسحق • لا ينبغي أن يجد له طعما ولا منضدة يجلس اليهــا ولا سريرا أو مقعدا يستريح اليه • كل مالا يحترق خبئوه • افرغوا كل جرة من حبيبها ، ادفنوا كل رغيف • يجب أن يصرخ : رحمة بي ! وان تجيبه أيها الوحش افجر ! يجب ان يأكل من تراب الارض • وليسقط في التراب كل بيت تقيم فيه• يجب أن ييأس مــن ان يثير عطف أيــة محكمة • لا يبقين شيء في قريتك حتى ولا الذكرى • لا يبقين سوى العدم • ولا تقعن نظراته الا على الفــراغ • واقدامه الا على الصحراء • كان لم يكن في هذا المكان ما يقوت الانسان • امضي الآن ودمري كــل شيء •

يعتم المسرح • وبالموسيقى المشوشة ، يختلط برقق والحـاح قول الملاك متكررا • امضي الآن ودمري كــل شيء • كما يختلط بالموسيقى ضجــة واضحة التميز هــي صوت الدبابات الثقيلة اثناء زحفها •

ثالثــا ـ الثــار

(السيدة العجوز سوبو متقنعة بالسواد ، وخلفها تيريز وصيفتها والعم عشاف الذي يلبس بدلة لاحد ، كلهم ينتظرون عند الباب القائد الألماني . يقف جورج باللباس المدني الذي صار لباسه منذ اليوم ، مستنداً الى المرآب الذي تستتر فيه سيمون عن السيدة سوبو وتصغي الى ما يقال لها . في الخارج يُسمع صوت الدبابات .

سيمــــون . لونها باهت ، لانها خائفة .

جــــورج : هي تعتقد انهم سيوقفونها رهينة ليقتلوها بعد ذلك . لم تنم طوال الليل . كانت مضطربة أشد الاضطراب . ولقد سمعتها تيريز تصرخ عاليا وتقول « الجزائرون سيذبحون كل الناس ومع ذلك فقد بقيت خوفا على فلوسها . والآن هي تنتظر النقيب الألماني ـ لا افهم في الحقيقة لم لا تريدين ان تظهري امامها . هل حدث شيء؟

سيمــــون : (تكذب) لا ، لا . كل ما في الامر أنها ستطردني لو وقع بصرها علي خوفا من ان يسيء الي الالمان .

جــــورج : (غير مصدق) امن اجل هذا ، من اجل هذا فقط لا يصح ان تراك ؟

سيمــــون : (مغيرة الموضوع) أتظن أن الالمان يتركون موريس وروبير ؟

جــــورج : ممكن . في الواقع لم تركت الغرفة التي كانت لك هناك ؟

سيمــــون : (تكذب) صار في المرآب مكان لي الآن بعد ان ذهب السائقان . اتظن ان اندريه يعود في الوقت الحاضر ؟

جــــورج : هذا قليل الاحتمال . لعلها صرفتك من الخدمة ياسيمون ؟

سيمــــون : (تكذب) لا .

جــــورج : ها هم اولاء الالمان .

(يبدو القائد الالماني آتيا من الطريق ، يصحبه النقيب فيتان . وعند البوابة يتبادل الرجلان والسيدة سوبو صندوق التحيات المهذبة . ولكن لا يسمع ما يقولون) .

جــــورج : ان السيد النقيب فيتان ، وهو فاشي بين خلصائه ، لـه الشرف أن يقدم للسيدة العدو المتوارث . عرض فخم للمجاملة المهذبة . كلاهما يشمئز من الاخر ولا يبدو مع ذلك على اي منهما انه يستشم رائحة كريهة . فالعدو المتوارث انسان اجتماعي ومثقف . يبدو على السيدة ان ذلك قد خفف عنها كثيرا (همسا) هاهم اولاء .

(تتراجع سيمون • تقود السيدة سوبو السيدين عبر الفناء الى النزل • تتبعه تريز متخلفة عنهم) •

العمفستاف : (الذي همست السيدة سوبو باذنه شيئا يقترب من جورج وسيمون) السيدة ترغب الا ترى بعد الآن في النزل دهماء النازحين • فان ذلك قد يزعج هؤلاء السادة الالمان • وعلى ما يبدو فقد كان بوسع المعلم ان يبقى هنا •

جـــورج : يقول اول اعلان لهم في الاذاعة : « ليس على احد ممن يحترم النظام والهدوء ويعمل على احترامهما ان يخاف على نفسه » •

العمعستاف هـذا الذي دخـل لبيل قليل يقول : « اذا شئت » وعندما يطلب شيئا يقول « اذا شئت تفضل وار خادمي أين غرفتي » •

سيمـــون صحيح ولكنه العدو • (يمضى العم فستاف الى المخزن)

جـورج : وهل حلمت ابنة عمك حلما آخر ؟

سيمـــون : نعم في الليلة الماضية •

جـــورج : بالعذراء ، كعادتهـا ؟ •

سيمـــون : (تجيب نعم برأسها) رفعوها الى مرتبة النبلاء •

جـــورج : لابد انه كان يوما جميلا لها •

سيمـــون : واعفوا قريتها من الضرائب كما جاء في الكتاب •

جـــورج : (أميل الى الحسم) ولكن الواقع ان مدخرات النزل لن توزع كما كان الوعد •

سيمـــون : (مرتبكة) لم تحدثني ابنة عمي عن هذا •

جـــورج : آ • هـــا •

سيمـــون : يا سيد جورج اذا ظهر شخص على هيئة ملاك في حلم كالاحـلام التي تحلمها ابنة عمي من حين لآخر ، فهل يعني هذا بالضرورة أن هذا الشخص ميت •

جـــورج لا أظن • بل قد يعني ذلك ببساطة ان التي تحلم ، تخاف من حين لآخر ان يكون ذلك الشخص قد مـات • قولي لي هـل هناك اشياء كثيرة يكلفون بهـــا ابنة عمك في الحلم ؟

سيمـــون : يعني •••

جـــورج : في آخر مرة ، هل حدث ما يزعج في الحلم ؟

سيمـــون : لم تسأل ؟

جـــورج : لأنك لم تقولي لي شيئا ذا بال •

سيمـــون : (برصانة) لم يقع ما يزعج •

جـــورج : سألتك هذا السؤال لانني اتصور أن هناك من يتعلق بهذه الاحلام تعلقا شديدا حتى ليبسى فجاة انه يعيش هنا في وضح النهار ، لا في الحلم

سيمـــون : (ببهجة جافة) مادام الأمركذلك فلن احدثك بعد عن احلام ابنة عمي ياسيد جورج• (يدخل الى الفناء المرأة ذات الرضيع وتارح آخر) •

سيمـــون : آتيا من أجل الاعاشة • أفهمها الامـــر بلطف ياسيد جـورج (تختبيء وترقب مـا يجـــري) •

جـــورج (يتقلم) سيدتي •

المـــرأة : الآن صارت الدبابات هنا •

الرجـل : هناك ثلاث دبابات تقف أمام مبنى البلدية •

المـــرأة : وهي ضخمة ، سبعة امتار طول الواحدة •

الرجـل : (يشير الى الحراس الالمان) أنتبهي •

السيدقسوبو: (تظهر على باب النزل) جورج ، غستاف ، احملا المقبلات الى قاعة الطعام للسيد النقيب • عم تبحثن هنا ، أنتما ؟

المـــرأة . جئنا بشان الاعاشة ياسيدتي • بقي في باحة المدرسة واحد وعشرون شخصا •

السيدقسوبو: ولكني أوصيتك يجورج أن تبقي السائلين بعيدين عن النزل •

الرجـل : سائلـين ؟ ماذا تعنين ؟

السيدقسوبو. لم لا تقول لهؤلاء الناس ان علاقتهم اصبحت بالقيادة الالمانية لا بنا ؟ مضت أيـام الرخـاء •

المـــرأة اهذا ما ستحمله لنازحين في باحة المدرسة ؟ تصوري أنك تصحباهم جميعا بانيقاء ليتسنى لانيتك الخزفية أن ترحل !

السيدقسوبو: ياسيدتي من الافضل لكم الا تقوموا بدور المخبرين •

المـــرأة وأنت لا تحتمي بالالمان •

السيدقسوبو: (من فوق كتفها الى الداخل) هو نوري !

المـــرأة • في هذه الساعة كان من الممكن ان أكون عند اختي في « وردو » مع ابني • أنت وعدت بإطعامنـا •

السيدقسوبو: تحت التهديـد •

النقيب : (الذي يجيء ويقف خلفها) وفي ظل مشهد من مشاهد النهب الحقيقية : أما الآن فستعيد النظام والطاعة الى هذا المكان • يا أصحاب (يشير الى الحراس الالمان) • اتفضلون ان أستدعي الحراب لطردكم من هذا الفناء ؟ لا تحتدي ياماري • تعلمين ان عليك الانتباه لقلبك •

المـرأة : قـذرون •

الرجـل : (يوقفها ويجذبها الى الباب) لن يستمر هذا العهد طويلا •

السيدةسوبو: بدا هؤلاء يلوكون الاقذار • متوحشو مدن الشمال الكبرى يجيئون ليفرغوا قذاراتهم في ريفنا الآمن • ها نحن أولاء يجتاحنا رواد أقذر الحانات • لابد أن يصل الامـر بنا الى تسقين هؤلاء الناس دوما داميا • عم غستاف هيء فطورا لاربعة أشخاص •

النقيب : (لجورج) يا ، أنت ، هناك ! سياتي العمدة ، قل له ان يلتقاني قبل انيرىالقائد•

(يقود السيدة سوبو الى النزل حتى اذا تواريا ركضت سيمون لتلحق بالنازحين)

جـورج : عم غستاف مقبلات السيد النقيب •

صوتالعمغستاف: (آتيا من المخزن) مفهوم • انا دائما بامر السيد النقيب •

(تعـــوه سيمـون لاهثـة)

جـورج : ماذا قلت لهـم ؟

سيمـون : قلت لهم ان يقولوا للنازحين أنهم سيحصلون على ما يحتاجون اليه • ساهتمبالأمر هـذا المسـاء •

جـورج . صحيح ، فالمفتاح ما زال معك •

سيمـون . وعدتهم بذلك •

جـورج لكن انتبهي جيدا • فانت ترتكبين سرقة •

سيمـون : قد قال المعلم « ما دمت هنا فلن يقع شيء بين أيدي الالمان انا واثق من ذلك » •

جـورج • ولكن النغمة تغيرت الان مع السيدة الوالدة •

سيمـون : لعلها لا تفعل ما تريد • (يظهر العمدة عند البوابة)

سيمـون : (تبدر اليه وتوشوشه) سيدي العمدة ، ما الذي سيحدث الآن ؟

العمـدة : ما رايك أنت ياسيمون ؟ سابشرك بنبا سعيد • وشحت اياك مستخدما فيالبلدية• أنت تستحقين ذلك ياسيمون • فلا أهمية بعد الان لفقدانك عملك •

سيمـون : (موشوشة ، ابدا) اصحيح ان امـام البلدية ثلاث دبابات ؟ (خافضة صوتهـا) والوقود الذي ما زال هناك ؟

العمـدة : (شاردا) آه نعم ، هذه غباوة • (فجاة) لكني سافكر بذلك • مـاذا تفعلين في النزل ياسيمون •

سيمـون : لكن يجب ان تعمل شيئا بشان هـذا الوقود ياسيدي • الا تستطيع انت ان تفعل شيئا ؟ لا شك ان السيدة سوبو ستسال بهذا الصدد •

العمـدة : لا أظن ان هنالك مجالا للقلق على السيدة سوبو يا سيمون •

سيمـون • أنا قادرة على ان افعل شيئا ما • فانا اعرف معمل الآجر كما أعرف نفسي •

العمــدة : (مشتتا) سيمون ارجو ألا تفكري بالاقدام عـلى حماقات فأنا مسؤول عن كل مـا يجري في سان مارتان • اتفهمينني ؟

سيمــون نعم يا سيدي العمدة •

العمــدة • لا ادري لم احدثك عن هذا كله وانت طفلة بعد • ولكنني أرى أن على كل واحد أن يتصرف كاحسن ما يستطيع • أليس كذلك ؟

سيمــون : بالتأكيد ياسيدي العمدة • ولو كان لمعمل الآجر أن يحترق ••

العمــدة : يا الهي ! تلك أشياء لا يجوز حتى تصورها • والآن عني أن أدخل • هذه أشق خطوة خطوتها في حياتي • (يتهيأ للدخول ، يخرج النقيب) •

النقيب سيد شافيز وصلت في الوقت المناسب لغداء •

ألعمــدة . لكنني تغديت •

النقيب : هذا مؤسف • ولا يبدو عليك انك فهمت عني جيدا • ففي نهار أمس أيضا وقعت ها هنا جملة من الحوادث المزعجة ، وذلك على مرأى ومسمع من السلطات • ومن المؤسف أن هذه السلطات لم تـر من واجبهـا معاقبة الدسائس الفاضحة لبعض العناصر التي تسعى الى استغلال نكبة فرنسا لأغراضها الانانية • فاقل ما ينتظره ما ضيوفنا الالمان ثمة تدل على حسن النية • انظر مثلا ؟ عـدم القائد الالمانـي بوجود مخزونات البنزين في مستودع لاحد معامل الآجر • فلعلك تستطيع الاهتمام بهذه القضية • ولعل ذلك يحرك شهوتك لطعام تفضل ياسيدي العمدة •

العمــدة : (مترددا جداً) تفضل ياسيدي النقيب •

(يدخل الرجلان الى المنزل • العم غستاف الذي خرج من المخزن يسير على الرغم)•

العمغستاف• (يدخل حاملا طبقه من المقبلات المتوعة) الجو بديع هذا الصباح ، والرحلة تبدو موفقة ! عندما يلاقي فري فريا •• بين صناع الذهب اقرب النسب « أليس صحيحا يا جورج ؟ » انهم يبيعون فرنسا كما يبيعون مقالتهم • (يدخل النزل • تتابـع سيمون ما يجري • وقد جلست) •

جــورج : سيمون ! ما بك ؟ سيمون !•

(سيمون لا تجيب • جورج الذي هم بتحريكها يتوقف قبل ن يتم حركته وكأنـه شل • وأثناء حلم اليقظة الذي تحلمه سيمون تتردد على نحو آلي وبصوت ضعيف كلمة العم غستاف ••• عندما يلاقي فري فريا • »

حلم اليقظة الذي تحلمه سيمون ماشــار

(في ٢٠ حزيــران)

« أمام عسكرية مهمة • يعدو جدار النزل الذي يواجه المشاهد شفافــا • وأمام الجدار المزين بسجاد مطرز عتيق يجلس العمدة في زي الملك شارل ، و لنقيب في زي « دوق دي برغونني » والقائد الألماني وسيفه على ركبتيه ، والسيدة سوبو • يلعبون بالورق لعبة التيميدة على طاولة من المرمر » •

السيدة ايزابو : لا احب أن أرى الرعاع بعد أيها اللورد •

القائد اللورد : احتميبنا ياسيدتي ايزابو • سآخذ على عاتقي إخلاء الفناء ، ذلك يعيد النظام• قطعت الورق •

العمدة ـ الملك : اصغوا ! اتسمعون ما أسمع ؟ كانما هناك رجات طبول •
(يسمع من بعيد طبل جان)

النقيببرغونني : (لا اسمع شيئا • ضع آس السباتي)
(تتوقف رجات الطبل)

العمدة ـ الملك : (متشككا) حقا • أيها الدوق « دي بورغونني » • أخشى ان تكون « جــان » في ضيقة وانها تستنجد • الا ترى ذلك ؟

النقيببرغونني : عشرة الكبا • أنا بحاجة الى الامن لابيع خموري •

القائد اللورد : بكم تبيعين قطع الحلوى ياسيدتي •

السيدة ايزابو : لمن خلط الورق ؟ بعشرة آلاف دانق سيدي اللورد •

العمدة ـ الملك : هذه المرة ، أنا و ثق من ذلك • هي في خطر ، وفي خطر مميت • يجب ان نطير الى نجدتها ونقوم بعمليات التلمين الضرورية •
(يقف واوراق اللعب في يده) •

النقيببرغونني انتبه لنفسك • وإذا ذهبت الآن فلا عودة لك • لا يبدو عليك انك احسنت الفهم• لا سبيل الى اللعب بعد • فنحن كل الوقت مزعجون • شاب السباتي •

العمدة ـ الملك : (يعود الى الجلوس) طيب •

السيدة ايزابو : (تصفعه) هذا لتتعلم كيف تعاند معلمك •

القائد ـ اللورد: اتسمحين ياسيدة ايزابو (يعد قطع النقود على الطاولة) واحد ، اثنان ـ ثلاثة•

(يهز جورج سيمون ليخرجها من حلم اليقظة بينما يتابع المتنيب الغد)

جــورج : سيمون ! ها انت تحلمين الان وعيناك مفتوحتان .

سيمــون : أتاتي معي ياسيد جورج ؟

جــورج : (يحدق في يده العصوبة . يستضيء وجهه) . صرت أستطيع تحريكها ياسيمون.

سيمــون : حسن ، ولكن يجب ان تذهب الى محمل الآجر ياسيد جورج . فليس لدينا متسع من الوقت . وانت ياعم غستاف يجب ان تاتي معنا . لنسرع .

العمغستاف: (الذي جاء من المنزل) انا ؟ لقد وضعوا اعلانا يقول ان كل انسان يتلف معدات ذات نفع عسكري فسوف يقتل هؤلاء لا يمزحون .

سيمــون . يجب ان تذهب الى هناك . العمدة يريد ذلك .

العمغستاف: (العمــدة حنبي)

سيمــون : ولكنك انت ستاتي ياسيد جورج . هـذا من اجـل أبويه . لا اعرف كيف افعل لتدمير كل هذا الوقود . هل يجب احراق المعمل كله .

جــورج : ألم تفهمني بعد ؛ صرت أستطيع تحريكها .

سيمــون : (وهي تنظر اليه) الن فانت تريد ان تاتي معي ؟

العمغستاف: وهذا جندي الماني آخر .

(يصل الى الفناء جندي الماني وهو ينوء بامتعته . وما ان تراه سيمون حتى تهرب بسرعة وقد استبد بها الذعر) .

الجندي الالماني: (يرمي الى الارض بالرزم التي يحملها ، يرفع خوذته ليجفف جبينه ويحاول بعطف ان يعبر عن نفسه بالاشارات) هويتمان ، دربتين .

جــورج : (بالحركات) هناك . في المنزل . سيجارة ؟

الجندي الالماني. (ياخذ لسيجارة ويصرف باسنانه) . الحرب شيس (يقلد حركة التسديد . ثم يشير بيده اشارة للقلق) .

جــورج : (يصفر ضاحكا) بوم بوم . (يفرقع بشفتيه . وينفجران ضاحكين)

الجندي الالماني: هويتمان ارسكلوغ .

جــورج : ماذا ؟ كيف ؟

الجندي الألماني: (مقلدا القائد بنظارته) . عكروت .

جــورج : (يفهم اخيرا ويشرع في تقليد موفق للنقيب والسيدة سوبو) . كلهم عكاريت . (يستامان الضحك ثم يلم الجندي الالماني متاعه ويدخل الى النزل .

جــورج : (للعم غستاف) حلو ، حلو . سيكون التفاهم سهلا .

العم غستاف: لو كنت مكانك لما ركنت اليه كثيراً .
جـورج : صحيح .. ولا سيما بعد ان صحت ذراعي .
(يخرج من الفندق القائد الالماني والنقيب فيتان والعمدة والسيدة سوبو) .
النقيب فيتان: انا سعيد سيدي القائد انـنا استطعنا التوصل الى مثل هذا الاتفاق الودي .
القائد الالماني: سيدي اشكرك انـك وضعت تلقائيا مدخراتك من الوقـود تحت تصرفنا . لا لان القيادة بحاجة اليها ولكننا نقبلها دليلا على رغبتكم الصادقة في التعاون .
السيدة سوبو: ليس العمل بعيداً .
القائد الالماني: سارسل الدبابات اليه .
(تصطبغ السماء فجاة بلون أحمـر ، تجمد الجماعة وكانهـا سمرت بالارض . انفجارات في مكان بعيد) .
القائد الالماني: ما هـذا ؟
النقيب فيتان: (بصوت مخنوق) معمل الآجر .

الوقت ليل . يسمع دق على الباب (يخرج جورج من غرفته ويذهب كي يفتح للمعلم والسائقين الاثنين) .

المعلـم : كيف الحال ياجورج ؟ كيف صحة امي ؟ في الواقع يبدو عن الفندق انه ما زال سليما اشعر اني نجوت من الطوفان .. مرحباً ياسيمون !
(تصل سيمون خارجة من غرفة السائقين . لم تكد تجد من الوقت مايكفي لتلبس ثيابها . يقبلها روبير . يظهر العم غستاف بدوره) .
روبيـر : انك ! تقيمين في غرفتنا ؟ (يشرع في الرقص معها وهو يغني) .

عـاد جاك السكير
وما تزال روز هـنـا
وقد صبت امي قدح كونياك
وقدح بيرة لبابا

المعلـم : ما الذي وقع عندكم ؟
جـورج : وقع عندنا قائد الماني . اما السيدة سوبو فقد ارهقتها تلك التحقيقات بشان العمل . فالقائـد الالماني .

المعلم : أية تحقيقات ؟

سيمون : تصرفت في كل شيء ، كما لو كنت ستتصرف أنت نفسك • في مساء البارحة حملت الى النازحين شيئا من الطعام •

المعلم : (لا اسالكم عن هذا ما حكاية معمل الآجر ؟

جورج : (مترددا) حترق ياسيد هنري •

المعلم : (احترق ؟ احرقه الالمان ؟)

يجيب جورج « لا » برأسه •

المعلم : فلطة ؟ (ينقل بصره من واحد الى آخر ، ولا يتلقى جوابا) السلطات ؟

جورج : (لا) •

المعلم : النازحون اللصوص ؟

جورج : لا يا سيد هنري •

المعلم : (مشعل الحرائق بينكم اذن (يصرخ كمن فكت قلمه) من هو ؟ (لا يجيبه أحد) اه• نعم • أنتم جميعا متآمرون (بغيظ هادئ) بلغتم بالامور حدود الجريمة اذن• في الحقيقة كان يمكن ان أتوقع ذلك بعد دلائل عرفان الجميل التي غمرتموني بها آخر يوم • اغرب عني انت وآنيتك الخزفية • أليس كذلك ياعم عستاق • طيب • قيبت التحدي • وسترى •

جورج : كان ذلك بسبب الالمان يا سيد هنري •

المعلم : ساخرا (صحيح المعمل لي • ولكن عندما يحرق فذلك ضد الالمان • وبعبارة اخرى • لقد أعماكم بغضكم وحقدكم المدمر فقتلتم البقرة التي تطعمكم من حليبها (بخشونة) سيمون !

سيمون : نعم يا سيدي •

المعلم : قولي لي حالا من احرق المعمل ؟

سيمون : انا ياسيدي •

المعلم : (ماذا ؟ تجرأت •••؟ (يمسك بذراعها) من ساعدك ومن دفعك ؟

سيمون : لا احد يا سيدي •

المعلم : لا تكذبي أتسمعين ؟ لن اغفر أبدا ••

جورج : أرجوك ياسيد هنري أن تدعها فهي لا تكذب •

المعلم : من أمرك بذلك ؟

سيمون : صنعت ذلك من اجل اخي ياسيدي •

المعلم : آه ، اندريه ! عباك ضد معلمك ؟ ، نحن الكادحون ، اليس كذلك • كنت اعلم من البداية انه احمر • من عاونك ؟

سيمون : لا أحد يا سيدي •

المعلم : ولم فعلت فعلتك ؟

سيمون سبب الوقود يا سيدي •

المعلم : وهل في هذا ما يدعو لاحراق المعمل كله ؟ لم لم تكتفي باسالة الوقود ؟

سيمون : ما كنت أعرف ياسيد هنري •

جورج : انها طفل ياسيد هنري •

المعلم : كلكم محرقون ! مجرمون ! اقرب مني عم غستاف ! جورج انت مسرح من عملك ! انتم اسوا من الالمان •

جورج : حسناً ياسيد هنري (يقف بجنب سيمون)

المعلم : أما كنتم تتحدثون الساعة من التحقيق ؟ ما الموضوع ؟

جورج : الالمان يقومون بتحقيق •

المعلم : ولكن هل وقع الحريق والالمان هنا ؟

جورج : نعم •

المعلم . (ينظر الى انجلوس ، مهدوداً) • ماكان ينقصنا مع هذا ! ذلك يعني خراب النزل• (يمسك رأسه بكلتا يديه)

العم غستاف يا سيد هنري ، البارحة بعد الظهر كانت (سان مارتان تشي على النزل ثناء عظيماً • وكان الناس يقولون : على مشهد من الالمان •

المعلم : انا احل لمجلس حربي • انظروا الى اين اوصلتموني (يائساً) سارمي بالرصاص•

سيمون : (تتقدم نحوه) لن ترمي بالرصاص ياسيدي لانني انا فعلت ذلك • يمكنك ان تاتي معي الى القائد الالماني • وساتحمل مسؤولية ذلك كله ياسيدي •

موريس هذا غير وارد •

المعلم : كيف غير وارد ؟ هذه طفلة ولن يصيبوها باذى •

موريس : يمكنك ان تذهب وتقول للالمان ان شئت ، انها هي•ولكننا نحن سنتكفل بترحيلها• اذهبي فوراً والبسي ثيابك •

المعلم : ولكننا نكون متواطئين في هذه الحالة •

سيمون : يجب ان ابقى ياموريس • « اندريه » يريد هذا • ذلك اعرفه •

المعلـــم : على أية حال كل المشكلة ان نعلم : افعلت ما فعلته قبل وصول الالمان أم بعده • فاذا كان قبل فهو عمل حربي ولا يمكن ان يطولوها بشيء •

العم غستاق: (موحياً بصوت خفيض) لقد وضعو فور وصولهم اعلاناً يقول : يعدم كل الذين يرتكبون اعمالا عدائية ياسيد هنري •

المعلـــم . (لسيمون) هذا الاعلان هل رأيته ؟

سيمـــون : نعم ياسيدي •

المعلـــم : وكيف كــان ؟

سيمـــون : على ورق أحمر •

المعلـــم : هل هذا صحيح ؟ (يجيب العم غستاق « نعم » برأسه) بقي أن نعلم وهذا هـو السؤال الذي سيطرحــه عليك الالمــان ياسيمون ـ ان كنت قرأت الاعلان بعد ان احرقت العمل•لان عملك في هذه الحالة ليس تخريبياً ولا يمكنهم أن يفعلوا بك شيئاً•

سيمـــون : قرأته قبل ياسيدي •

المعلـــم : لم تفهمي عني ان كنت لـم تريه إلا بعد فمن المحتمل ان يكتفي الالمان بتسليمك الى العمدة لان القضية في هــذه الحالـة لا تتعلق بغير الفرنسيين • وهكـــذا تتخلصين • فهمت ؟

سيمـــون . نعم ياسيدي ، ولكني رأيت الاعلان قبل •

المعلـــم : قد اخذت تتخبط • عم غستاق انت كنت هنا في تلك الآونة فمتى انطلقت سيمون؟

لعم غستاق: قبل ياسيدي ، بالتأكيد قبل ان يوضع الاعلان •

المعلـــم : لاحظت •

سيمـــون : انت واهم ياعم غستاق • فانت نفسك الذي قلت لي قبل ان أذهب ان الاعلان يمنع ذلك •

لعم غستاق: لم اقل هذ قط •

المعلـــم : بالتأكيد • لا •

مـوريس : افلا ترى ياسيد هنري ان هذه الطفلة تابى ان تدخل في هذه التركيبات • فهي لا تخجل من فعل ما فعلته •

سيمـــون : ولكن المعلم يسعى الى مساعدتي فقط ياموريس •

المعلـــم : بالفعل هو ذاك • انت تثقين بي اليس كذلك • اذن اصغي الي جيداً • الناس الذين ستحدثهم الآن هم العدو • والفرق ضخم • أتفهمين ؟ سيلقون عليك اسئلة كثيرة فاجيبي انت دائما بجواب واحد يخلص سان مارتان وفرنسا • هذا بسيط •

سيمـــون : نعم يسيدي ولكنني لا أريد أن أقول أشياء كاذبة •

المعلـــم : (فهمت ، أنت لا تريدين أن تقولي شيئا مخالفا للحقيقة • حتى للعدو نفسه • طيب • قبلت • ولن أطلب منك الا شيئا واحدا اذن • لا تقولي شيئا على الاطلاق• دعي ذلك علينا • دعيه علي (والدمع وشيك) • ساكون خلفك مهما يحدث ، تعلمين ذلك جيدا • كلنا خلفك • فنحن فرنسيون •

سيمـــون : نعم يا سيدي •
ياخذ سيمون من يدها ويدخل الى النزل معها •

مـوريس : انها لم تقراه جيدا ، كتابها •

رابعـا ـ القضـــاة

(١)

حلم سيمون ماشار الرابع

ليلة ٢١ حزيران

(موسيقى مشوشة • في الفناء يقف القائـد الالماني بلأمته وسيمون بـزي عذراء أورليان يحيط بهما جنود يلبسون دروعاً صافية سوداء ذات حراشف وقـد رسمت عليها صلبان معقوفة كبيرة حمراء • الحارس الذي يحرسها والذي تبين أنه حاجب القائد الالماني يمسك بعلم كبير عليه صليب معقوف) •

القائـــد : انت الآن تحت سيطرتنا ياجان اورليان وستقلمين الى محكمة عليا عليها أن تفصل في الاسباب التي بموجبها ستحكمين بالموت حرقا •
(يخرج الجميع ما عدا حامل العلم)

سيمـــون : ما هذه المحكمة ؟

حامل العلم : ليست محكمة عادية • بل محكمة كنسية •

سيمـــون : لن أعترف بشيء •

حامل العلم : كما تشائين • ولكن يبدو أن المداولات اختتمت •

سيمـــون : اذن فهم يصدرون حكمهم على المرء قبل أن يستمعوا اليه ؟

حامل العلم : نعم بالتاكيد •

(يخرج من الفندق ناس يظهر عليهم انهم حضروا المداولات ، ويعبرون الفناء الى الطريق •

العم غستاف : ـ وهو يعبر الفناء لتيريز) • الاعدام ! وفي سنها !

تيريـز : أترى ! لو قالوا لي هذا أول البارحة لما صدقت !

سيمـون : (تشدها من كمها) ـ وهل هتلر نفسه هنا ؟

(يبدو على تيريز انها لم تلاحظها وتبتعد هي والاب عشاق • يعبر والدا سيمون الفناء • يلبس الاب بذلة مستخدم في البلدية وتلبس الام السواد •)

السيدة ماشار : (تنتحب) منذ أن كانت صغيرة كانت لا تفعل شيئا الا على هواها • مثلها مثل اخيها • ستكون صدمة رهيبة لابيها • تصوري ذلك ، فهو مستخدم في البلدية بالذمار!

(يخرجان • يعبر الفناء الاخوان موريس وروبير •)

روبيـر : لا بأس بمظهرها •

مـوريس : ولا سيما بالازرق ذي الكشكش •

سيمـون . (تشد روبير من كمه) أرأيت القضاة ؟

روبيـر . (بغير مبالاة) طبعا •

سيمـون : وهل أراهم أنا أيضا ؟

روبيـر : بالتأكيد • عليهم ان يخرجوا بعد قليل ليكسروا عليك عصا المحكومين بالموت • (يخرجان)

صوت عظيم : صمتا ! افسحوا المكان ! ستشهد الآن اعدام العذراء من قبل المحكمة الكنسية التي يتولاها أصحاب النيافة اساقفة وكرادلة « روان » • وفي البداية ستكسر العصي على العذراء •

(يخرج من مدخل النزل الرئيسي قاض في جبة الكردينالية الارجوانية • وهو يخفي وجهه خلف كتاب الصلوات بحيث يتعسر تعرفه ، ويعبر الفناء • يقف أمام منصب من البرونز • ينحني ويغلق كتابه بحركة خاطفة • يسحب من كمه عصا ويكسرها بابهة رسمية ويلقي بالقطع في القدر •)

الصوت العظيم : نيافة أسقف « بوفيه » لانها سلمت « اورليان » : الموت لها ! (وقبل أن يبتعد يلتفت التفاتة غير مبالية فيبدي عن وجهه من فوق كتفه • واذا به العقيد)

سيمـون : سيدي العقيد •

(يخرج قاض ثان من الباب ذاته ويقوم بالمراسيم ذاتها •)

الصوت العظيم : لانها سلمت اورليان واطعمت فئران المدينة المذكورة من الارزاق المسروقة • الموت لها!

(يبدي القاضي الثاني عن وجهه فاذا به النقيب) •

سيمـــون : سيدي النقيب .
(يخرج قاض ثالث من المنزل ويقوم بالمراسيم ذاتها) .
الصوت العظيم: لانها رفعت يدها على مدينة باريس ومدتها الى مخزونات الوقود . الموت لها !
(القاضي الثالث هو المعلم) .
سيمـــون : ولكن يا سيد هنري انما تحكمون مني انا !
(يومىء المعلم ايماءة العجز المشهورة . ثم يخرج قاض رابع من المنزل ويؤدي المراسيم)
الصوت العظيم: لأنها عملت على توحيد جميع الفرنسيين . الموت لها !
(يضغط القاضي الرابع على كتابه ضغطا شديد التشنج بحيث يسقط الكتاب على الارض فينحني بحرارة لالتقاطه فيتكشف ، واذا به العمدة) .
سيمـــون : العمدة ذاته . آه ، سيد شافين !
الصوت العظيم: نطق قضاتك العظام بحكمهم يا « جان » .
سيمـــون : ولكن هؤلاء جميعا فرنسيون . (تحاول المعلم) الامر خطأ .
حامل العلم : لا يا آنسة فالمحكمة فرنسية حقا .
(يقف القضاة الاربعة في مدخل الفناء) .
العمـدة : ولكنك تعلمين جيدا ، وذلك مكتوب في كتابك من غير شك ، ان العذراء حكم عليها قضاة فرنسيون . وهذا طبيعي لأنها فرنسية .
سيمـــون : (مضطربة) صحيح . ان يحكم علي بالموت كنت أعلمه وهو مكتوب في كتابي . ولكني اود لو أعلم لماذا ؟ هذا ما لم افهمه جيدا .
العمـدة : (للقضاة) تطلب ان تجري مرافعة .
النقيب : ما تنفع المرافعة بعد صدور الحكم .
العمـدة : على الاقل نجري في المرافعة تحقيقا ، نستمع الى المتهمة ، نناقش ، نزن .
العقيـد : اتضح ان ما نزنه بالغ الخفة (هازا كتفيه) اما اذا كنتم تحرصون على ذلك ...
المعلـم : نحن بالطبع غير مهيئين لذلك .
(يشرعون في مشاورات خافتة . همس . يخرج العم غستاف طاولة الى الفناء ويضع عليها صحونا وشمعدانات . يجلس القضاة الى الطاولة) .
العم غستاف : النازحون يقفون في الخارج وينتظرون ان يشهدوا المرافعة .
المعلـم : غير ممكن فانا انتظر أمي . وهي تقول ان رائحتهم كريهة .
النقيب : (المتخلف) ستجري المرافعات في جلسة سرية حرصا على المصلحة العليا للدولة .
المعلـم : واين الملفات ؟ ضاعت ولاشك في الفوضى . لا عجب فنحن في فرنسا .
العمـدة : لكن من المدعي ؟
(ينظر القضاة بعضهم الى بعض) .

العمدة : القضية غير مقبولة قانونيا بدون ادعاء •

المعلم : عم غستاف ، هات ملميا ، اذهب واحضره من المؤن المدخرة •

العمغستاف : (يذهب ويلبد أمام البوابة ويصرخ باتجاه الطريق) ان المحكمة الكنسية العليا في روان تدعو كل من له شكاية على العذراء ان يمثل لعرضها • لا احد ؟ (يكرر نداءه لم يتوجه بالكلام الى القضاة) حضرت للادعاء الملكة الوالدة ايزابو من شيعة الدوق دي برغوني ومن شيعة العهد المتوارث •

السيدةسوبو: (تخرج من المنزل بلامتها وتحيي القضاة الذين ينحنون انحناء عظيماً • وعلى عادة ربات الفنادق المقتدرات • تبسط كل ما لديها من مظاهر الحفاوة المهنية) • مساء الخير أيها النقيب • ابق جالساً • أرجوك لا تزعج نفسك • (من فوق كتفها باتجاه المنزل) واحدة الزاس ـ لورين حلوة للسيد النقيب • وانت يامير الجيش كيف تحب ان نتبل لك فلاحيك • ايها العقيد هل نال الطعام رضاك هذه المرة ؟ (باشارة نحو سيمون كان يمكن انقاذ كل شيء لو لم تجيء عذراء اورليان هذه لتفسد مفاوضاتنا • من يأمـر هنا : الكنيسة ام خادمات الفنادق • (تاخـذ في الزعاق كمن اصابه كلب) اطلب ان يصار الى تنفيذ الاعدام فوراً في هذه المخلوقة بجرم المروق من الدين والعصيان ، والميل الى المبادرة الشخصية • يجب ان تقطع رؤوس ، يجب ان يراق دم ، يجب ان تسحق هذه الحشرة في الدم ، يجب ان نجعل من العقاب الدامي عبرة لمن اعتبر • (مجهدة) عاودتني نوبات النقرس •

النقيب : هات مقعدا للسيدة الوالدة •

(العم غستاف يحمل مقعداً)

المعلم : اليست الدرع شديدة الضيق عليك يا امي • على كل حال لم تلبسين لامتك ياامي ؟

السيدةسوبو: وانا أيضا اباشر الحرب •

المعلم : اية حرب •

السيدةسوبو: حربي ضد هذه العذراء المتمردة التي اثارت نازحي المدرسة •

النقيب : (بجفاف) صـه (لسيمون) في الواقـع باي حـق جـررت الفرنسيين الى الحرب ايتهـا العذراء ؟

سيمـون : امرني الملاك بذلك ايها الاسقف النبيل •

(ينظر القضاة بعضهم الى بعض)

المعلم : عجبا ملاك ! ومن اي نوع هو ؟

سيمـون : ملاك الكنيسة الذي على يسار المذبح •

النقيب : لم اره قط •

العمدة : (متوددا) وكيف كان ذلك الملاك ياسيمون ؟ صفيه لنا ٠

سيمون : كان فتى وكان جميل الصوت يامولاي ، كان يقول لي ٠ ان علي أن ٠٠٠

العقيد : (مقاطعا) ما قاله لك لا ينطوي على آية فائدة مطلقا ٠ الاولى أن تقولي لنا بأية لهجة كان يتحدث ٠ كان يتكلم كما يتكلم الرجل المثقف ام غير ذلك ؟

سيمون : لا أعلم ٠ كان يتكلم كما تتكلم ٠

النقيب : آهـا !

المعلم : وكيف كان لباسه ؟

سيمون : كان جميلا بلباسه ٠ قماش بذلته يكلف المتر الواحد منها من عشرين الى ثلاثين فرنكا في « تور » ٠

النقيب : ان كنت احسن الفهم ياسيمون او ياجان لا فرق ، فان الملاك لم يكن من هؤلاء الملائكة العظام ذوي الجلالة الذين يبلغ ثمن المتر من كسائهم من مائتين الى للاثمائة فرنك ؟

سيمون : لا أدري ٠

العقيد : كيف كانت حال بذلته ؟ لاشك انها رثة ؟

سيمون : تهرات قليلا عند المرفق ٠

العقيد : آها ٠ تهرات عند المرفق ٠ ذلك ولاشك لانها كانت تستخدم للعمل ايضا ٠ اليس كذلك ؟ وهل كانت متقوبة فوق هذا ؟

سيمون : لا ، متقوبة لا ٠

النقيب : لكنها كانت متهرئة على كل حال ٠ لا شيء يثبت ان الكم لم يكن في الموضوع المتهريء متقوبا ، باليا بسبب الشغل ٠ لعل ذلك لم يكن يلحظ لان اللون قد تقشر في هذا الموضع بالذات ٠ على كل حال هذا ممكن ٠ ماذا تقولين ؟ (تسكت سيمون)

العقيد : هل كان يقع للملاك ان يقول اشياء لا يمكن أن يقولها الا رجل ذو منزلة رفيعة ؟ فكري جيداً ٠

سيمون : بل انه كان يتكلم كلاما عاما ٠

العمدة : هل كان الملاك شبيها باحد معارفك ؟

سيمون : (بصوت خفيض) باخي أندريه ٠

العقيد : أندريه ماشار العسكري صف ثان ٠ أيها السادة الآن عرفنا كل شيء ٠ ملاكها من نوع خاص ٠ هذا اقل ما يقال فيه ٠

السيدةسوبو: ملاك حانة رخيصة ، ملاك متسكع ، على كل حال عرفنا الآن من أين هذه الاصوات انها تنبعث من الخمارات والمزابل ٠

سيمـــون : حرام عليكم أن تسبوا الملاك أيها الاساقفة والكرادلة النبلاء •
العقيـــد : الا تعتقدين أننا نحن كرادلة فرنسا ، أعلم بما يريده الله من ملاك متشرد لا يبتله•
سيمـــون : في ضيق شديد تنظر الى القضاة والذين يبتسمون • لم تترقص وتاخذ بضرب الارض ضربا مجنونا • ومع ذلك لا يسمع صوت الضرب ويظل سطح المرآب خاليا • انها لا ترد الجواب هاهنا ، ما بها ؟ لا ترد الجواب ؟ ارض فرنسا لم تعد ترد الجواب! ها هنا لا ترد الجواب •

السيدةسوبو. (تنتقل الى قربها) ولكن اتحلمين من فرنسا ؟

(٢)

صباح ١٩ حزيران • فوق البوابة علم فرنسي منكس وعليه اشارة الحداد • جورج وروبير والعم غستاف يصغون الى موريس وهو يقرأ جريدة تحيط بها اطار اسود •

موريس : يقول المارشال انه طلب هدنة تحفظ الكرامة •
العم غستاف : هـذا عزاء جميل •
موريس : بالفعل يقول المرشال أيضا • ان ليس على الشعب الفرنسي بعد الآن الا ان يلتف حوله وكأنه بازاء أبي العائلة • يجب اعادة النظام والانضباط •

العم غستاف : اقدر ذلك • أسبوع أتبعه القتال وسحبوا سلاحه من يديه وسيكفلون الان بافهامه معنى الانضباط •

جـــورج : من حسن الحظ أن سيمون ذهبت •
(يخرج من النزل القائد الالماني من غير قبعة ومن غير نطق وهو يدخن سيجارة الصباح • يستعرض الحاضرين بتهاون ثم يتجه متراخيا نحو البوابة • وهناك يلقي نظرة سريعة حوله • يعود على اعقابه ويدخل النزل مستعجلا الخطى •)

العم غستاف : من البداية كره هذا الرجل أن تكون له علاقة بطفلة •
جـــورج : في الحقيقة انني اتعجب لفرارها • كانت تصر دائما علـى البقاء هنا مهما يحدث • لابد أن شيئا ما ارعبها فجأة فلم تتردد في الهرب من كوة غرفة الغسيل •
(يخرج المعلـم من النزل وهو يفرك يديـه) •

المعلـــم : موريس ، روبير افرغا صناديق الخزفيات والفضيات • (خافضا صوته بعد ان القى نظرة حوله) •• على كل لن أسالكم ان كان أحد مستخدمي النزل قد ساعد في

عملية هرب حدثت هذه الليلة • قد كان ما كان • بل اني اذهب الى القول ان ما حدث لم يكن أسوأ الحلول لا لأن هناك خطرا حقيقيا فالالمان ليسوا وحوشا ومعلمكم في الواقع يعرف كيف يأخذهم • ولقد قلت صباح اليوم اثناء الفطور للسيدالقائد: هذا غريب ! قبل الاعلان او بعد الاعلان ما أهمية ذلك ؟ انها طفلة ! ما حيلتنا ؟ انها ضعيفة العقل ! وحالتها من اختصاص علم النفس المرضي ! رأت الدبابات فقالت في نفسها : يجب ايقافهـا • يجب تدمير كل شيء • وفورا تهرع الى أعواد الثقاب • فالأولاد يحبون دائما اللعب بها • اهو اعتداء ، او قضية تمس الدولة؟ ابدا • ما هي الا مزحة صبي • نعم !

جــورج : (ناظرا الى الآخرين) كيف مزحة صبي ؟

المتشـم : لقد كنت اقول ذلك ايضا لأمي : انها طفلة •

جــورج : طفلة كانت الشخص الوحيد هنا في النزل الذي قام بواجبه • ولم يرفع أحــد سواها اصبعه • هذا ما لن تنساه سان مارتان ياسيد هنري •

المعلـم : (غاضبا) أنتم ، الافضل لكم أن تقوموا بواجبكم وان تفرغوا الصناديق•وبالنسبة الي فانا أحمد الله أن هذه القضية انتهت بسلام • وانا قانع أن السيد القائد لن يتوسع في تحقيقاته بالنسبة الى سيمون • والان هيا الى العمل • فالعمل هو مــا تحتاج اليه فرنسا المسكينة قبل كل شيء •• (يخــرج) •

جــورج : يحس المرء بالارتياح على طول الخط • فهي ليست هنا •

مــوريس : وبالطبع فليس لهذه القضية اية علاقة على الاطلاق بالوطنية او بأي شيء آخــر من هذا القبيل • والا لكان الأمر محرجا لهم • « ليس الالمــان وحوشــا » كان الاستعداد يجري للقيام ببادرة طيبة ولتسليم الالمان الوقود الذي حرم منه جيشهم ولكنهم فوجئوا بالرعاع يدسون أنوفهم في ذلك كله ويتعاطون الوطنية •

(يقبل العمدة من البوابة شاحبا لا يرد السلام • يدخل الى النزل)

العمـدة : (متلفتا) هل هناك حرس أمام شقة السيدة سوبو ؟

المرمستاف : لا ياسيد شافز (يتوارى العمدة) •

المرمستاف : ما جاء الا لان الالمان يطلبون أن تخلى ساحة المدرسة من اللاجئين • الا اذا كانت السيدة سوبو هي التي تطلب ذلك •

روبيــر : انهم يعيدون النظام والانضباط •

المفستاش: يا موريس : فيما يتعلق بسيمون يجب ان يكون الحريق ناشئا عن غفلة لان مؤسسة التامينات تدفع في هذه الحالة . هذه امور ليس من عادتهم نسيانها .
(تبدو سيمون في فتحة البوابة بين جنديين المانيين ركبا الحربة في البندقية .)

جـورج : سيمون ماذا أصابك ؟
سيمـون : (تقف شديدة الشحوب) . اردت ان امر على نازحي المدرسة مرة أخرى قبل أن اذهب .
روبير : لا حق لك في الخوف فلن يفعل الالمان بك شيئا .
سيمـون : لقد قالوا البارحة مساء أثناء الاستجواب انني يجب ان أسلم الى السلطات الفرنسية .
جـورج : لم هربت اذن ؟

(لا تجيب سيمون .) يدفعها الجنديان الى داخل النزل) .

موريس : الالمان اذن لا يعتبرون القضية منتهية . السيد هنري مخطىء . (يدخل من البوابة السيد ماشار والسيدة ماشار في بزة مستخدم بلدي) .

السيدةماشار: هل اتوا بها . شيء رهيب . السيد ماشار خرج عن طوره لا لأن الاجرة استحقت في هذا الوقت بعينه فحسب بل ان ما يعذبه هو الخجل . فكرت دائما ان الامور ستنتهي على هذا الشكل . فعندما تقضي طفلة وقتها في قراءة الكتب فان الكتب ستقلب لها راسها ففي السابعة من هذا الصباح دق الباب فاذا الالمان في الفناء . قلت لهم . يا سادة اذا لم يعثر على ابنتي فلأن مصيبة حلت بها . لا شيء سوى هذا يجعلها تغادر النزل . وقع الحريق أم لم يقع . الا اذا كان ذلك بسبب اخيها .
(يخـــرج المعلم من النـــزل)

المعلـم : كلفتني ابنتك كثيرا ياسيد مشار . كلفتني مائة الف فرنك . ثم انها هدت أعصابي . وهذا ما لم أضعه في قائمة الحساب .
(تخرج السيدة سوبو من النزل . تمسك بقبضتها الشديدة على سيمون من ذراعها وتعبر بها الفناء صوب المخزن برغم ترددها ويتبعها العمدة والنقيب . ثم يغيب الاربعة في المخزن يراقب الذين في الفناء المشهد بدهشة) .

العمـدة : (عند باب المخزن) ياماشار اذهبا الى المدرسة واعملا على ان يتم الاخلاء في هدوء . اوضح للنازحين ان الالمان بحاجة الى الاماكن (يتوارى في المخزن) .

السيدةماشار: نعم يا سيدي العمدة .
(ينصرف السيد والسيدة ماشار بوقار) .
روبير : ماذا ينوون أن يعملوا بها في المخزن ؟ ماذا سيصيبها ياسيد هنري ؟

المعلـــم : لا تسألوا كل هذه الأسئلة • فمسؤوليتنا منهكة • هفوة واحدة وبطن النزل •

السيدةسوبو: (تعود من المخزن ومعها سيمون تتبعها والنقيب) ـ أيها السيد العمدة ، أعتقد انني قلمت لك الآن الدليل المحسوس على أنهـا تركت المخزن مفتوحا ، وقد كان يحتوي ، فيما يحتوي من محفوظات على خمور ممتازة قيمتها خمسون ألف فرنك • أم كم صندوقا اختفى من جراء ذلك فما علينا الا تصورها • وانما أعطتني المفتاح بحضورك لكي تغشني (تلتفت الى سيمون) قلت انك ذهبت نفسك الى المدرسة تجرين السلل الملأى بالمؤونة • فكم قبضت ثمنا لذلك ؟ وأين هذا المال ؟

سيمـــون : لم اقبض شيئا ياسيدتي •

السيدةسوبو: لا تكذبي • وهناك ما هو اسوأ أيضا • ففي صباح اليوم الذي سافر فيه هنري هذه الرعاع من النازحين لأنه شاع بينهم أن السيارات سترسل الى مكان أمين • أنت التي أشعت هذا الخبر ؟

سيمـــون : اخبرت بذلك السيد العمدة ياسيدتي •

السيدةسوبو: ومن كان في مكتب العمدة عندما اخبرته بذلك ؟ النازحون ؟

سيمـــون : نعم على ما اعتقد •

السيدةسوبو: آه • تعتقدين • وعندما جاء الرعاع الى النزل فماذا نصحتهم أن يفعلوا بمحفوظات الفندق الذي أنت مستخدمة فيه ؟

(لم تفهم سيمون سؤالها)

السيدةسوبو: أأشرت عليهم أم لا بأن يأخذوا كل ما يشاؤون ؟

سيمـــون : لا أدري يا سيدتي •

السيدةسوبو: صحيـح ••••

العمـدة : ولكن ما قصدت من ذلك كله ياسيدتي ؟

السيدةسوبو: من كان أول الطاعمين من المحفوظات ياسيمون ؟ أبواك طبعا • وقد تناولوا كمية حسنة منهـا •

روبيــر : هذا لا يطاق • (للسيدة سوبو) انت نفسك وضعت العلب في أيدي أبويها وما كانا يطلبان شيئا •

جـــورج : (في الوقت نفسه) أنت نفسك وضعت مدخرات النزل تحت تصرف السيد العمدة •

العمـدة : هذا صحيح ياسيدتي • تذكري ذلك •

السيدةسوبو: (من غير ان تضطرب لما يقولون ، لسيمون) تكشفت عن نمامة كاذبة خارجة عن الطاعة وعلى اثر ذلك صرفتك من الخدمة فهل انصرفت كما أمرتك ؟

سيمـــون : لا ياسيدتـي ·

السيدةسوبو: وبدلا من ذلك ظللت تتسكعين في المنزل ثم احرقت معمل لاجر انتقاما لصرفك من الخدمة اليس صحيحا ؟

سيمـــون : (منفعلة) لكني فعلت ذلك ضد الالمان ·

روبيـــر : كل سان مارتان تعلم ذلك ·

السيدةسوبو· نعم ، ضد الالمان ! ومن قال لك ان الالمان سيعلمون بامر هذا الوقود ؟

سيمـــون : سمعت السيد النقيب يقول ذلك للسيد العمدة ·

السيدةسوبو: تماما ·· سمعت انا نريد الاعلان عن هذا الوقود !·

سيمـــون : نعم ، كان السيد النقيب يرغب في ذلك ·

السيدةسوبو: واذن فقد احرقت الوقود فقط كيلا تسلمه · هذا بالضبط ما احببت ان اسمعه منك ·

سيمـــون : (يائسة) انمـا فعلت ذلك لاوجـه ضربة للعدو · فقد كانت الدبابات الثلاث في ساحة البلدية ·

السيدةسوبو: وتريدين ان توهمينا ان هذا هو العدو بالنسبة اليك ؟ الم يكن العدو انسانا آخر؟ (تبدو في الباب راهبتان يصحبهما شرطي)

العمـدة : عم تبحث يا جول ؟

الشرطي · هاتان الاختان تعيشان وفق القانون الصارم لرهبنة (سانت ارسول) ·

النقيب : اتصلت هاتفيا بمـاوى ، سانت ارسول ، باسمك ياشافز (للراهبتين) ايتهـا الاختان هذه هي سيمون ماشار ·

العمـدة : وباي حـق ··· ؟

النقيب : لن يكون في نيتك على كـــل حـال ياسيد شافز ان تترك سيمون تتنقل بحرية · (بلهجة) ان لضيوفنا الحق في ان ينتظروا منا على الاقل ان تطهر « سان مارتان » من العناصر التي تشكل خطرا عاما · ولا يبدو عليك انك فكرت طويلا في الخطبة التي القاها مارشالنا المكرم · فرنسا تمـر بمرحلة المخاطر · وعلينا يقـع عبء ابادة بذور العصيان التي هي شديدة العدوى · بؤرة من نوع سيمون كافية لان تعدي « سان مارتان » ·

مـوريس : آه ، وعلينا نحن ان نقوم بهذا العمل القذر لمصلحة الالمان ؟ وان نقوم به برضانا · اليس كذلك ؟

السيدةسوبو· (باردة) ومن الطبيعي انني سأذهب الى تور ، لاحصل على اذن النيابة العامة في نقل سيمون · فسيمون احرقت المعمل ، وهو ملك النزل ، لدوافع شخصية دنيئة ·

جـــورج : سيمون دوافع شخصية ·

العمـدة : (مهزوزا) ولكنك تتحاملين كثيرا على هذه الطفلة ٠

روبـير : (مهددا) من الذي يريد أن ينتقم هنا ؟

المعلـم : لا تعيدوا بحث الموضوع من جديـد ٠ سيمون قاصرة ٠ وستوضع تحت اشراف الراهبات ٠ هذا كل شيء ٠

مـوريس : (ساخطا) تحبسونها في سجن « سانت ارسول » !

سيمـون : (تصرخ) كلا ٠

العمـدة : سيمون ، المأوى « سانت ارسول » مع المعتوهين ! لمؤسسة التعذيب النفسي هذه ، لهذا الجحيم ؟ اتعلمون انكم تحكمون عليها بموت مؤكد ؟

مـوريس : (مشيرا الى الراهبتين بوجهيهما القاسيين٠٠) تطلعوا اليهما ريظل وجها الراهبتين جامدين كأنهما قناعان ٠)

جـورج : كان من الافضل لكم لو تركتم الالمان يسممونها ٠

سيمون(متوسلة) هناك أيها السيد العمدة حيث يضربون الانسان حتى يتورم رأسه ويسيل اللعاب من فمه ٠ هناك حيث يربطون الانسان من يديه ومن رجليه ٠

العمـدة : (بقوة) ياسيدة سوبو ، ساشهد أمام المحكمة في تور وسابين الدوافع الحقيقية لهذه الطفلة ٠ كوني مطمئنة ياسيمون ٠ فكل الناس يعلمون انك تصرفت بدافع الوطنية ٠

السيدةسوبو : (متفجرة) آه حارقة لبترول الصغيرة تتحول الى بطل قومـي ٠ اهذا هو المخطط الذي تصورتموه ؟ تم انقاذ فرنسا ! اذ اشعلت فيهـار النار ٠ حامي ذي الدبابات الالمانية وتلك هي سيمون ماشار ابنة خادم المزارع ٠

النقيب : ليس ماضيك ياسيد شافز من المكانة التي تتيح لقضاة الدولة الفرنسية الجديدة ان يعيروا شهادتك كبير وزن ، على كل حال ، لطريق من هنا الى « تور » أصبحت محفوفة بالخطر لناس من شاكلتك ٠

مـوريس : (بمرارة) اتضح كل شيء الآن ٠ نهم يريدون تبيض سمعة سان مارتان من شبهة مريبة وهي أن يكون هاهنا فرنسيون !

السيدةسوبو٠ فرنسيون ؟ (تقبض على سيمون وتهزها) تريدين أنت ان تعلمينا الوطنية ؟ ان آل سوبو يديرون هـذا النزل منذ مائتي عام ٠ (للجميع) اتريدون ان تروا وطنيا ؟ (تشير الى النقيب) هذا أحد الوطنيين ٠ نحن في الوضع الامثل الذي يتيح لنا ان نقول لكم متى تكون الحرب ضرورية ومتى ينبغي أن نؤثر السلم ٠ اتريدون أن تعلموا شيئا لفرنسا ؟ طيب ٠ نحن فرنسا ٠ مفهوم ؟

النقيب . لا تحتدي ياماري هات سيمون أيها السيد العمدة ٠

العمـدة : أنا ؟ يبدو لي انك استوليت على السلطة هنا (يستعد للانصراف) ٠

سيمـــون : (جزعة) لا تتصرف ياسيدي العمدة •
العمـدة : (عاجزا) ليكن رأسك مرفوعا أبدا ياسيمون! (يذهب وهو يترنح وقد هد هده•)
السيدةسوبو: (بعد صمت ، للنقيب) ضع حداً لهذه الفضيحة ياهونوري !
النقيبللشرطي: انني أحمل مسؤولية ذلك كاملة • (يمسك الشرطي سيمون)
سيمـــون : (بهدوء وهي في أشد جزعها) لا ، لا تاخذوني الى سانت اورسول •
روبـــير : القـذرون (ينوي الانقضاض على الشرطي)
مـوريس : (يوقفه) اياك والحماقة يا روبير • فنحن لا نستطيع أن نفعل شيئا لها - ان لهم شرطتهم ومعهم فوق ذلك الالمان • مسكينة سيمون•كثر الاعداء عليها كثرةالانطاق•

السيدةسوبو: سيمون ، اذهبي واحضي متاعك •
(تتنقل سيمون نظراتها حولها • يظل أصدقاؤها ساكتين ، مطرقين • تدخل شاردة الى المخـــزن) •
السيدةسوبو: (تشرح الأمر بهدوء للجميع ولكن الكلام يتوجه خاصة الى المستخدمين) هذه طفلة كبيرة الراس ، وهي غير مؤهلة • لأن تعترف بأية سلطة من أي نوع • وقد وجدنا انفسنا ملزمين أن نربيها على احترام النظام والطاعة •
(تعود سيمون ومعها صرة صغيرة وزرتها عليدها • تعيد الوزرة الىالسيدة سوبو)

السيدةسوبو: والآن افتحي صرتك لنرى كل ما اخذته من عندنا •
المعلـــم : اهـذا ضروري يا أمي ؟
(تفتح احدى الراهبتين الصرة وتسحب منها كتاب سيمون)
سيمـــون : لا • لا تاخذي الكتاب ! (تناول الراهبة الكتاب للسيدة سوبو)
السيدةسوبو: هذا الكتاب ملك المنزل •
المعلـــم : أنا اعطيتهـا اياه •
السيدةسوبو: لتنفع الذي جئته منه (لسيمون) سيمون ودعي موظفي المنزل •
سيمـــون : وداعا يا سيد جورج •
جـــورج : كوني شجاعة ياسيمون •
سيمـــون : اطمئن • ياسيد جورج
مـوريس : اعتني بصحتك جيداً •
سيمـــون : نعم يا موريس •
جـــورج : لن أنسى ابنة عمك •
(تبتسم سيمون له • ترفع بصرها الى سطح المرآب • يقل الضوء ويخفت وهجه • موسيقى تعلن تجلي الملاك • تنظر سيمون أبدا الى سطح المرآب وتشهد الملاك)•

المـــلاك : يا بنة فرنسا لا تخافي . ليس بين أعدائك من هو خالد . واليد التي رفعوها عليك سترتد يابسة عما قريب . لا تبالي أينما اقتادوك . فحيثما تكوني تكن فرنسا . فرنسا التي ستبعث عما قريب في كل بهائها .

(يختفي الملاك . وتمسي خشبة المسرح من جديد . تمسك الراهبات سيمون من ذراعها تقبل موريس وروبير . تقتاد . ينظر الجميع الى المشهد بصمت) .

سيمـــون : (تتخبط بيأس عند البوابة) كلا . كلا ! لن أذهب ! ساعدوني ويحكم ! لن أذهب الى المأوى ! أندريه ! أندريه !. (يسحبونها)

السيدة سوبو : ثوبك التقرمن ياهتري .

المعلـــم : (متجهاً) موريس ، روبير ، جورج ، عم غستاف ، الى العمل ! الآن زمن السلم لا تنسوا .

(يرافق المعلم والنقيب السيدة سوبو الى النزل . يخرج موريس وروبير من البوابة . يسرج العم غستاف اطارا عبر الفناء . يتحسس جورج ذراعه المشلولة . بدأت السماء تصطبغ بلون احمر . ينبه العم غستاف جورج الى ذلك . يسرع المعلـــم الى الخـــارج .

المعلـــم : موريس ! روبير ! ابحثا لي فورا عما يحترق . (يبتعد)

العم غستاف : هذه باحة المدرسة . النازحون ! هذا يثيرهم ، كالمــــا ...

جـــورج : من المؤكد أن العربة لم تصل الى ساسه أورسول ، بعد . وفي هذه الحالة تستطيع أن ترى ذلك من نافذتهـــا ، سيمـــون ...

انتهـــــــت

ســـــتار

مـع الكتـب

قصص من بلغاريـا

ابو الفتح محمد اديب عزت

ثمة قول فرنسي مأثور :

« اصدار صحيفة يعادل افتتاح مدرسة » .. ومن هنا يمكن القول أيضاً :

ترجمة كتاب أدبي هام من لغة الى لغة يعادل اضاءة قنديـل ، فتح نافـذة للشمس والضوء والعافية ، واضافة تنير ، تثري وتفتح آفاقـاً جديـدة ، ودروبا جديدة تشق ..

وليست الترجمة بالعمل السهـل ، فان الشاعـر الروسي الكسندر بوشكين كان يقول :

الترجمة ؟ انها من أصعب الفنون الأدبية على الاطلاق ..

و .. تحتاج الترجمة كما هو معروف الى ثقافة فسيحة عميقة ، والى مقدرة لغوية وفنية ، كما تتطلب الكثير من جهد المترجم بالارتفاع الى مستوى الكاتب أو الى التجانس فيما .. بينهما بالروح الفني والمفهـوم الأدبي والانساني اضافة الى بذل جهد ليس ضئيلا بالتأكيد بـل شاقاً ومجهداً من أجـل الوعـي الكامل للنص

ولروحية الكاتب وشخصياته دون اغفال أسلوبه وكلماته المختارة والمميزة على الكاتب والتي تمثل فيما تمثل شيئاً لصيقاً به ..

وثمة أيضا للترجمة الى جانب ذلك ، ومع كل ذلك هدف نبيل آخر ، ولنستمع معاً الى بيوتر فيازمسكي ، يشرح الدوافع والأسباب التي حدت به الى ترجمة رواية ادولف من تأليف بنيامين كونستانت .. يقول الشاعر الروسي المترجم فيازمسكي : اذا تركنا جانباً ، رغبتي بتعريف القارىء الروسي الى هذه الرواية، فقد كان لدي أيضاً هدفي الخاص أن أدرس ، أن أعجم عود لغتنا ، أن أدربها بل أقسرها لاكتشاف مدى ما تستطيع تحقيقه في ميدان الاقتراب من لغة أجنبية ، بطبيعة الحال دون تشويها ، دون وضعها على سرير بروكست .

وبروكست هو قاطع الطريق المشهور في آتيك اليونانية القديمة الذي كان يعترض درب المسافرين فيجردهم مما يحملون ثم يمددهم على سرير من حديد فما تجاوز من أطرافهم طول السرير قطعه ، وما كان أقصر من السرير شده ومطه الى أن ظفر به البطل تيزي فعرضه لنفس العذاب والعقاب .

ولعل العديد من المترجمين في وطننا العربي انما يضعون الآثار الأدبية التي يترجمونها على سرير بروكست ، فيتصرفون بالأثر الأدبي المترجم تصرفات شتى من حذف أحياناً ومن اضافات ليست موجودة بالنص أحياناً . وقلة من المترجمين العرب يقومون بدورهم في الترجمة بدقة وأمانة وبوعي لأهمية وخطورة دور الترجمة .

وفي مكتبة الآداب الأجنبية كتاب أدبي مترجم جديد ، ويحمل الكتاب اسم قصص من بلغاريا ٣١٨ صفحة قطع عادي .. قام بترجمته عدد من الأدباء العرب السوريين ، الذين سبق لهم وأن ترجموا آثاراً أدبية دون أن يمددوا ما ترجموه على سرير بروكست وهم الأساتذة :

ميخائيل عيد ، وليد داؤد ، حسين راجي ، خيري الذهبي ، علي كنعان ، وليد القوتلي ،

و .. قد صممت غلاف الكتاب الفنانة التشكيلية الشابة سمر موسى باشا

كما يضم الكتاب دراسة جادة عن القصص المترجمة ، وعن القصة البلغارية كتبها د· أحمد سليمان الأحمد الشاعر والمترجم المعروف ورئيس تحرير الآداب الأجنبية ·

ولقد بدأت قصص كتاب قصص من بلغاريا بترجمة قصة « بلغارية » د ·· الكتاب الكلاسيكي الكبير إيفان فاروف ١٨٥٠ ـ ١٩٢١ وترجم القصة ميخائيل عيد ووليد داؤد ويتحدث الكتب في هذه القصة عن نضال الناس العاديين البسطاء عن نضال جماهير الشعب البلغاري في فترة النهوض القومي في بلغاريا ونقرأ في القصة عن اضطهاد الاستعمار التركي آنذاك لفقراء الشعب عبر بطلة القصة المحور إيلتسه ·· التي تحمل حفيدها المريض لتذهب به الى الدير وتتلقى وهي في طريقها الى الدير :

« حين اجتازت غابة البلوط لتهبط نحو إيسكرا « خرج اليها فتى في ثياب غريبة مشدودة وشرائط على صدره وبارودة · وكان وجهه شاحباً منخطف اللون ، الحنز يا جدتي ! أموت جوعاً ! » قال لها وهو يعترض طريقها ، تذكرت حالا : « انه من الذين يطاردونهم الآن ··

وتعطيه بعض الكسرات اليابسة المتبقية في أسفل الحقيبة ويسألها ان كان بامكانه أن يختبيء في هذه القرية فتخشى عليه من الأعداء وتطلب منه : « اختبيء الان في الغابة يابني فقد يراك أحد ، و تنظر عودتي الليله ، سأراك هنا، سأجلب لك الخبز وبعض الملابس الأخرى ، بهذه الثياب لا يجوز أن تبقى ،

وتذهب الى الدير ومعها الطفل في حالة سيئة ، وتأخذ من الراهب خبزاً وتنطلق بسرعة نحو إيسكرا حيث ينتظرها المتمرد ، وتعاني الكثير في طريقها اليه فهي بحاجة الى عبور نهر ايسكرا ، وللوصول تبحث عن صاحب الزورق فلا تجده وهي لا تعرف أن تقود الزورق لوحدها ، ومع ذلك تخاطر وتقود لزورق ومعها الطفل المريض ، وتستطيع بمشقة أن تصل وتذهب الى الغابة · وتعطي المقاتل ما حملته معها من خبز ، وفي الطريق يكاد يموت الطفل من المرض والعذاب ، وتمر الأيام ويجيء الانتصار ، ويختم المؤلف قصته .

« ماتت إيلتسه منذ زمن بعيد ولكن الطفل نصف الميت قد عاش ، وهو الآن مشوق قوي البنية برتبة عقيد ، حين روت له المرحومة جدته هذه الحادثة قالت له انها مؤمنة بأن الفضل في شفائــه لا يعود لصلوات الرهبان بقدر مـا يعود للجميل الذي لم تستطع فعله ، والذي رغبت في أن تفعله بكل جوارحهــا » ، وفي قصة الجد يوتسو يموت يوتسو بعد حياة طويلة عاشها وهــو يشهد بــلاده تنطلق بعد كفاح دام مر ، وبعد أن ظل طويلا يقف عــلى صخرة مــن الصباح الى المساء يصغي الى الضجة والانفجارات وضربات المعاول وتدحرج العربات والحركة والضجيج المختلط للعمل الضخم . وذات مساء لم يعد الجد : « لم يعد الجد يوتسو ذات مساء . خرج ابنه مع الفجر ليبحث عنه فوق الصخرة ، ظن أنه قد وقع في الهاوية ، ولكنه وجده ميتاً هناك والقبعة في يده . لقد مات الجد يوتسو وهو يحيي بلغاريا الجديدة ص ٣٥ .

وفي قصة مربي الدببة تأليف بيتكـو يودروف ترجمة حسين راجي يحكـي الكاتب قصة فولكلورية عــن الجــدة تسينا . وفي قصة خطيئة إيفــان بيلين تأليف يوردان يوفكوف ترجمة ميخائيل عيد . نلتقي بايفان بيلين الذي يحب أن يتأمل كل شيء بامعان ونتعرف على حياته مع الرعاة والفتيان ونلتقي بنماذج عديدة من الريفيين الانقياء في حبهــم وكرههــم وحياتهم الشعبية البسيطة . وفي قصة عــلى الأســلاك ليوردان يوفكوف ترجمــة ميخائيل عيد نتعرف الى حياة بيتر موكانـــين ورفاقه في القرية وعذاباتهم بحيث لا نملك الا ننظر معه الى السماء ونهتف معه .

الهي ، كم من الألم في هذا العالم يا الهي ! ص ٦٥

وتتابع قصص الكتاب :

أندريشكو تأليف إيلين بيلين ترجمة ميخائيل عيد
في العالم الآخر لنفس الكاتب وترجمة . نفس المترجم
موهبتان لجورجي استمتوف ترجمة : خيري الذهبي
كاراجاكال لجيورجي رايتشيف ترجمة حسين راجي
خديجة تأليف : ليوديل ستويانوف ترجمة : حسين راجي
يوم بيوم تأليف : كونستانتين كونستانتينوف ترجمة : خيري الذهبي

أمام الصورة تأليف : جيورجي كاراسلافوف ترجمة : حسين راجي
ستروتا تأليف : أنجل كاراليتشف • ترجمة : ميخائيل عيد
بعد الصيد تأليف : اميليان بستانيف • ترجمة : حسين راجي
حطيئة تأليف : أورلين فاسيلف • ترجمة : ميخائيل عيد
حدث في ليلة مظلمة • بافيل فيجينوف • ترجمة : حيري الذهبي
سيدة شابة (يونغ فراو) بوغوميل رينوف • ترجمة : حيري الذهبي
دروب • نيقولاي خايتوف • ترجمة : ميخائيل عيد
آنخن • إفايلو بيتروف • ترجمة : علي كنعان
أزمنة ملحمية • يوردان راديتشكوف • ترجمة : وليد القوتلي
أشياء من حولنا • دونتشو تسونتشيف • ترجمة : علي كنعان

و •• نجد في كل هذه القصص تلك العفوية لدى هؤلاء الكتاب البلغار، وذلك الحس الانساني الصادق والمتفاعل مع الأحداث وأفراح وأحزان الناس والمسكون بهموم الوطن ونهوض الشعب ، وعبر معاناة واضحة في قصص هؤلاء الكتاب والرموز في القصص بسيطة وواضحة ، ويمتزج في قصص الكتاب حب الأرض بحب الوطن والناس •• بحب المرأة الأم والأخت والرفيقة والحبيبة ويصهر هذا الحب بالايمان بالعمل والايمان ومواصلة النضال من أجل أن يزداد فرح الناس وفرح الوطن ••

ويقول الدكتور أحمد سليمان الأحمد في دراسته لقصص الكتاب بشكل خاص، وللقصة البلغارية بشكل عام • يقول في دراسته التي يختتم بها كتاب قصص من بلغاريا

إن علينا ونحن أمام القصة البلغارية أن نوجّه الانتباه إلى الاهتمام المتزايد بعالم الأبطال الداخلي حيث تمتزج المشاكل المعنوية بالقضايا الحيوية وبأبرز الظواهر الاجتماعية في الحياة المعاصرة وقد أتاح هذا للكتّاب الموهوبين أن يتوغلوا بمزيد من العمق في نفسية إنسان العصر وأن يكشفوا عن تعقد وتناقض في المواضيع التي تصطرع غالباً في النفس البشرية وعن غنى وتنوع التغيرات العميقة التي تقتضيها الحياة في الطبيعة البشرية •

ويعمد هؤلاء الكتاب الى تجاوز الوصفية التقليدية ، والتسلسل الزمني ، ويطمحون الى التحدث للقارىء بروح الألفة ، وهم لا يتجنبون الاتجاهات الاجتماعية المختلفة أو الوجدانية التي تحفل بها الابداعات ، لا بلهجة الموعظة ، ولكن بالضرب على الوتر الاجتماعي وبنبرة شعرية ·

وفي بعض الأحيان يكون التشديد على الاستهلال الوجداني في النثر تعبيراً عن الحاجة الى مزيد من الحرية في الألفة مع القراء ، والحاجة الى قدر أكبر من الاستقلال في الكشف عن وجهة نظر المؤلف ·

وبات النثر البلغاري المعاصر أكثر تنوعاً وأكثر مرونة وأقرب الى الحياة في الواقع ، وتحددت قضايا تماثل الأشكال ، وقضايا الحقيقة الحيوية في قالب جديد، دون أن يؤدي ذلك الى فقدان فكرتها وأهميتها الاجتماعية العميقة · وهكذا تم التوصل بشكل طبيعي عفوي الى المسائل الهامة في الانسانية الاشتراكية ·

ويبقى هذا الكتاب المتميز «قصص من بلغاريا» كتاباً هاماً وفيه جهد واضح ويظل مرجعاً لدراسة القصة البلغارية وتطورها وهمومها وآفاقها عبر مختارات لأبرز كتّابها وعبر الدراسة العميقة بعنوان « في القصة البلغارية » والتي كتبها د· أحمد سليمان الأحمد في ختام هذا الكتاب ·· الاضافة ·

□●□

في المجـــلات الأدبيــة

مجلة لاكانزين الفرنسية

وعددهــا الخاص عن النســاء

إعداد : صلاح دهني

أصدرت المجلة الأدبية الفرنسية « لاكانزين » عدداً خاصاً تحت هذا العنوان : « النساء » • كانت المهمــة صعبة ، اذ لا يمكن لأي عــدد من مجلة أن يحيط بكل ما تمثله المرأة : مهمتها ، دورهــا في العائلة وفي المجتمع ، الأمــور المختلفة التي يُخضعها لها مجتمع يدور فيه كل شيء حــول العنصر المذكــر ولصالحه • اقتضى الأمر أخـيراً تجنيد مجموعة كبيرة مـن الاختصاصيين في ميادين مختلفة ومتنوعة : اقتصاديــة ، اجتماعية ، بيولوجية ، سياسية ، أدبيــة وحتى في ميــدان التحليل النفسي ، كيما يأتي العدد موفياً على الغاية بنحو ما •

كان القصد كما تقول افتتاحية العدد ، فتح سبل للتفكير في الوقت ذاته الذي بدأ فيه تفكير النسوة بأحوالهن يشكل مــادة تستحق الاعتبار في المسار التاريخــي

للمرأة ، أي في مسارنا التاريخي جميعاً • المرأة في زماننا تطالب بحقوقها بنحـو لم يعرف من قبل ، وأقل ما تريده المساواة بالرجل • وحركات المطالبة أخذت شكلا جماعياً وأحياناً عنيفا هنا وهناك في العالم • مجتمعاتنا كانت أبوية ، السلطةفيها للرجل ، على هذا ربينا وكبرنا واعتبرنا الأم قدراً ، والنسوة قبلن بالتبعيةووجدن فيها مجالا للرضا • وما زالت النساء يكـررن كلمة ماركس الشهيرة القائلـة بأن تقدم الانسانية يمر حتماً عبر تقدم المرأة • لكن بعضهن لا يكتفين بهـا لأنهـا في نظرهن تتضمن أن هذا التقدم عمل يحققه الرجال ، في حين أن المرأة لن تتقدم الا بالاعتماد على ذراعها !

بعضهن أيضاً ، في اعداد متزايدة على الدوام ، في أوربا وفي أمريكا ، لميعدن يكتفين بالقاء الأسئلة على المجتمع الأبوي ، لا يكتفين بما تحققه لهـن الانتفاضات التي قد تقوم هنا أو هناك ، أو في هذا الميدان أو ذاك • انهن ينظمن الصفوف ، يعملن ، يتظاهرن ، وباختصار يفرضن على الجميع أن يأخذوا حركاتهن مأخذ جد• وبهذا بدأت العلاقات التاريخية بين المرأة والرجل تتعدل ، وتتغير •

ولدت التحركات الأساسية للمرأة في قلب المجتمعات الاشتراكية ، في الاتحاد السوفياتي ، الصين •• كذلك في الولايات المتحدة الامريكية حيث بدأ انتاج أدب نسائي يطالب بالتحرر وبحق للمرأة بأن تمتلك جسدها وتتصرف به • ومن هذه النقطة تنبع بغزارة فائقة حقوق أخرى •• وتساؤلات لا تنضب •

في مجـال الخلق الفني والأدبي يتساءل العديد من المشاركين والمشاركات في هذا العدد من المجلة : هـل ترى يكتب الرجل بشكل يخالف الشكل الذي تكتب بـه المرأة ؟ لماذا وكيف ؟ الرجل والمرأة في مواجهـة نص مـا ، هل يتخوضان فيه بصفة هذا رجلا ، وصفة تلك امرأة ؟ هل يعيان حالتيهما أم لا ؟ واللغة ذاتها في مجتمع أبوي ، كيف خلقت ولصالح من ؟ ويكفي أن نلقي سؤالا كهذا : « هل للنصالأدبي جنس ؟ » حتى نلاحظ أن هناك أموراً عديداً من بعد ستقتضي أن يعاد فيهاالنظر•

القت المجلة هـذا السؤال على كتّاب من الرجال والنساء · أجابت الكاتبة مارت روبير : « ليس للأدب جنس ، لسبب واضح هـو أن الجنس يلعب فيه دوراً غامضاً بمقدار ماهو حاسم » ·

وقال الكاتب ادمون جابيس : « ان الكتاب ما ان يكتب حتى يستبعد كاتبه، رجلا كان أم امرأة » ·

وقال آخر : « ان اللاشعور لا يعرف فارق الجنسين » ·

في حين أثبتت الكاتبة كلودين هرمان في عمل لها بهـذا العنوان : « قرادة الذهن النسائي » أن الرجل يخضع دون أن يدري لميتولوجية مذكّرة في الكتابة·

أما الكاتب جوليان غراك فيسأل : « كيف نقطع في قضية يقف فيها كل شخص، ما دام ينتمي الى أحد الجنسين ، موقف القاضي والطرف ؟ »

وترد الكاتبة فيفيان فورستر : « ولمَ يقع على المرء أن يفكر وهو يكتب بأنه رجل أو امرأة ، لا أنه جبل ، أو مقطع من زمن ، أو مسار رتيلاء ؟ » ·

□●□